

إقرار المُشْرِفِين

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة (قصار السور: دراسة أسلوبية) للطالب (كريم طاهر عباس البعاج)؛ جرى تحت إشرافي في كلية التربية – جامعة بابل؛ وهي جزء من متطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

التوقيع
أ.م.د. عامر عمران الخفاجي

التوقيع
أ.م.د. علي إبراهيم محمد

بناءً على هذه التوصيات أُرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع
أ.م.د. عامر عمران الخفاجي
رئيس قسم اللغة العربية
التاريخ / 2007

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة، أننا اطلعنا على الرسالة الموسومة (قصار السور: دراسة أسلوبية) وقد ناقشنا الطالب (كريم طاهر عباس البعاج) في محتوياتها، أو فيما له علاقة بها ونعتقد بأنها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً عال) لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

التوقيع:
الاسم: أ.م.د. طالب خليف السلطاني
الأدب والنقد
عضواً

التوقيع:
الاسم: أ.م.د. حمزة فاضل يوسف
الأدب والنقد
عضواً

التوقيع:
الاسم: أ.م.د. عامر عمران علوان
عضواً ومشرفاً

التوقيع:
الاسم: أ.م.د. علي إبراهيم محمد
الأدب واللغة

التوقيع:
الاسم: أ.د. عباس محمد رضا
الأدب والنقد
رئيس اللجنة

صدق مجلس كلية التربية على قرار لجنة المناقشة

التوقيع:
الاسم: د. لؤي عبد الهاني السويدي
عميد كلية التربية/جامعة بابل
التاريخ: / / 2008

الإهداء

إلى مَنْ أُهديها؟!..

إلى الشقيق والصديق...

إلى سميّ المرتضى: مرتضى.

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث
العلمي
جامعة بابل – كلية التربية
قسم اللغة العربية

قصار السور: دراسة أسلوبية

رسالة تقدم بها إلى مجلس كلية التربية في جامعة بابل

كريم طاهر عباس البعاج

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

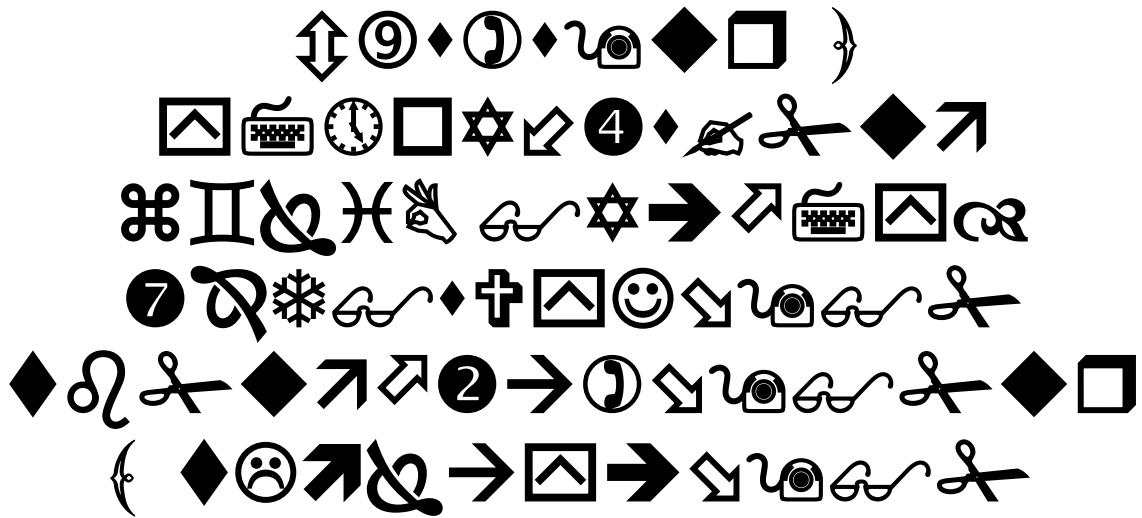
الأستاذ المساعد الدكتور
عامر عمران الخفاجي

الأستاذ المساعد الدكتور
علي إبراهيم محمد

تشرين الثاني 2007م

ذي القعدة 1428 هـ

Her&



صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمِ
سورة الحجر: 87

المحتويات

الصفحة	الموضوع
3-1	المقدمة
5-4	التمهيد
81-6	الفصل الأول: المستوى الصوتي لقصار السور
8	أولاً- الفواصل
33	ثانياً- التكرار الصوتي
46	ثالثاً- التجانس التركيبي
58	رابعاً- جرس الألفاظ
62	خامساً- التجنيس
68	سادساً- الإيقاع
169-82	الفصل الثاني: المستوى التركيبي لقصار السور
84	أولاً- التقديم والتأخير
101	ثانياً- الحذف والذكر
118	ثالثاً- الإظهار والإضمار
126	رابعاً- حُسن النسق
163	خامساً- الاعتراض
231-170	الفصل الثالث: المستوى الدلالي لقصار السور
172	أولاً- الحقل الدلالي للوعيد
180	ثانياً- الاتساع الدلالي في جوامع الكلم القرآني
208	ثالثاً- موضوعات قصار السور
232	الخاتمة
238	ثبت المصادر والمراجع

المقدمة

لا يختلف اثنان على أن القرآن الكريم معدن البلاغة العربية ومثلها الأعلى؛ وأنه الكتاب الذي أعياء فصحاء العرب وجهابذة البيان؛ فبقت الأعناق مشرئبة إليه؛ فهو – بحق – المعجزة الخالدة للرسالة الخالدة؛ إنَّ الإعجاز البياني والأسلوبي للقرآن الكريم يقع بطوال السور كما يقع بقصارها؛ فالإعجاز في سورة الكوثر مثلاً – وهي أقصر سور القرآن – كالإعجاز في سورة البقرة.

ومما يؤاخذ على المفسرين القدامى أنهم غالباً ما يستنفدون مباحثهم وأطروحاتهم في تفسير طوال السور والمئين؛ من دون التركيز على قصار السور؛ إذ غاية ما فعله القدامى التصنيف في بعض قصار السور؛ كل سورة على حدة؛ فلم نجد من صنف في قصار السور مجتمعة مع وعيهم بأهمية هذه السور.

أما المحدثون – بحسب علمي المتواضع – فلعلَّ دراسة د. عائشة عبد الرحمن الموسومة: (التفسير البياني للقرآن الكريم) واحدة من الدراسات المهمة؛ إلا أن ما يؤاخذ على منهجها في هذه الدراسة أنها تدرس كل سورة على حدة فلم تصل إلى نتائج عامة تنتظم قصار السور بأسرها وتكشف عن سماتها الأسلوبية الفارقة.

وبخصوص الرسائل الجامعية؛ فإن الأمانة العلمية تلزمنا بالإشارة إلى ثلاث رسائل ذات صلة بدراستنا الراهنة بحكم كونها مقاربات بلاغية:

- 1- البنى الأسلوبية في تفسير قصار السور من خلال جهود المحدثين (جامعة الأنبار).
- 2- السور القصار: دراسة بلاغية (جامعة البصرة).
- 3- الأداء البياني في السور القصار (جامعة الكوفة).

فالدراسة الأولى في المعاني فقط؛ فضلاً عن عدم تطرق الباحث فيها إلى جهود القدامى؛ وهي باختصار تتناول جهود المحدثين وتركز عليها؛ فهي لا ترصد كل جماليات قصار السور لأنها دائرة في فلك جهود المحدثين؛ أما الدراسة الثانية فهي بدءاً من العنوان بلاغية صرفة؛ على حين اختصت الدراسة الثالثة بالفنون أو الأشكال البلاغية: (التشبيه، الاستعارة).

أما دراستنا الأسلوبية هذه؛ فتطمح إلى مقارنة قصار السور مقارنة جديدة وشمولية وبأدوات جديدة لاستكشاف الطبقات الجمالية في تلك السور؛ وتكمن جدّة مقاربتنا في جانبين:

أحدهما- المنهج النقدي متمثلاً بالأسلوبية وحقول لسانية مجاورة أخذنا منها – كما أخذت الأسلوبية – كعلم النص ونظرية التأويل؛ فاختيار المنهج النقدي المحايث للنص القرآني يتم بعرض ذلك المنهج على النص القرآني وليس العكس؛ لأن النص القرآني بوصفه الأنموذج الأدبي الأعلى – يستمد معياره من داخله وليس من خارجه.

والآخر- اعتماد المراجع النقدية المعاصرة.

أما المتن القرآني للدراسة فقصرناه على ثلاثين سورة من قصار السور (من سورة الطارق إلى سورة الناس فضلاً على سورة الحمد)؛ وهذا المتن يتضمن ثلاثاً وعشرين سورة تعد أقصر

القصار – من سورة الضحى إلى سورة الناس فضلاً على سورة الحمد – وإنما اتخذنا من هذه الطائفة من قصار السور، أنموذج لأنها – بحق – أنموذجاً تتجلى فيها السمات الأسلوبية الفارقة والمائزة لتلك السور.

تنهض بهذه الدراسة مقدمة، يليها تمهيد عرفنا وحددنا فيه مصطلح (قصار السور)؛ يلي التمهيد ثلاثة فصول؛ فخلاصة بنتائج الدراسة:

الفصل الأول: عقدها للمستوى الصوتي فبحثنا في: (الفواصل، التكرار الصوتي، التجانس التركيبي، جرس الألفاظ، التجنيس، الإيقاع).

أما الفصل الثاني: فخصصناه للمستوى التركيبي: إذ تزخر قصار السور بالثنائيات الأسلوبية: (التقديم والتأخير، الحذف والذكر، الإضمار والإظهار)؛ كما تناولنا (حسن النسق، الاعتراض)؛ لقد حاولنا تحليل هذه الظواهر الأسلوبية لاستكشاف مفعولها الأسلوبي، وللوقوف على الأسلوب القرآني المعجز في توظيف هذه الظواهر الأسلوبية لإنتاج الدلالة.

وجعلنا الفصل الثالث للمستوى الدلالي، إذ درسنا فيه ما فاتنا في الفصلين: الأول والثاني من قضايا الدلالة؛ إن السمات والإجراءات الأسلوبية موجودة في النص بشكل تزامني وليس على نحو تعاقبي؛ ومن ثمَّ فإنَّ قضية الفصل إلى مستويات هي مجرد إجراء منهجي تقتضيه ضرورات التحليل؛ وتناولنا في هذا الفصل: (الحقل الدلالي للوعيد، الاتساع الدلالي في جوامع الكلم القرآني، موضوعات قصار السور).

أخيراً أقدم آيات الشكر والعرفان للمشرفين الفاضلين: أ. م. د. علي إبراهيم محمد، أ. م. د. عامر عمران الخفاجي؛ والشكر موصول إلى شيخي ذي الأيادي البيضاء أ. د. عباس محمد رضا وإلى السيد د. حسن الشرع وإلى كل الأيادي البيضاء التي أسديت إليّ؛ وآخر دعوانا: أن الحمد لله ربِّ العالمين.

تمهيد:

تصطلح المصادر التراثية على قصار السور بـ (المُفَصَّل)؛ قال أبو بكر الأنباري (328 هـ): ((المفصل السور القصار، سميت مُفَصَّلًا لكثرة الفصول بينها بيسم الله الرحمن الرحيم))⁽¹⁾؛ بيد أن الأنباري لم يحدد قصار السور.

كما نجد مصطلح: (المُفَصَّل) بعد ذلك عند ابن خالويه النحوي (370 هـ): ((هذا كتاب ذكرت فيه إعراب ثلاثين سورة من المُفَصَّل بشرح أصول كل حرف وتلخيص فروعه))⁽²⁾؛ ونلاحظ أن ابن خالويه قد ضمَّ سورة الحمد إلى المُفَصَّل وهي إشارة مهمة نفهم منها طبيعة المعيار المعتمد في تصنيف قصار السور وهو معيار عدد الحروف التي تتكون منها كلمات السورة، كما نلاحظ أن ابن خالويه يعدُّ سورة الحمد من سور المُفَصَّل وموقعها – سورة الحمد- كما نعلم في صدر الكتاب العزيز.

وللراغب الأصفهاني (502 هـ) إشارة مقتضبة: ((والمُفَصَّل من القرآن السبع الأخير وذلك للفصل بين القصص بالسور القصار))⁽³⁾؛ كذلك نجد مصطلح (المُفَصَّل) عند الزمخشري (538 هـ): ((وفلان قرأ المفصَّل وهو ما يلي المثاني من قصار السور، الطول ثم المثاني، ثم المُفَصَّل))⁽⁴⁾.

(1) الزاهر، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تح صالح الضامن، 1989، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية: 216/2.

(2) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه، د. ت. دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع: 11.

(3) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني راجعه وقدم له وائل أحمد عبد الرحمن، د. ت. المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر: مادة (فصل).

(4) أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم ممد بن عمر الزمخشري، 1420 هـ - 2000 م، دار الفكر، بيروت – لبنان: مادة (فصل).

بيد أن الإشارة الأكثر وضوحاً ونضجاً نجدها عند الزركشي (794هـ)؛ إذ نجد فيها تأصيلاً لهذا المصطلح إذ ينسب الزركشي هذا المصطلح للنبي (5): ((قال العلماء رضي الله عنهم: القرآن العزيز أربعة أقسام: الطول، والمنون، والمثنائي، والمفصل (...)) عن النبي [5] قال: أعطيت السبع الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثنائي مكان الزبور، وفُصِّلَت بالمُفَصَّل (...)) والمفصل: ما يلي المثنائي من قصار السور، سُمي مُفَصَّلًا لكثرة الفصول التي بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم. وقيل لقلة المنسوخ فيه وآخره: > هـ → هـ → هـ

ويورد الزركشي اثني عشر قولاً في أول سور المفصل؛ ويخلص إلى القول: إن أوله سورة (ق)؛ وحينئذ فإذا عدت ثمانين وأربعين سورة كانت التي بعدهن سورة (ق)⁽³⁾؛ وبحسب ما تقدم فإن قصار السور ست وستون تبدأ من سورة (ق) وتنتهي بخاتمة القرآن - سورة الناس. ومفهوم القصر والطول من المفاهيم النسبية وليس من المفاهيم المطلقة؛ فالقصر إنما يوصف بهذا الوصف بالنسبة إلى الطويل من جنسه؛ وإذا كان الأمر كذلك؛ فغير خافٍ أن قصار السور متفاوتة في قصرها؛ ولذلك تقتضي الدقة تصنيف ما اصطلح عليه بالمفصل كما فعل القدامى:⁽⁴⁾

- أ- طوال المُفَصَّل: ويضم ثمانين وعشرين سورة (ق - النبأ).
- ب- أوساط المُفَصَّل: ويضم خمس عشرة سورة (النبأ - الضحى).
- ج- قصار المُفَصَّل: ويضم اثنتين وعشرين سورة (الضحى - الناس).

(1) سورة الناس: 1.

(2) البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، 1988م، دار الجيل، بيروت - لبنان: 244/1 - 245.

(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 447/1.

(4) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1380هـ، الناشر، فخر الدين: مجلد 1/ج1: 169.

الفصل الأول

المستوى الصوتي لقصار السور

- أولاً- الفواصل.
- ثانياً- التكرار الصوتي.
- ثالثاً- التجانس التركيبي.
- رابعاً- جرس الألفاظ.
- خامساً- التجنيس.
- سادساً- الإيقاع.

تكمُن أهمية التحليل الأسلوبي في تجليلته للطبقات الجمالية في النصوص الأدبية؛ عبر تحليل البنية اللغوية لتلك النصوص؛ ولعل الطبقة الإيقاعية واحدة من أهم تلك الطبقات.

وإذا كانت اللغة في ذاتها فن جمعي في التعبير، وتنطوي على عدد معين من العوامل الجمالية-الصوتية والإيقاعية- التي لا تشاركها بها تماماً أية لغة أخرى؛ فإنّ على المبدع أن يستثمر ويوظف هذه العوامل الصوتية في نصه الإبداعي.⁽¹⁾

ويتبوأ الإيقاع بوصفه عنصراً بنائياً في عوامل التشكيل الكلي للخطاب الأدبي؛ يتبوأ أهمية بالغه؛ وذلك بفضل الكشوفات اللسانية؛ وتنبية اللسانيين لدور العناصر المفردة في البناء الكلي، والتركيز على دور السياق في إخراج مكونات البنى الإيقاعية بمظاهرها المختلفة.⁽²⁾

لقد ركز الشكلانيون الروس جهودهم على الشعر ((مميزين بين مستوياته الصوتية العامة كالوزن والإيقاع وبين مستوياته الصرفية والنحوية والدلالية وكان بريك (Brik) أول من أهتم بالخصائص الفونولوجية في الشعر. ثم جاء رومان جاكسون بالنظرية الشعرية ضمن عناصر العملية الإبداعية واستمد من اللسانيات نموذجها العام)).⁽³⁾

كما اهتمت الأسلوبية الصوتية بدراسة جرس الألفاظ والحروف واهتمت بالنغمة والتكرار وردّ الكلام بعضه على بعض وتواتر أنواع التوازن والتجانس المختلفة مثل توازن الألفاظ والتراكيب والأسجاع، وتوازن الفواصل.⁽⁴⁾

وإذا كان الخطاب الأدبي-لاسيما الخطاب الشعري- يستعمل الإيقاع؛ فإن الفن القرآني بوصفه فناً مطلقاً-بمعنى أنه يستغل كل أدواته⁽⁵⁾- يستعمل الإيقاع أيضاً. لقد قرع القرآن الكريم بجرس ألفاظه وموسيقاه المنسقة العذبة أسماع العرب فأبهرهم لحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول.⁽⁶⁾

وتنبه علماء الإعجاز إلى أهمية الجرس والإيقاع في الأسلوب القرآني؛ فجعلوه من وجوه الإعجاز فيه؛ وبسطوا القول في ذلك في المباحث الصوتية: التلاؤم والواصل⁽⁷⁾. إنَّ البنية الداخلية العميقة للنص القرآني تتمثل في موسيقية لغته⁽⁸⁾.

أمّا قصار السور-المتن القرآني لدراستنا- فتزخر بهذا الرنين الموسيقي بفعل عدة تقنيات صوتية أهمها:

- (1) يُنظر: اللغة والخطاب الأدبي، مقالة اللغة والأدب، إدوار سايبير، ترجمة سعيد الغانمي، ط1، 1993، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء: 33.
- (2) يُنظر: الشعرية (قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي)، د. أحمد جاسم الحسين، ط1، 2001، الناشر، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق: 123.
- (3) أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه، توفيق الزيدي، 1984، الدار العربية للكتاب، تونس: 61.
- (4) ينظر: في النقد والنقد الألسني، د. إبراهيم خليل، 2002، منشورات أمانة عمان الكبرى: 142.
- (5) ينظر: بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة محمد الولي، ومحمد العمري، ط1، 1986، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء: 52.
- (6) ينظر: إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، تح أحمد السيد صقر، ط3، د.ت. دار المعارف بمصر: 276.
- (7) ينظر: المصدر نفسه: 269، 270.
- (8) ينظر: النص القرآني وأفاق الكتابة، أدونيس، د.ت. دار الآداب، بيروت: 25.

الفواصل عبر أنواعها المتنوعة؛ والمتفاوتة بين الثبات والاختراق، والترديد أو التكرار لاسيما ترديد الحروف؛ والتجانس التركيبي؛ والجناس.

إنَّ قصار السور -ومعظمها مكية- من حيث البناء الصوتي مقطّعة، متقطّعة، مسجّعة غالباً، ومقفأة أحياناً⁽¹⁾. وينبغي التأكيد هنا على وجود ترابط عضوي بين الصوت والدلالة في الخطاب الأدبي، فالتقسيم إلى مستويات إنما هو إجراء توضيحي تقتضيه ضرورات التحليل؛ وبخلافه نسقط في محذور التجزئ فالنظم الأدبي إنما هو علاقة جدلية بين الصوت والدلالة⁽²⁾.

وبناءً على ما تقدم فإننا نحاول في تحليلنا الأسلوبي للمستوى الصوتي التركيز على إحياءات الصوت ودلالته في السياقات القرآنية العالية في قصار السور؛ كما نحاول قراءة ظلال المعنى.

(1) ينظر: المصدر نفسه: 23.

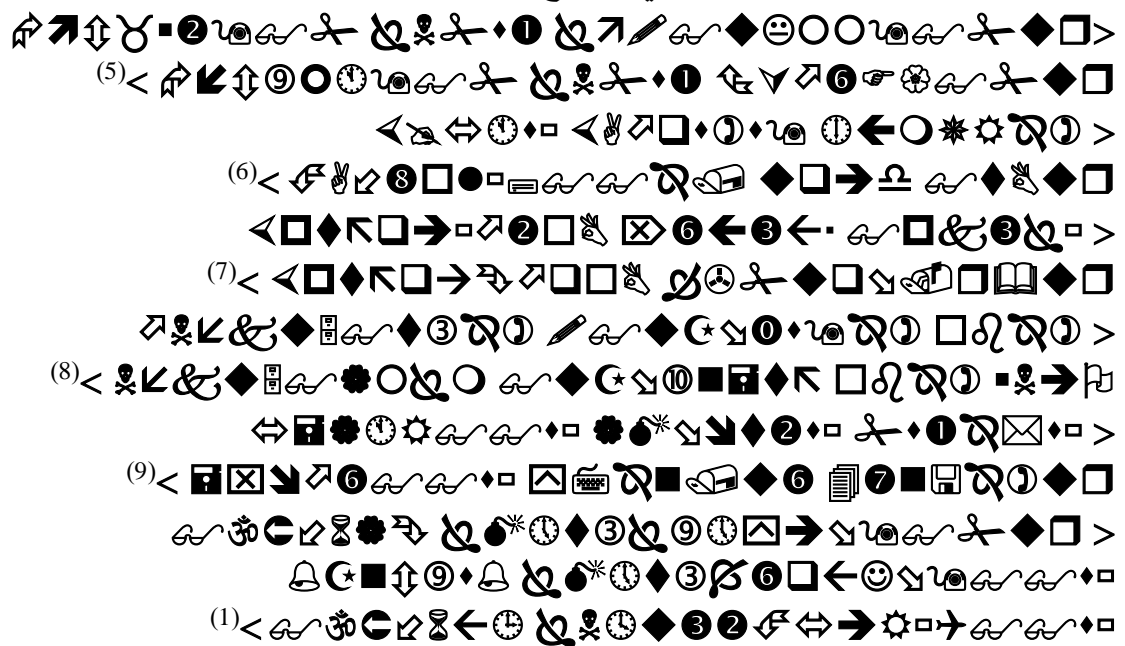
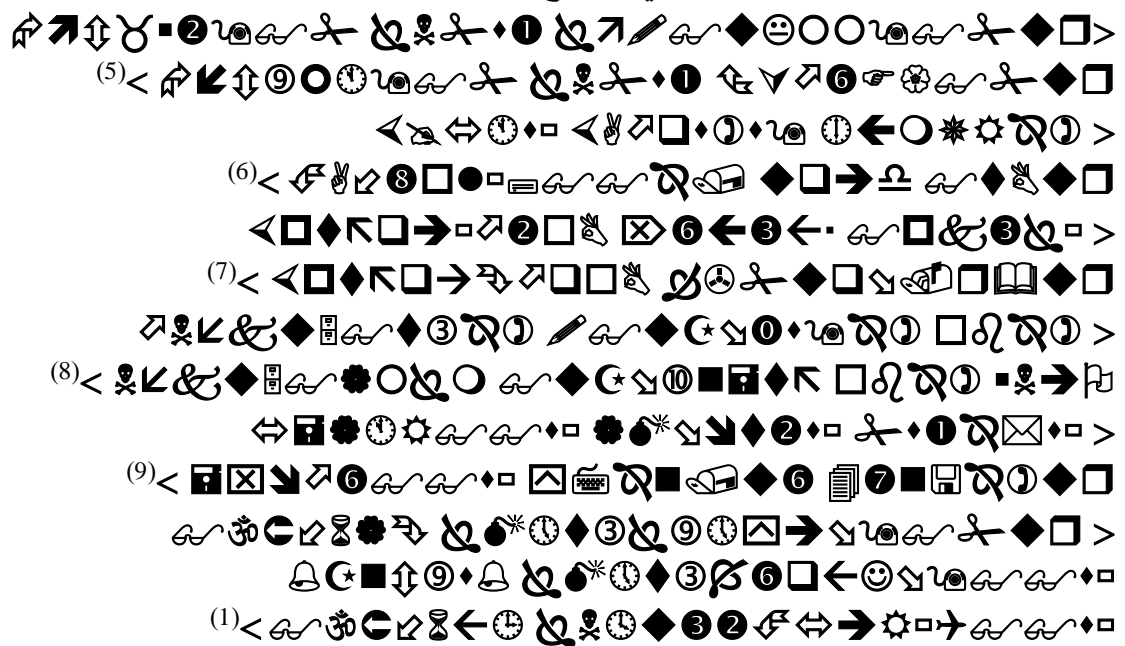
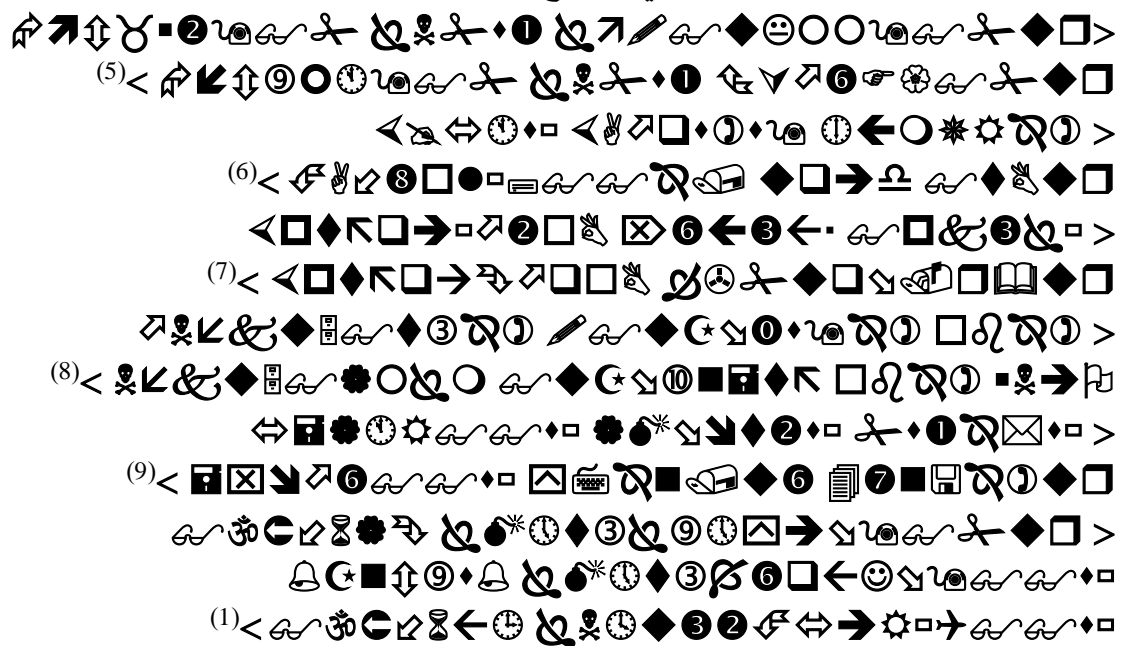
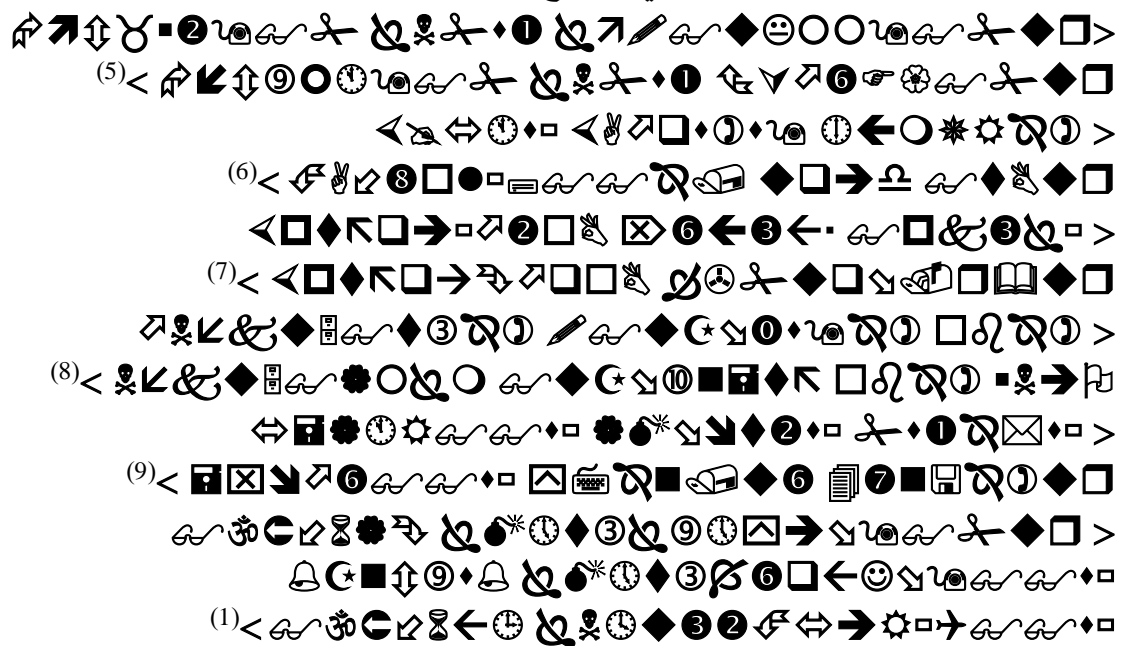
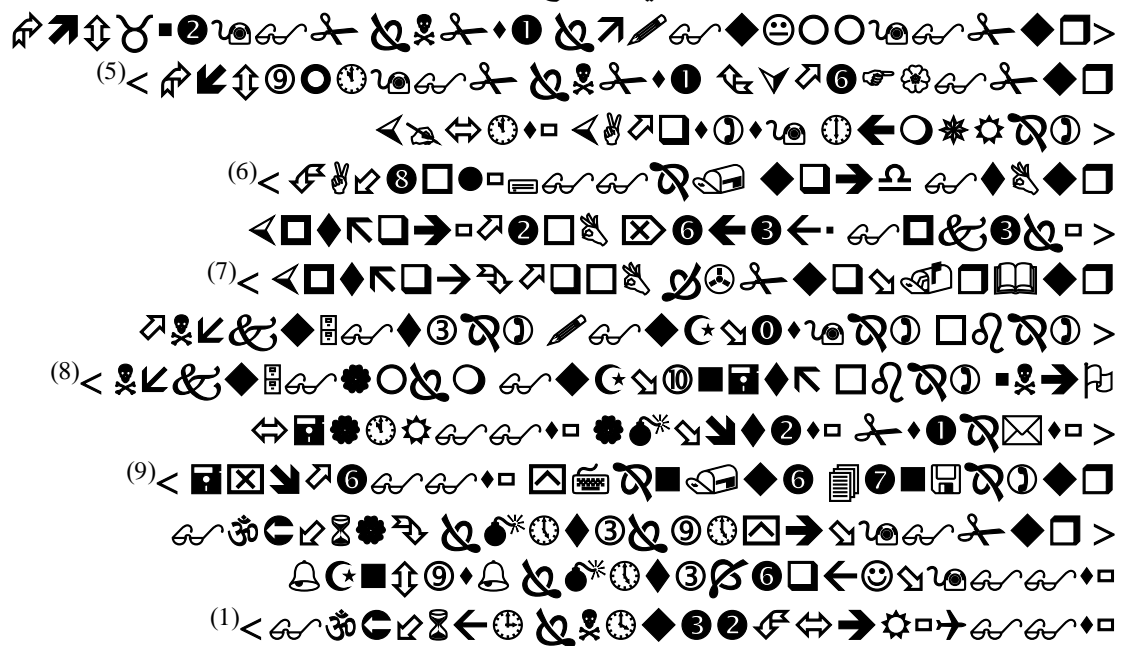
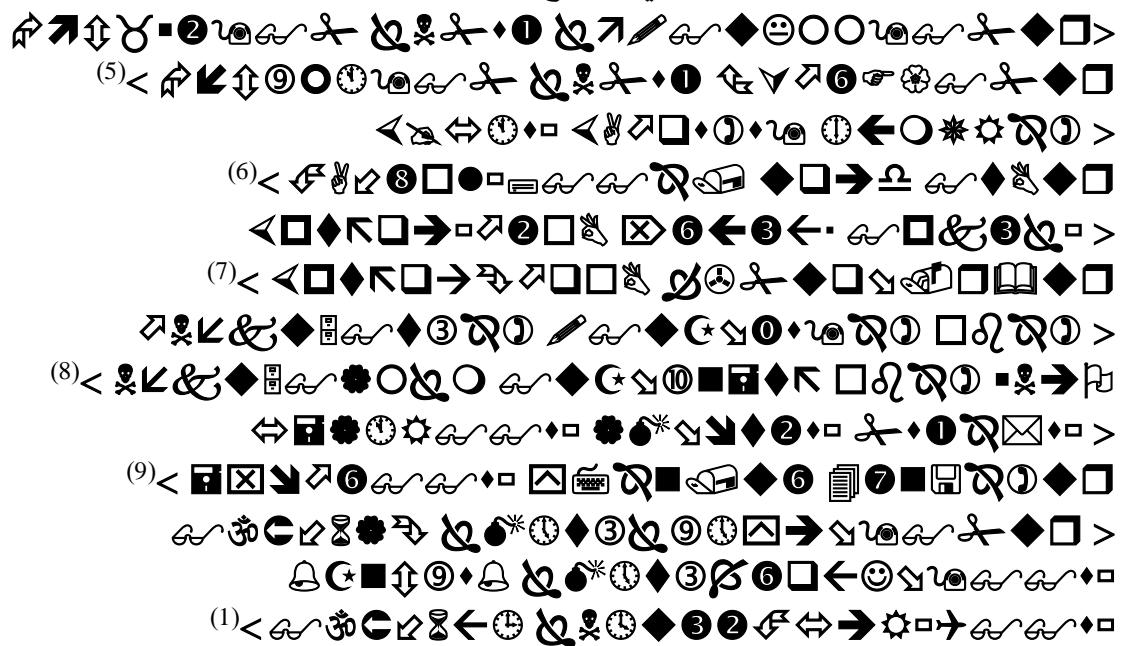
(2) ينظر: بنية اللغة الشعرية: 52.

• ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

3- المتوسط: وهو ما كان فوق القصير؛ معتدل الطول كقوله تعالى: >  < (3)

1- المتوازي:

إنَّ الأدبية التي يمنحها الإيقاع للخطاب الأدبي تتجلى بمظاهر متنوعة؛ وهذه المظاهر تنقسم إلى قسمين:
أحدهما يقوم على التوازي والتشابه والتشاكل؛ والآخر يقوم على الاختلاف ويمثلان معاً خطين متقاطعين أحدهما يتشكل من الثبات، والآخر يتشكل من الاختراق، ومن هذا التصادم بين الاختراق والثبات، بين المشاكلة والاختلاف تنبجس أدبية الإيقاع.(4)
يكن المفعول الأسلوبى للفواصل المتوازية في الرنين الموسيقي الناجم عن تماثل وزني الفاصلتين المتوازيتين ورويهما كما في النماذج الآتية:

>  < (5)
<  > (6)
<  > (7)
>  < (8)
>  < (9)
<  > (1)

(1) سورة الضحى: 9 - 10.
(2) الطراز: 25/3.
(3) سورة الأعلى: 1 - 4.
(4) ينظر: الشعرية: 141.
(5) سورة الطارق: 11 - 12.
(6) سورة الطارق: 13 - 14.
(7) سورة الغاشية: 13 - 14.
(8) سورة الغاشية: 25 - 26.
(9) سورة الانشراح: 7 - 8.

سورة العاديات: 3 - 1
سورة العاديات: 10 - 9

سورة العاديات: 239/1
سورة العاديات: 355/3

وقد أعجب ابن الأثير بهذا الرنين الموسيقي في الآيات الثلاث في صدر سورة العاديات فقال: ((ألا ترى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الأجزاء حتى كأنها أفرغت في قالب واحد، وأمثال ذلك في القرآن كثيرة، وهو أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه))⁽³⁾.

ولغرض إضفاء المزيد من التماثل والتشاكل الصوتي بين الآيات في قصار السور يعتمد الأسلوب القرآني المعجز إلى تشغيل تقنيات صوتية أخرى زيادة على المتوازي؛ ومن تلك التقنيات (لزوم ما لا يلزم)؛ ويقال له: الإعنات أيضاً⁽⁴⁾؛ (وهو أن يلتزم الناثر في نثره، أو الشاعر في شعره قبل روي البيت من الشعر حرفاً فصاعداً على قدر قوته، وبحسب طاقاته، مشروطاً بعدم الكلفة وقد جاء ذلك في الكتاب العزيز في مواضع رائعة الحسن)⁽⁵⁾.

سورة العاديات: 10 - 9
سورة العاديات: 239/1
سورة العاديات: 355/3

سورة العاديات: 239/1
سورة العاديات: 355/3

سورة العاديات: 239/1
سورة العاديات: 355/3

لقد اتفقت الفواصل لا في الحرف الأخير -الروي- فحسب؛ ولكن في حرف أو أكثر قبله؛ من غير أن يكون في ذلك كلفة ولا قلق؛ بل سلاسة ولين وجمال⁽¹⁰⁾.

ب- المتوازن:

يتلَوْن الخطاب القرآني في قصار السور بألوان صوتية بديعة، فكما يستخدم الأسلوب القرآني المعجز الفواصل المتوازية؛ فإنه قد يتخلى عن هذا اللون ويعدل عنه إلى لون آخر هو المتوازن

(1) سورة العاديات: 1 - 3.
(2) سورة العاديات: 9 - 10.
(3) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير، تح محي الدين عبد الحميد، 1939، مصر: 239/1.
(4) يُنظر: الطراز: 355/3.
(5) تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصعب المصري، تقديم وتحقيق د. حفني محمد شرف، 1963، القاهرة: 517/3.
(6) سورة الضحى: 9-10.
(7) سورة الانشراح: 1-2.
(8) سورة العلق: 1-2.
(9) سورة الفلق: 1-2.
(10) ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، د.ت. مطبعة نهضة مصر: 88.

نماذج لصوت الروي وتنوعاته:

روي الفاصلة هو آخر حرف في الآية به تسكر الآية، وعليه يقع الوقف؛ فالفواصل تبني على الوقف فهي ((موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، موقوفاً عليها، لأن الغرض أن يزواج بينها، ولا يتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف والبناء على السكون)).⁽¹⁾

و يساهم الإنشاد التعبيري للسور القرآنية في تعزيز أهمية الفواصل ومن ثم أهمية الروي، وذلك بتمويج الصوت وتنويع الأداء بحسب المحتويين الفكري والعاطفي للسورة.⁽²⁾

والفواصل -من حيث حرف الروي- نوعان:

- متماثلة: أي أنها تنتهي بروي واحد تطرد عليه.
- ومتقاربة: أي أنها تنتهي بروي متقارب؛ كصوتي النون والميم في سورة الحمد.

وقد استقرت فواصل قصار السور -في المتن القرآني لدراستنا- فوجدت أربع عشرة سورة متماثلة الروي تماماً* (الأعلى، الشمس، الليل، التين، القدر، البينة، العصر، الهمزة، الفيل، الماعون، الكوثر، تبت، الإخلاص، الناس).

ووجدت ست سور متماثلة الروي؛ بمعنى: أن نصف أصوات روي فواصلها أو معظمه متماثل أي يطرد على روي واحد: (الغاشية، الضحى، الانشراح، العاديات، الزلزال، القارعة)؛ وثمة عشر سور ذات روي متقارب: (الحمد، الطارق، الفجر، البلد، العلق، التكاثر، قريش، الكافرون، النصر، الفلق).

صوت الألف:

يهدينا الاستقراء الدقيق للفواصل القرآنية في متن دراستنا إلى تواتر الألف رويًا إذ تكررت سبعاً^١ وثمانين مرة.^(**)

ويمكن توجيه ذلك صوتياً بأن الألف أخف الحروف⁽³⁾؛ وكثيراً ما تنتهي الفواصل القرآنية بحروف المد وتلك هي الحروف الطبيعية في الموسيقى نفسها⁽⁴⁾. كما يتميز حرف الألف من بين حروف المد بكونه أشدها امتداداً وأوسعها مخرجاً؛ وهو الحرف الهاوي.⁽⁵⁾

تُعد سورة الضحى أنموذجاً لاشتغال حرف الألف رويًا للفواصل لكونه ليناً يمتد فيه الصوت فيترنم به عند تخوم الآيات. إنَّ سورة الضحى خالصة للنبي (5).

(1) الفاصلة القرآنية، د. عبد الفتاح لاشين، 1982، دار المريخ للنشر، الرياض: 16.

(2) ينظر: بنية اللغة الشعرية: 90.

(*) التحليل هنا يتناول روي السور كلَّ على حدة؛ ومن ثم فالمقصود بالتماثل هنا: تماثل الروي في السورة الواحدة.

(**) ينظر: الجدول الملحق في نهاية هذه الفقرة: (جدول بروي الفواصل في قصار السور) وإليه نحيل تلقائياً في الحالات المماثلة التي تتعلق بعدد تواتر حروف الروي في قصار السور.

(3) ينظر: جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، د.ت. دار الرشيد للنشر سلسلة دراسات (195): 149.

(4) ينظر: من بلاغة القرآن: 75.

(5) ينظر: أصوات اللغة العربية، د. عبد الغفار حامد هلال، ط3، 1416 هـ-1996م، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة:

لقد جاءت الفواصل الثماني الأولى على الألف كما ترددت الألف اللينة -في غير الفواصل- إحدى عشرة مرة والألف هوائية تخرج من جوف الفم، وهي مجهورة⁽¹⁾؛ وهاتان الصفتان تجعلان الألف متواتراً لسببين:

أحدهما- الجهد الأدنى الذي يصاحب تقطيعه أي أنه يخضع لقانون الجهد الأدنى ((والقاعدة اللسانية تؤكد أن التواتر في اللغة يخضع فيما يخضع إلى المجهود الذي يبذله المتكلم عند تقطيعه الكلام)).⁽²⁾

أمَّا الآخر- فإنَّ صفة الجهر القوية في حرف الألف تجعل عملية النطق به مقترنة بنزير الأوتار الصوتية التي تسبب القرع فكأنه وهو يختم الفاصلة ينهض بوظيفة الإعلان عن نهاية الآية.⁽³⁾

لقد لجأ الأسلوب القرآني المعجز في الآيات الثلاث الأولى في سورة الضحى إلى الفواصل المتوسطة الطول والمتوازنة:

. ﴿ ٧ ٨ ٩ ١٠ ﴾

. ﴿ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ﴾

﴿ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ﴾⁽⁴⁾.

فجاءت مفردة (الضحى) فاصلة للآية الأولى؛ والضحى ((انبساط الشمس وامتداد النهار))⁽⁵⁾؛ وقد عبرت الألف اللينه الممتدة والمستطيلة عن امتداد النهار؛ خصوصاً أن الألف أطول امتداداً من سائر حروف المد؛ وهكذا عبرت الألف الممتدة عن الضحى الرائق وعن انبساط الشمس وامتداد النهار.

وجاءت مفردة (سَجَى) فاصلة للآية الثانية؛ ويقال: سَجَى الليل إذا سَكَنَ⁽⁶⁾؛ فكأن صوت الألف بسكونه يعبر عن سكون الليل؛ فمعنى الليل الساجي الساكن الراكد الظلام وقيل معناه سكون الناس والأصوات في الليل⁽⁷⁾؛ وجميع هذه المعاني تتسق مع صوت الألف اللين الرخي الساكن.

واتسق صوت الألف الرخي مع المعاني الرقيقة الحانية على النبي (5) في الفواصل السادسة والسابعة والثامنة:

. ﴿ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ﴾

. ﴿ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ﴾

﴿ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ﴾⁽⁸⁾.

(1) ينظر: التمهيد في أحكام التجويد، سعيد على الشريف، ط1، 1997، دار الكتب الوطنية، بنغازي: 68، 73.

(2) فنُّ القول عند المتنبي، الشاذلي البوغانمي، وتوفيق قريرة، د.ت. مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، سوسة - الجمهورية التونسية: 51.

(3) ينظر: فنُّ القول عند المتنبي: 51.

(4) سورة الضحى: 1-3.

(5) المفردات: مادة (ضحى).

(6) ينظر: المصدر نفسه: مادة (سجا).

(7) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله الزمخشري، د.ت. الناشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان: مجلد 4 / 263.

(8) سورة الضحى: 6 - 8.

ومعنى الإيواء في الفاصلة السادسة الانضمام⁽¹⁾. وجاء معنى الهداية الذي تضمنته فاصلة الآية السابعة متسقاً مع الصفات الصوتية للألف؛ إذ المعنى: فهذاك أي: فعرفك القرآن والشرائع أو فأزال ضلالك عن جدك وعمك⁽²⁾.

وهكذا يتواشع المستويان الصوتي و الدلالي؛ فمعنى الغنى في الفاصلة الثامنة قلة الحاجات إلى الناس؛ إذ أغنى الله تعالى حبيبه المصطفى بمال خديجة أو بما أفاء عليه من الغنائم⁽³⁾؛ فمن الحمولات الدلالية للغنى الامتلاء والإشباع والرخاء والاكتناز؛ وصوت الألف الهوائي المنطلق يعبر عن هذه المعاني:

> ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ < (4).

> ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ < (5).

((ذلك الحنان، وتلك الرحمة، وذاك [الرضا]^(*)): وهذا الشجن تتسرب كلها من خلال النظم اللطيف العبارة، الرقيق اللفظ، ومن هذه الموسيقى السارية في التعبير. الموسيقى الرتيبة الحركات، الوئيدة الخطوات، الرقيقة الأصداء، الشجية الإيقاع... فلما أراد إطاراً لهذا الحنان اللطيف (..) جعل الإطار من الضحى الرائق، ومن الليل الساجي)).⁽⁶⁾

إنَّ اختتام كل آية من الآيات الثماني في سورة الضحى بصوت المد (الألف) ساهم في إطلاق نهاية الآية ومدّها وكأنها بلا حدود مما أعطاهما نغماً امتازت به عبر تواشع المستويين الصوتي والدلالي.⁽⁷⁾

صوت النون:

تواتر صوت النون رويًا للفواصل- في المتن القرآني للدراسة- ثلاثين مرة، وهو صوت مجهور تغلب عليه الصفات الضعيفة، فهو: (متوسط، مستقل، منفتح)⁽⁸⁾؛ كما أنه صوت مذلق⁽⁹⁾؛ وهذه الصفات تجعله متساوقاً مع سياقات الرحمة.

ففي سورة التين جاءت سبع فواصل نونية من أصل ثمان؛ ونظراً لكون النون من حروف الغنة⁽¹⁰⁾ ((وهي خروج صوت الحرف من الخيشوم))⁽¹¹⁾؛ فقد أضفى هذا الصوت جواً من الهدوء والشجن يتناسب مع موضوع السورة؛ ف ((الحقيقة [الرئيسية]^(*)) التي تعرضها هذه السورة هي

(1) ينظر: المفردات: مادة (أوى).

(2) ينظر: الكشف: مجلد 4 / 265.

(3) ينظر: المصدر نفسه: مجلد 4 / 265.

(4) سورة الضحى: 6.

(5) سورة الضحى: 8.

(*) في الأصل [الرضى].

(6) في ظلال القرآن، سيد قطب، ط5، 1967، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي: مجلد 8/30: 186.

(7) ينظر: الشعرية: 150.

(8) ينظر: أصوات اللغة العربية: 144-145، وجرس الألفاظ: 137.

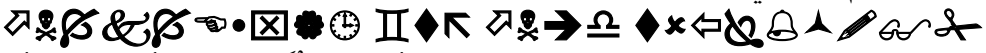
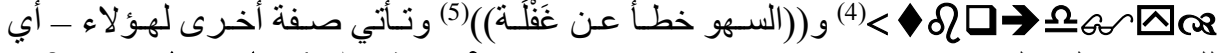
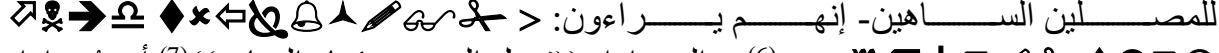
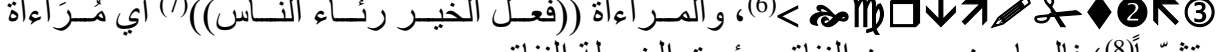
(9) ينظر: أصوات اللغة العربية: 146.


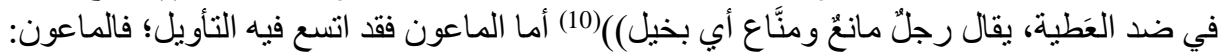
(10) ينظر: المصدر نفسه: 147.

(11) المصدر نفسه: 147.

(*) في الأصل [الرئيسية].

⑥◀◆◀⑤▶◆▶④▶③▶②▶①▶①◀②◀③◀④◀⑤◀⑥◀⑦◀⑧◀⑨◀⑩◀⑪◀⑫◀⑬◀⑭◀⑮◀⑯◀⑰◀⑱◀⑲◀⑳◀㉑◀㉒◀㉓◀㉔◀㉕◀㉖◀㉗◀㉘◀㉙◀㉚◀㉛◀㉜◀㉝◀㉞◀㉟◀㊱◀㊲◀㊳◀㊴◀㊵◀㊶◀㊷◀㊸◀㊹◀㊺◀㊻◀㊼◀㊽◀㊾◀㊿◀

ومعنى الفاصلة: (المسكين) الذي لا شيء عنده⁽³⁾؛ والفاصلة توحى بمعاني المسكنة والفاقة. ثم تأتي الفاصلة الخامسة النونية لتبين صفة أخرى: (سَاهون)؛ >   للمصليين الساهين- إنهم يراءون: >   وتشيّعاً⁽⁸⁾؛ فالرياء ضرب من النفاق وبئست الخصلة النفاق.

ثم تأتي الفاصلة السابعة والخاتمة لتضيف صفة سلبية أخرى: >   في ضد العطفية، يقال رجلٌ مانعٌ ومَناعٌ أي بخيل⁽¹⁰⁾ أما الماعون فقد اتسع فيه التأويل؛ فالماعون: الطاعة، الزكاة، الماء، المال، الذلّو، القَدّاحة، الفأس، النار، المُلح⁽¹¹⁾. إنَّ الجامع بين هذه الصفات على المستوى الصوتي إنها فواصل نونية. وعلى المستوى الدلالي إنها صفات سلبية؛ وقد تواشج المستويان الصوتي والدلالي في هذه الفواصل؛ فقد عبرت النون بغنتها عن شجن لتقاعس هؤلاء المكذبين وعدم حضهم على طعام المسكين؛ كما تواشجت المدّات مع النونات مما جعل الفواصل مناسبة جداً للترنم والإنشاد وإيقاع النبر عليها لاسترعاء انتباه المتلقي للتأمل في معانيها.

صوت الدال:

تواترت الدال رويّاً للفواصل تسعاً وعشرين مرة؛ وهي ((من الحروف الأسنانية الشديدة أو الإنسدادية المجهورة ذات مجهود غير هيّين في تقطيعها))⁽¹²⁾؛ ولذلك فهي تسكر الآية لما تتوفر عليه من الصفات الصوتية القوية. والدال مجهورة شديدة قلقة⁽¹⁾. وبذلك فهي معبّرة موحية في سياقات الوعيد والتهديد؛ فيكون روي الدال معبراً عن جنس موضوع السورة؛ ففي سورة البلد جاءت الفواصل دالية ست مرات؛

(1) ينظر: أنوار التنزيل: 813.
(2) سورة الماعون: 3.
(3) ينظر: المفردات: مادة (سكن).
(4) سورة الماعون: 5.
(5) المفردات: مادة (سها).
(6) سورة الماعون: 6.
(7) أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم الزمخشري، 1420 هـ - 2000 م، دار الفكر، بيروت - لبنان: مادة (رأى).
(8) ينظر: المفردات: مادة (رأى).
(9) سورة الماعون: 7.
(10) المفردات: مادة (منع).
(11) ينظر: كتاب إعراب ثلاثين سورة: 222.
(12) فنُّ القول عند المتنبي: 54.

كما ترددت الدال في غير الفواصل سبع مرات؛ وقد جاءت الفواصل قصيرة ذات إيقاع سريع في القسم وذلك في الآيات الثلاث الأولى؛ وتواترت الدال القوية بجهرها وشدتها في تخوم الآيات.

ثم جاء جواب القسم في الآية الرابعة متضمناً الفاصلة (كبداً): > ﴿ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ (2)؛ والكبد المشقة⁽³⁾ ومعنى (في كبد) أي في شِدَّةٍ ونَصَبٍ وتَعَبٍ⁽⁴⁾؛ وأصل الكبد ((من قولك كبد الرجل كبدًا^٥) فهو أكَبَدَ إذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة، ومنه اشتقت المكابدة)).⁽⁵⁾

ونظراً لكون الدال صوتاً انفجارياً؛ والانفجاري ((هو الذي يحدث عند التقاء عضوي النطق التقاء محكماً يمنع الهواء من المرور ثم ينفصل العضوان بسرعة ينشأ عنها صوت قوي))⁽⁶⁾؛ فقد ساهم -صوت الدال- في تصوير المعنى -أي المشقة- والإيحاء به. والدال في فاصلة الآية السادسة وإن لم تأت رويّاً للفاصلة، بل جاءت قبل الروي إلا أنها رسمت المعنى؛ وقوله تعالى: ﴿ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ أي كثيراً متلبّداً⁽⁷⁾؛ فالمعنى هو الكثرة⁽⁸⁾؛ ولكون صوت الدال صوت مستقل ومنفتح⁽⁹⁾ فقد عبّر عن معنى الكثرة أجمل تعبير.

صوت الراء:

جاءت الفواصل رائية ثماني وعشرين مرة -في المتن القرآني لدراستنا- وصوت الراء من الأصوات التي تخضع لقانون الجهد الأدنى؛ ومن صفات القوة فيه: الجهر والتكرار⁽¹⁰⁾؛ وهو متوسط بين الشدّة والرخاوة أي بين جريان الصوت وعدمه؛ كما أنه مذلق⁽¹¹⁾. وقد اختص صوت الراء بالتكرار ((لأنّ اللسان في المخرج يبعثر فيه حتى كأنه يعمل في حرفين مثلين نحو (مدد)، ويعدّ في الإمالة حرفان، وتكون الحركة فيه بمنزلة حركتين وكلّ هذه السمات وغيرها تعطيه خصائص تجعله يساهم مساهمة فعالة في البناء الإيقاعي))⁽¹²⁾؛ والراء يناسب الإنشاد والتلاوة. إنّ توفر صوت الراء على صفة التكرار جعل سورة القدر -على سبيل الأنموذج- صدى للترجيع؛ وقد تضاعف ذلك الصدى بسبب تواتر حرف الراء عشر مرات: خمس في الفواصل وخمس في غيرها.

(1) ينظر: أصوات اللغة العربية: 143، 145.

(2) سورة البلد: 4.

(3) ينظر: المفردات: مادة (كبد).

(4) ينظر: إعراب ثلاثين سورة: 98.

(5) الكشف: مجلد 4/255.

(6) أصوات اللغة العربية: 143.

(7) ينظر: المفردات: مادة (لبد).

(8) ينظر: الكشف: مجلد 4/256.

(9) ينظر: أصوات اللغة العربية: 145، وجرس الألفاظ: 137.

(10) ينظر: فن القول عند المتنبي: 55.

(11) ينظر: أصوات اللغة العربية: 142، وجرس الألفاظ: 138.

(12) الشعرية: 149.

ففي الفاصلة الأولى: دلالة (القدر) تبين كمية الشيء⁽¹⁾؛ وقد أوحى الراء عبر الترجيع عن الكثرة والشمولية وإنما سميت (ليلة القدر) لقدرها وشرفها على سائر الليالي.⁽²⁾

إنَّ دلالة القدر في قوله تعالى: > ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ <⁽³⁾ التكثر وليس التحديد؛ وقد أوحى صدى الراء بهذه الدلالة. وفي فاصلة الآية الخامسة: > ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ <⁽⁴⁾، يعني الفجر شق الشيء شقاً واسعاً⁽⁵⁾؛ ((ومنه قيل للصباح فجرٌ لكونه فجرَ الليل))⁽⁶⁾؛ فالراء عبر صداها توحى بمعنى الفجر فهو الشق المتسع.

من هذه الوقفة التحليلية الأسلوبية لأصوات الروي في قصار السور -في المتن القرآني لدراستنا- نخلص إلى نتيجة مفادها: إنَّ الفواصل المهيمنة هي فواصل مجهورة؛ والصوت المجهور إنما يعتمد على حركة وذنبية الوترين الصوتيين؛ وبذلك تتوفر الاصوات المجهورة على مساحة الاثارة الجهورية التي تتسق مع سياق الوعيد في قصار السور.

(1) ينظر: المفردات: مادة (قدر).

(2) ينظر: الكشاف: مجلد 273/4.

(3) سورة القدر: 3.

(4) سورة القدر: 5.

(5) ينظر: المفردات: مادة (فجر).

(6) المصدر نفسه: مادة (فجر).

جدول رقم (1)

جدول بروي الفواصل في قصار السور في المتن القرآني للدراسة.

الفواصل	الألف	الباء	التاء	الثاء	الجم	حاء	حاء	خاء	دال	ذال	راء	زاي	سين	شين	صا	صا	ضاد	طاء	ظاء	عين	غين	فاء	قاف	كاف	لام	ميم	نون	واو	هاء	ياء	همزة	اتاء القصيرة
الحمد																										3	4					
الطارق		2									3									1	2			4		2	3					
الاعلى	19																															
الغاشية			4								4									2					2							
الفجر		1									5																					
البلد									7	10																3						
الشمس	15																															
الليل	21																															
الضحى	8			1						2																						
الانشراح	2	2																					4									
التين																									1	7						
العلق	9	1																					2		3	1						
القدر											5																					
البينة																																
الزلزلة	5																								1							
العاديات	5																															
القارعة				1							3																					
التكاثر											2														2	4						
العصر											3																					
الهمزة																												2				

الفواصل	الألف	الباء	التاء	الثاء	الجم	حاء	حاء	خاء	دال	ذال	راء	زاي	سين	شين	صا	صا	ضاد	طاء	ظاء	عين	غين	فاء	قاف	كاف	لام	ميم	نون	واو	هاء	ياء	همزة	اتاء القصيرة
---------	-------	-------	-------	-------	------	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	----	----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	------	--------------

						5																											الفيل
									2						1													1					إيلاف
					6	1																										الماعون	
																				3												الكوثر	
					3	1																		2								الكافرون	
																									1					2		النصر	
																						1						4				المسد	
																						4										الإخلاص	
									2														2					1				الفلق	
																6																الناس	
46	0	9	0	0	30	14	7	4	8	2	0	4	1	0	0	0	6	0	28	2	29	0	1	0	4	6	9	86		المجموع			

الياء الصوتية الضعيفة: (الرخاوة، الاستفال، الانفتاح، اللين^(*))⁽¹⁾؛ وظفت اسلوبياً في سياق الرحمة الإلهية في هاتين الفاصلتين.

وفي سورة العلق تميّزت الآية الأخيرة بعدة سمات:

- طولها النسبي مقارنة بالآيات التي تسبقها.

- تواتر الأساليب الإنشائية الطلبية فيها.

- العدول في الفاصلة الختامية؛ إذ جاءت الفاصلة الختامية على الباء بينما اطردت الآيات الأربع التي سبقتها على الهاء فتحقق (السياق الأسلوبي)؛ لأن صوت الباء تغلب عليه الصفات القوية فهو مجهور شديد⁽²⁾؛ بينما صفات الهاء الضدية يغلب عليها الضعف فهي مهموسة رخوة⁽³⁾؛ وبينما يتصف صوت الباء بالإذلاق تتصف الهاء بالإصمات⁽⁴⁾.

ومما عزز هذا السياق الأسلوبي وجود الهاء المهتوتة رويماً للفواصل عند تخوم الآيات؛ وفي موضع بيني داخل الآية الختامية؛ وإنما سميت مهتوتة ((لما فيها من الضعف والخفاء. فتحتاج إلى النطق الموضح لها وهو (التهت)).⁽⁵⁾

فالمفعول الأسلوبي للعدول في الفاصلة الختامية يكمن في خرق الثبات والتماثل بين روي الفواصل المتواطئة على الهاء، هذا الخرق يتم عبر حرف الباء المضاد في صفاته القوية للصفات الصوتية الضعيفة في حرف الهاء. إن هذا الخرق أو العدول في الفاصلة الأخيرة يضيف مسحة جمالية يتواشج فيها المستويان الصوتي والدلالي.

فعلى المستوى الدلالي للمقطع القرآني:

يُعدّ السياق القرآني هنا سياق وعيد شديد تصدر بـ (كلا) وقد جاء السياق مؤكداً مرتين: باللام؛ وبنون التوكيد الخفيفة في (لنفسعا)؛ ويتوفر اللفظ القرآني الأخير على جرس موسيقي يوحى بظلال

(*) تعني صفة اللين امتداد الصوت لاندفاع الهواء من الرتتين فالحنجرة فالحلق فالفم دون عوائق؛ وإنما احتملت الياء المد لأنها ساكنة اتسع مخرجها. ينظر: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، د. محمد كريم الكوّاز، ط1، 1426م، مكتب الإعلام والبحوث والنشر بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي: 339، وينظر أيضاً: جرس الألفاظ: 137.

(1) ينظر: التمهيد في أحكام التجويد: 85، وجرس الألفاظ: 137، وأصوات اللغة العربية: 145.

(2) ينظر: جرس الألفاظ: 137.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 137.

(4) ينظر: أصوات اللغة العربية: 146.

(5) المصدر نفسه: 147.

(6) سورة العلق: 15-19.

المعنى؛ فالسفع في اللغة اللطم والأخذ بشدة⁽¹⁾. وتتفرد سورة العلق بورود هذا اللفظ فيها دون سائر سور القرآن⁽²⁾؛ ويكمن الجرس الموسيقي القوي لهذا اللفظ في صوت الفاء الذي مخرجه من الشفة مع الأسنان⁽³⁾ فهو صوت ذو جرس قوي احتكاكي؛ كما يكمن في صوت العين الذي يأتي دائماً لتصوير جسامة الحدث، وإضفاء طابع العنف وشدة الفعل⁽⁴⁾؛ فكأن صوت العين يشي بشدة السفع وقوته؛ ومما يقوي المعنى مجيء الفعل مؤكداً بنون التوكيد الخفيفة.

إنَّ سياق هذا المقطع القرآني -كما ألمعنا- سياق وعيد شديد؛ بيد أنَّ الآية الأخيرة تميزت باستطالتها وبعُدول الأسلوب القرآني فيها إلى خطاب الرسول (5) فاختلف السياق مما يقتضي اختلاف الفاصلة والعدول إلى فاصلة جديدة ولذلك جاءت الفاصلة الختامية على روي الباء.

كما تكثفت الأساليب الإنشائية الطلبية -في الآية الختامية-: النهي في (لا تطعه)؛ والأمر في (اسجد) و(اقترِب)، والأساليب الإنشائية من شأنها أن تثبت الحيوية والحركة في النص ومن خلالها يدخل المتلقي الذي تتوجه إليه هذه الأساليب طرفاً مشاركاً فعلاً⁽⁵⁾.

والخطاب هنا -في الآية الختامية- وإن توجَّه للنبي (5) فإنَّ دلالة السورة عامة في كل مؤمن طائع عابد داعٍ إلى الله وكل طاغ باغ ناهٍ عن الصلاة⁽⁶⁾.

وفي (اقترِب) في الفاصلة الختامية نلاحظ الدنو والقربى من الله تعالى؛ فالعبد أقرب ما يكون من الله تعالى وهو ساجد وهكذا ((يأخذ الاقتراب من الله مكانه ختاماً للآية، وليس بعد القربى من الخالق غاية يطمع إليها العابد الساجد))⁽⁷⁾.

وفي سورة المسد يتشكل السياق الأسلوبي من تواتر فواصل الآيات الأربع الأولى على روي الباء؛ والعدول أو الانزياح في الفاصلة الختامية إلى روي الدال.

إنَّ الصفات الصوتية القوية لحرف الباء المتمثلة بـ (الجهر والشدة والقلقلة)⁽⁸⁾ متعادلة مع الصفات الصوتية القوية للدال؛ بيد أنَّ ثمة فروق جوهرية بينهما؛ فالباء من صفاتها المتوسطة (الإدلاق)⁽⁹⁾؛ على حين أنَّ صفة الدال المتوسطة هي (الإصمات)⁽¹⁰⁾ وثمة فرق صوتي جوهري

(1) ينظر: أساس البلاغة: مادة (سفع).

(2) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، د.ت. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان: مادة (سفع).

(3) ينظر: أصوات اللغة العربية: 126.

(4) ينظر: الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، كريم اللامي، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، 1418هـ- 1997م، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية: 33.

(5) ينظر: الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، د. فتح الله أحمد سليمان، طبعة مزيدة ومنقحة، 1425هـ - 2004م، الناشر، مكتبة الآداب: 69.

(6) ينظر: في ظلال القرآن: مجلد 8/ج30: 208.

(7) التفسير البياني للقرآن الكريم: 35/2.

(8) ينظر: التمهيد في أحكام التجويد: 84، وأصوات اللغة العربية: 135، 144.

(9) ينظر: أصوات اللغة العربية: 84.

(10) ينظر: التمهيد في أحكام التجويد: 84.

آخر بينهما؛ وهو أن مخرج الباء الشفتان معاً مع إطباقهما إطباقاً تاماً⁽¹⁾؛ فصوت الباء يخضع لقانون الجهد الأدنى.

على حين حرف الدال ((من الحروف الأسنانية الشديدة أو الإنسدادية المجهورة ذات مجهود غير هيّين في تقطيعها))⁽²⁾. وهذا التباين في الصفات الصوتية بين الباء والدال ضروري لتشكيل سياق أسلوبى قوامه القطع والخرق الصوتى.

وثمة تواشج بين المستويين الصوتى والدلالى فى الفاصلة الخامسة -الختامية- :

< ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ >⁽³⁾.

إذ ((المَسْدُ: الذى قُتِلَ من الحبال فتلاً شديداً من ليف كان أو جلد أو غيرهما))⁽⁴⁾؛ و((المسد مصدر مسد الحبل يمسه إذا أحكم قتله))⁽⁵⁾؛ وسواء أكان المَسْدُ يُتَّخَذُ من جريد النخل أم من جلود الإبل أو غيرهما⁽⁶⁾؛ فإن الملحظ الدلالى المهم فى هذه المفردة القرآنية هو دلالة القتل: فَيُؤَسَدُ الحبلُ أى: يُفْتَلُ⁽⁷⁾ وقد خصصه الزمخشري بالفتل الشديد وهذه المعانى متسقة مع الصفات الصوتية القوية لصوت الدال: (الجهر، الشدة، القلقة)؛ وكما ألمعنا فإن تقطيع الدال يحتاج إلى جهد غير هيّين، كما أن مَسْدَ الحبل يحتاج إلى مثل هذا الجهد.

(1) ينظر: أصوات اللغة العربية: 124.

(2) ينظر: 21 من هذه الدراسة.

(3) سورة المسد: 5.

(4) الكشف: مجلد 4 / 497.

(5) إعراب ثلاثين سورة: 244.

(6) ينظر: المفردات: مادة (مسد)؛ وتفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسى، د.ت. الناشر مكتبة النصر الحديثة،

الرياض: مجلد 8/224.

(7) ينظر: المفردات: مادة (مسد).

ثانياً: التكرار الصوتي:

أ- تكرار الصوت المفرد:

على الرغم من العلاقة الاعباطية بين الدال ومدلوله في حالة الأفراد؛ فإن العلاقة بينهما علاقة وثيقة في حالة التركيب والدخول في سياق؛ وكذلك الحروف أو الأصوات لا تكتسب معانيها إلا عبر دخولها في نسق الكلام⁽¹⁾؛ إذ إنَّ أصوات الحروف تكتسي قيمة دلالية فضلاً على وظيفتها التمييزية الرئيسة⁽²⁾؛ وذلك ما تبخه نظرية المحاكاة؛ ((كما أن اللسانيات الحديثة لم تتجاوز تجاوزاً كلياً نظرية المحاكاة لأنها أفردت لمثل هذه الأصوات قسماً خاصاً أسمته المحاكيات Oromatopeas بحثت فيه ودرست الكلمات التي تحمل في صوتها معناها))⁽³⁾ وهو ما يصطلح عليه لسانياً بـ (الدلالة الإيحائية)؛ إذ تبدو الأصوات بالنسبة للمتلقى صدى لمعاني الكلمات (تناغم محاكي)؛ فتأثير الإجراء الأسلوبى يفترض تأليفاً لقيم دلالية وصوتية⁽⁴⁾؛ وهذا التأليف يعد بالغ الأهمية في سلم مستويات التحليل الأسلوبى؛ إذ تتواشج فيه البنيتان الإيقاعية والدلالية⁽⁵⁾؛ فهو محاولة لإرساء روابط وثيقة بين الدال والمدلول تتجاوز العلاقة الاعباطية بينهما في اللغة العادية.

إن لأصوات الحروف في السياقات اللغوية الأدبية دلالات مشعة؛ فقد يكون ثمة صوت بعينه أو مجموعة أصوات يكون لها مغزى أو تبعث شعوراً معبراً؛ وفي هذه الحالة يتفوق جرس الصوت على منطق اللغة -القائل باعباطية العلاقة بين الدال ومدلوله- فيخرج عن كونه مجرد صوت إلى إحياء بالمعنى.⁽⁶⁾

لقد اتخذ الأسلوب القرآنى المعجز من ترديد بعض الأصوات تقنية فنية رائعة؛ إذ يقوم جرسها الصوتى بما تقوم به الموسيقى التصويرية ((فعلاقة الجرس بحقيقة الجمال لا تتركز في حسن الصوت فحسب، وإنما فيما يثيره هذا الصوت المسموع في انفعال ذاتي للإنسان، لأن أثر الكلمة الملفوظة لا يتحدد في إثارة حاسة السمع، وإنما في إثارة الجوانب الروحية الكامنة في ذات الإنسان أيضاً)).⁽⁷⁾

إن التوقيع عبر تقنية ترديد الصوت إنما هو تعبير أدبي؛ فالتوقيع تعبير كما أن التعبير توقيع عبر التردد، فالمبدع يوقع حين يُعبّر ويُعبّر حين يوقع⁽⁸⁾ من خلال التردد الذي هو نمط من أنماط الموسيقى الداخلية.

إن دراسة (المهيمنات الصوتية) في النص الأدبي ضرورة منهجية إذ تتجلى فيها العلاقة الوثيقة بين المستويين الصوتي والدلالي؛ فالانتقاهات العالية لأصوات بعينها وتكرارها تُعدُّ إجراءً أسلوبياً من الطراز الأول وذلك إذا تبيننا تعريف الأسلوب باعتبار مقولة الاختيار؛ إذ ينبغي أن يكون الصوت مطابقاً لطبيعة الفكرة أو المعنى أو المشهد أو العاطفة التي يعبر عنها؛ إذ تتوفر بعض الأصوات على قدرة تعبيرية كامنة سرعان ما يوظفها المبدع الفنان؛ فتفعل هذه الأصوات

(1) ينظر: فنّ القول عند المتنبي: 56.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 59.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 59.

(4) ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 60.

(5) ينظر: البنى الأسلوبية في (أنشودة المطر) : 132.

(6) ينظر: الدلالة الصوتية في القرآن الكريم: 49.

(7) جرس الألفاظ: 310.

(8) ينظر: فنّ القول عند المتنبي: 112.

فعلها السحري بوصفها أنغاماً موسيقية تجعل المتلقي يستشعر المعنى عبر إحياءات الصوت ونغماته العذبة؛ فتكرار الحروف خطوة أولى في النسيج الإيقاعي المركب للنص الأدبي.⁽¹⁾

- صوت الياء:

تكتسب سورة البينة إيقاعها من هذا الرنين الموسيقي الناجم عن ترديد صوت الياء؛ وهو صوت يعد من (المهيمنات الصوتية) في المتن القرآني لدراستنا؛ إذ تردد فيه ثلاثمائة وخمس مرات⁽²⁾؛ وتردد في مجمل القرآن خمساً وعشرين ألفاً وتسعمائة وتسع مرات⁽³⁾. لقد شكل صوت الياء مهيماً صوتياً في سورة البينة؛ إذ تكرر إحدى وثلاثين مرة؛ وهو صوت (رخو، مستقل، منفتح)⁽⁴⁾؛ وهذه الصفات الصوتية الضعيفة تناغم موضوع السورة والحقائق التي تتحدث عنها.

فالسورة بدءاً من عنوانها الأدبي البارع: (البينة)؛ تطمح بمعاني الرحمة بأستثناء الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾

رسول الله (5)⁽⁷⁾؛ و(رسول)⁽⁵⁾ فالبينة الحجة أو الدلالة الواضحة⁽⁶⁾؛ والبينة ههنا

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾

الرحمة الإلهية المهداة للعالمين؛ والياء الرخية اللينة في مفردة (البينة) تتسق مع معنى الرحمة والالطف الإلهي بإرسال الرسول (5).

فالحقيقة الأولى والتي جاءت في الآية الأولى في هذه السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾

(1) ينظر: الشعرية: 127.

(2) ينظر: الجدول الملحق في نهاية هذا البحث؛ جدول رقم (2) والخاص بتكرار الأصوات المفردة في قصار السور. وإليه نحيل تلقائياً في الحالات المشابهة.

(3) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، 1964م، دار إحياء التراث العربي: 564.

(4) ينظر: التمهيد في أحكام التجويد: 85، وأصوات اللغة العربية: 145.

(5) سورة البينة: 6.

(6) ينظر: الكشف: مجلد 274/4، والمفردات: مادة: (بان).

(7) ينظر: إعراب ثلاثين سورة: 156.

(8) سورة البينة: 2.

(9) ينظر: الكشف: مجلد 274/4.

٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١
(1) < ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١

والبريئة: الخلق؛ والأصل البريئة بالهمزة فتركوا الهمزة تخفيفاً؛ وهو □ من بَرَأَ اللهُ الخَلْقَ، وسميت بريئة من البرى أي التراب(2). والله تعالى هو البارئ المصوّر. وهذا المعنى -كونه تعالى البارئ للخلق- من معاني الرحمة ومن مصاديقها العظيمة؛ وقد أوحى صوت الياء اللين بهذا المعنى خصوصاً في الآية السابعة.

وقد لجأ الأسلوب القرآني المعجز إلى (التشديد) في المفردات القرآنية: (البيئة، القيمة، البريئة) وهذا التشديد أو التضعيف إنما هو ضغط على فونيم الياء لتأكيد وإبراز دلالة هذه المفردات؛ عبر إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع.

لقد تواترت المدّات بشكل لافت في الآيتين الختاميتين في السورة > ٢٤٣٢١
٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١
٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١
٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١
٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١
٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١
٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١
(3) < ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١ ٢٤٣٢١

فتكررت الياء سبع مرات والواو ست مرات في سياق قرآني من سياقات الرحمة والرضوان.

صوت اللام:

يُعدُّ صوت اللام أكثر (المهيمنات الصوتية) تواتراً في قصار السور في المتن القرآني لدراستنا إذ تردد خمسمائة وبضعاً □ وسبعين مرة؛ كما أنه من (المهيمنات الصوتية) في مجمل القرآن؛ إذ يأتي بعد صوت الألف في تواتره؛ عبر ترده ثلاثاً وثلاثين ألفاً وخمسمائة واثنين وعشرين مرة(4). ويمكن توجيه ذلك أسلوبياً بكون صوت اللام يخضع لقانون الجهد الأدنى في تقطيعه؛ وبحسب اللسانيات فإنّ التواتر في اللغة يخضع في جملة ما يخضع إلى المجهود الذي يبذله المتكلم في تقطيع الكلام.

سننخذ من سورة البلد أنموذجاً لترديد صوت اللام؛ تضم سورة البلد جملة من الحقائق الأساسية في حياة الإنسان؛ لعلّ أهمها الحقيقة التي تضمنتها الآية الثالثة والتي جاءت مؤكدة بحكم

(1) سورة البيّنة: 6-7.

(2) ينظر: المفردات: مادة (برأ)، وإعراب ثلاثين سورة: 16.

(3) سورة البيّنة: 7-8.

(4) ينظر: بصائر ذوي التمييز: 564.

كونها جواب القسم أو المقسم عليه: > ﴿لَا يَأْتِيَنَّكَ السُّعْيُ﴾ (1)؛ أي في تعب ومشقة؛ والإنسان لا يزال في شدائد مبدأها ظلمة الرحم وضيقة ومنتهاها الموت وما بعده. (2)

لقد تردد صوت اللام في سورة البلد تسعاً وعشرين مرة، وهو صوت ضعيف بحكم هيمنة الصفات الصوتية الضعيفة فيه: (الاستفال، الانفتاح، التوسط، الميوعة) (3)؛ وهذه الصفات الصوتية تتسق تماماً مع حقائق السورة التي ألمعنا إليها آنفاً.

وفي الآية الثانية ترد المفردة القرآنية (حلّ) في قوله تعالى: > ﴿وَلَمَّا حُلَّتْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (4)؛

حلّ الأحمال عند النزول ثم جرّد استعماله للنزول فحليل حلّ (حلولاً) (6)؛ فالحلول في المكان النزول فيه؛ فالنازل حال والمكان محلول فيه (7)، فيقال ((حللت الدار، وحللت بالقوم)) (8) فمعنى الحلول النزول والسكن وهذا المعنى يعني الاستقرار والراحة فيقال: ((فلان في حلّة صدق)) (9).

وصوت اللام بحكم كونه مانعاً وهو الصوت الذي يحدث نتيجة التقاء عضوي النطق التقاءً غير محكم بحيث يتسع مجرى الهواء فلا يصدر أي نوع من الحفيف لعدم احتكاك الهواء بطرف اللسان فيخرج الصوت معتدلاً سهلاً لعدم اكتمال انحباسه (10)؛ فبحكم ذلك يعبر صوت اللام عبر اعتداله وسهولة انسيابه، عن ظلال المعنى الحافة بالمفردة القرآنية: (حلّ).

وفي الآية السادسة: > ﴿وَلَمَّا حُلَّتْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (11)؛ تواترت اللامات أربع مرات؛ وجاءت المفردة القرآنية (لَبَدًا) فاصلة للآية؛ ومعنى تلبدّ في اللغة تلصّق، وتلبد الشعر والصوف تلصق. (12)

أما في الاستعمال القرآني فالمتلبدّ المجتمع قال تعالى: > ﴿وَلَمَّا حُلَّتْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (13) أي لبّذات مجتمعة بعضها فوق بعض. (14) وقد جاء الضغط الصوتي المسلط على اللام عبر تضعيفها؛ جاء لإثراء الدلالة وتكثيفها؛ إذ أوحى اللام المشددة بكثرة المال كأنه طبقات متراكمة متراكبة تراكب وتلبدّ اللام المضعفة.

- (1) سورة البلد: 4.
- (2) ينظر: أنوار التنزيل: 799.
- (3) ينظر: أصوات اللغة العربية: 142، 143، 145، والتمهيد في أحكام التجويد: 85.
- (4) سورة البلد: 2.
- (5) ينظر: أساس البلاغة: مادة (حلل) وإعراب ثلاثين سورة: 98.
- (6) المفردات: مادة (حلل).
- (7) ينظر: إعراب ثلاثين سورة: 99.
- (8) أساس البلاغة: مادة (حلل).
- (9) المصدر نفسه: مادة (حلل).
- (10) ينظر: التمهيد في أحكام التجويد: 80، وأصوات اللغة العربية: 143.
- (11) سورة البلد: 6.
- (12) ينظر: أساس البلاغة: مادة (لبد).
- (13) سورة الجن: 19.
- (14) ينظر: المفردات: مادة (لبد)، وإعراب ثلاثين سورة: 99، وأنوار التنزيل: 799.

صوت الميم:

تردد صوت الميم في المتن القرآني لدراستنا ثلاثمائة وثلاثاً¹ وتسعين مرة، وتردد في مجمل القرآن ستاً² وعشرين ألفاً ومائة وخمس وثلاثين مرة⁽¹⁾. ويمكن توجيه ذلك بكون الميم صوت شفوي المخرج؛ فلا يتطلب تقطيعه مجهوداً؛ فهو خاضع إلى قانون المجهود الأدنى؛ كما أنه يتخذ من المفردة التي يرد فيها موقعاً جمالياً بوصفه من حروف الذلاقة⁽²⁾.

تُعدُّ سورة الحمد -أو فاتحة الكتاب أو أم القرآن أو السبع المثاني-⁽³⁾ أكثر سور القرآن تردداً إذ يثنى بها في كل صلاة؛ وهي تقوم على الترنم والإنشاد بامتياز؛ و(المهيمنات الصوتية) فيها:

- الميم وقد ترددت ثلاث عشرة مرة.
- النون وقد ترددت تسع مرات.

- المدات: إذ ترددت الياء اثنتي عشرة مرة؛ والألف إحدى عشرة مرة.

وتلك -الميم والنون والمدات- هي الحروف الطبيعية في الموسيقى نفسها؛ والعرب إذا ترنمت تلحق الألف والياء والنون، لأنها تريد مد الصوت، وتترك ذلك إذا لم تترنم⁽⁴⁾؛ والياء والألف من الصوائت الطويلة التي تكسب اللفظة مداً وفضاءً أكبر؛ نظراً لتمتعها بخاصية الجهر والوضوح السمعي⁽⁵⁾.

لقد جاءت الفواصل من النوع المتقارب الروي؛ إذ جاءت الفواصل نونية أربع مرات؛ وميمية ثلاث مرات؛ والنون والميم صوتان متقاربان بصفاتهما الصوتية؛ فصوت الميم: مستقل، منفتح، متوسط، أغن ويتوفر صوت النون على الصفات عينها⁽⁶⁾.

إنَّ السياق في سورة الحمد هو سياق الرحمة؛ إذ إنها -السورة- ترنيم المناجاة والدعاء؛ فهي تردد عشر مرات في اليوم على الأقل؛ والمقام فيها مقام المثل بين يدي المولى تعالى؛ ولكي يطول الدعاء والوقوف بين يدي المولى؛ ينبغي أن يكون الإيقاع هادئاً رخواً؛ وهذا ما تقوم به المدات إذ تواترت بضعاً وعشرين مرة. لقد صار صوتا الميم والنون بفعل صفتيهما الصوتيتين: (الميوعة والغنة) وسيلة من وسائل أداء الدلالة؛ إذ أصفيا على السورة جواً من الهدوء والشجن يناغم موضوع السورة.

ونهض أسلوب الالتفات -على مستوى التركيبي- بمهمة تشكيل (سياق أسلوبية) عماده ذلك التنوع في بنية الضمير وتناوبه بين الغيبة والخطاب:

(1) ينظر: بصائر ذوي التمييز: 564.

(2) ينظر: فن القول عند المتنبي: 52.

(3) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، 1409هـ-1989م، دار المعرفة، بيروت - لبنان: مجلد 37-36/1.

(4) ينظر: من بلاغة القرآن: 75.

(5) ينظر: التنوعات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ط1، 1997م-1417 هـ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن: 133.

(6) ينظر: أصوات اللغة العربية: 145-146.

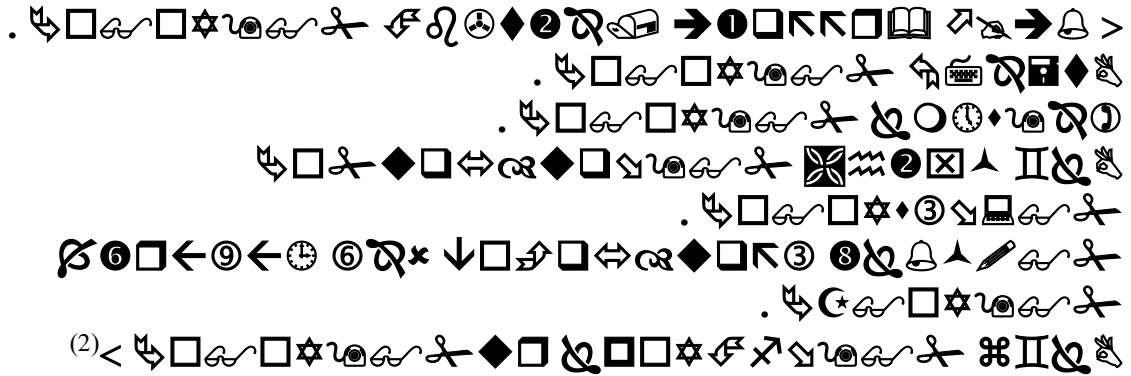
﴿ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾

إن (أنا) المتكلم في النص تتحدث عن نفسها بضمير الغائب فتحمو المسافة بين الذات الفاعلة وذات مفعولها محواً مذهباً، إنها تشير إلى ذاتها من موقع الغائب كأنها تعلمها بذلك درس تمجيدها.⁽²⁾

والنكته في هذا الالتفات أن العبد إذا ذكر المولى تعالى ((الحقيق بالحمد عن قلب حاضر، ثم ذكر صفاته التي كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال، وآخرها ﴿ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾⁽³⁾ المفيد أنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء، يجد من نفسه حاملاً لا يقدر على دفعه، على خطاب من هذه صفاته بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات)).⁽⁴⁾

(1) سورة الحمد: 2-5.
 (2) ينظر: النص القرآني من الجملة إلى العالم، وليد منير، ط1، 1418 هـ - 1997 م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة: 47.
 (3) سورة الحمد: 4.
 (4) أنوار الربيع: 363/1.

فيكون مجمل معنى الآية: أعود برب الفلق من شر ((النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط. وينفثن عليها ويرقين، والنفث: النفخ مع ريق)).⁽¹⁾ وهكذا كان صوت القاف القوي الشديد متنسفاً مع المعاني التي عبّرت السورة عنها من التفليق والخلق والوقب والنفث في العقد. ومن نماذج شيوع (المهيمنات الصوتية) في سورة معينة، ما نجده من شيوع صوت السين في سورة الناس:



إنّ المتأمل في هذه السورة يلحظ أنّ إيقاعها يكمن في انتقاء ألفاظ ذات جرس موسيقي ونظمها في نسق قرآني خاص؛ وصلة ذلك بالجو العام الذي أضفته السورة، كما يكمن إيقاعها في جانب كبير منه بترديد صوت السين لعشر مرات؛ وهو صوت رخو (*) مهموس مستقل منفتح⁽³⁾ وجميع هذه الصفات الصوتية ضعيفة؛ وقد عبّرت -لاسيما صفة الهمس- عن معنى الوسوسة وهي الخطرة الرديئة وأصله من الوسواس وهو الهمس الخفي⁽⁴⁾ كما أنّ توفر صوت السين على صفة الصفير (*) -وإنما وسمت السين بهذا الوسم لانحصارها بين الثنايا وطرف اللسان-⁽⁵⁾ عبّر هو الآخر عن المعنى؛ ونحن هنا إزاء ما يمكن أن نطلق عليه (الأداء الصوتي) للمعنى؛ إذ يوحي الصوت بالمعنى ويرسم ظلاله.

وقد عززت أصوات أخرى صوت السين لترسم لنا هذه الوسوسة بالأصوات ومنها صوت الواو وهو صوت مجهور شفوي المخرج⁽⁶⁾ والذي جاء بين السينات المطردة بضم الشفتين ضمات متتالية تلعب دوراً كبيراً في تصوير موقف التحريض الهماس على ارتكاب الآثام.⁽⁷⁾ من هذه الوقفة التحليلية الأسلوبية الصوتية لتردد الأصوات المفردة في قصار السور؛ ومن التأمل في الجدول الخاص بتردد الأصوات المفردة في قصار السور (جدول رقم 2)^(*)؛ في نهاية هذا المبحث نخلص إلى نتيجة مفادها:

(1) الكشاف: مجلد 4/301.

(2) سورة الناس: 1-6.

(*) الرخو: هو الذي يجري فيه الصوت (الهواء)؛ ينظر: أصوات اللغة العربية: 142.

(3) ينظر: أصوات اللغة العربية: 135، 145.

(4) ينظر: المفردات: مادة (وسوس).

(*) الصفير صوت يشبه صوت الطائر؛ ينظر: التمهيد في أحكام التجويد: 82.

(5) ينظر: التمهيد في أحكام التجويد: 82، وأصوات اللغة العربية: 126.

(6) ينظر: جرس الألفاظ: 137، وأصوات اللغة العربية: 124.

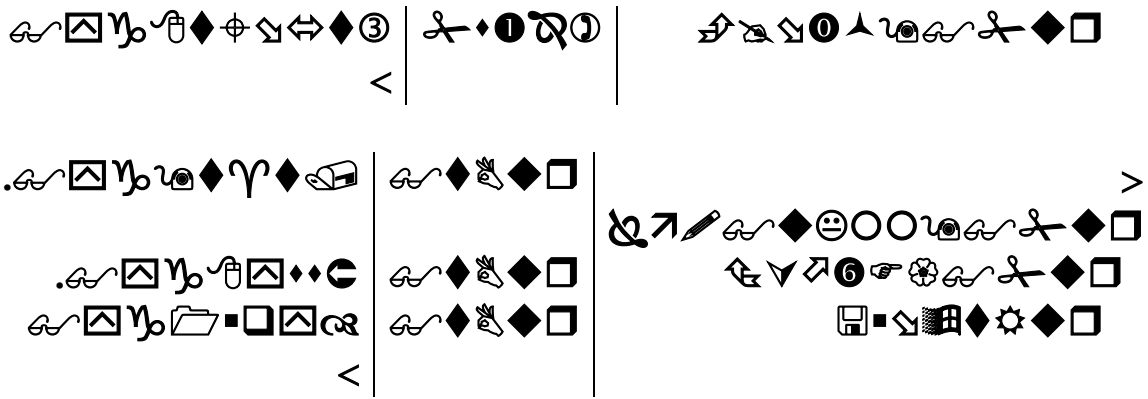
(7) ينظر: دراسات قرآنية في جزء عمّ: 100.

إنَّ الأسلوب القرآني المعجز في هذه السور يتجنب ما يضيق به مجال الكلام في بعض الحروف أو الأصوات كالثاء والذال والحاء والشين والصاد والطاء والظاء والغين ففي الأصوات الباقية مندوحة عن استعمال ما لا يَحسن من هذه الحروف.

(*) حاولنا استخدام برنامج للحاسوب لإحصاء تكرار الحروف في قصار السور؛ وقد تعذر علينا ذلك لأسباب فنية؛ فلجأنا إلى الإحصاء أو العد اليدوي؛ وغير خافٍ أنَّ هذه العملية لا تخلو من هامش ضيق للخطأ أو السهو؛ بيد أنه على الإجمال يمكن اعتماد معطيات هذا الجدول.

جدول رقم (2)
جدول بتكرار الحروف المفردة في قصار السور في المتن القرآني للدراسة.

التاء القصيرة	الهمزة	الباء	الهاء	الواو	التون	الجم	اللام	الكاف	القاف	الفاء	الغين	العين	الظاء	الطاء	الضاد	الصاد	القين	السين	الزاي	الراء	الدال	الذال	الغاء	الحاء	الجم	الثاء	التاء	الباء	الألف
76	282	305	209	335	335	393	576	156	101	164	24	158	20	31	27	57	36	121	23	258	106	144	45	83	58	35	155	194	623



تؤدي البنية النحوية في هذا النسق القرآني وظيفتين: أحدهما- وظيفة جمالية.

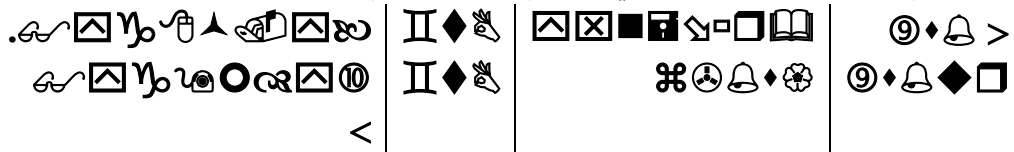
والأخرى- دلالية تتمثل في مساهمة التركيب النحوي في إنتاج الدلالة. فبشأن الأولى تكمن جمالية هذا النسق القرآني في المواقع النحوية المتعادلة أو المتقابلة؛ وفي هذا التماهي بين التراكيب والجمال القرآنية؛ أي في التنضيد أو الترصيف الرائع.

أما بشأن الوظيفة المرتبطة بالمستوى الدلالي والتي عبّر فيها التشكيل اللغوي عن المعنى؛ فإن عناصر البنية النحوية في القسم تتوفر على مناسبة فيما بينها؛ ((فضوء القمر من ضوء الشمس والشمس وضحاها عبارة عن النهار فكلمات الشمس طالعة كان النهار موجوداً والعكس صحيح، ويتناسب ذلك كله تناسب الضدية مع ما بعده من قوله تعالى: >

السماء وبنائها على تقابل الضدين مع الأرض وانبساطها في قوله:

هذا المذكور من أفراد العالم الكبير متبوعاً ومشفوعاً بذكر العالم الصغير الذي هو الإنسان والنفس البشرية وذلك في قوله تعالى: > ((232)) (233).

ثم تكرر التجانس التركيبي لينتظم جواب القسم:



وهكذا فإن نسق المفارقة ينتظم سورة الشمس بأسرها؛ وقد عبّر التشكيل اللغوي عن المعنى أجمل تعبير وذلك من خلال نسق المفارقة:

التجلي	التخفي
الشمس	القمر

(230) سورة الشمس: 4.

(231) سورة الشمس: 5- 6.

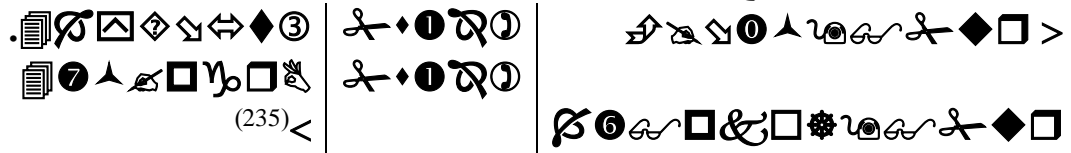
(232) سورة الشمس: 7.

(233) مقالة: براعة الاستهلال في فواتح سورة القرآن، الشيخ عبد الغني الراجحي، مجلة منبر الإسلام، عدد 8،

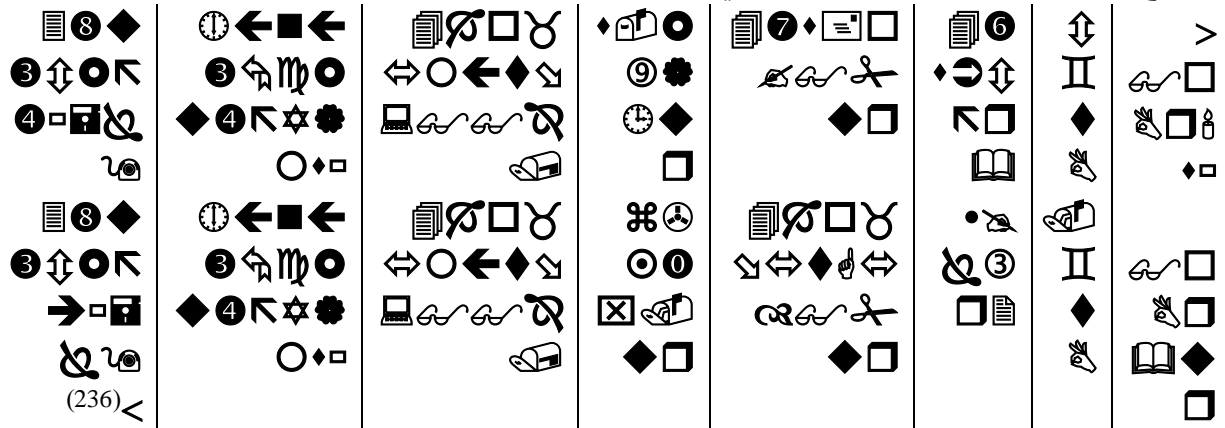
سنة 1968: 77.

النهار	الليل
الفلاح	الخبية
التزكي	التدسي

إنّ هذا التماهي بين القسم وجوابه في نسق المفارقة تحقق عبر التجانس التركيبي أو التعادل النحوي الذي أضفى تعادلاً صوتياً ويتضمن الأخير تعادلاً معنوياً -حسب جاكسون-⁽²³⁴⁾.
 إنّ هذه التراكيب القرآنية المتجانسة معبرة بنفسها دالة بشكلها.
 وسورة الليل أنموذج آخر للشكل-المعنى:



فهذه العلاقة الضدية في صدر السورة بين جزئي القسم: الليل والنهار تتسق مع جواب القسم؛ الذي أضفى عليه التجانس التركيبي مسحة جمالية وجاء في سياق التفصيل بـ (أما)؛ إذ انتظمت الآيات الأربع مثني مثني عبر التجانس التركيبي:



تأمل هذا التنضيد اللغوي والمواقع النحوية المتعادلة تماماً عبر الاشتغال على نظام نحوي واحد:
 أ- الفاء العاطفة + أما (أداة شرط وتفصيل) + من (اسم موصول) + فعل ماض + الواو (العاطفة) + فعل ماض.

ب- الواو (العاطفة) + فعل ماض + جار ومجرور (متعلق بالفعل الماضي) + الفاء الجوابية للشرط + سين التنفيس + فعل مضارع + الهاء (مفعول به) + جار ومجرور متعلق بالفعل المضارع.

فالتناسب التركيبي أوحى بالمناسبة والتساوق بين المقسم به والمقسم عليه:

 هو إجمال تمّ تفصيله في هذه الآيات الأربع؛ فهذه المناسبة واضحة جليّة من خلال نسق المفارقة:

(234) ينظر: في سيمياء الشعر العربي القديم: 35.

(235) سورة الليل: 1-2.

(236) سورة الليل: 5-10.

(237) سورة الليل: 4.

التجلي	التغشي
النهار	الليل
تجلى	يغشى
أعطى	بَخَلَ
أتقى	استغنى
صدَّق	كذبَ
اليسرى	العُسرَى
الأتقى	الأشقى

لقد ضم القسم هذه المتضادات : (الليل، النهار)، (الذكر، الأنثى)؛ وجاء جواب القسم متساوياً مع هذا التضاد والتباين وهو أن □ الناس متباينون ومتفاوتون في سعيهم. وقد شكل التجانس التركيبي (مقابلة) رائعة بين الأفعال: (أعطى/بَخَلَ)، (أتقى/استغنى)، (صدَّق/كذب)؛ وإذا كانت العلاقة الضدية بين الإعطاء والبخل؛ والتصديق والتكذيب واضحة؛ فما وجه كون الاستغناء ضد التقى في بنية (المقابلة)؟. إنه ((مبني على اعتبار ما يلزم الاستغناء من ترك الإتقاء، إذ المراد باستغنى، أنه زَهَدَ فيما عند الله)). (238)

وفي سورة الغاشية يستعمل التجانس التركيبي في وصف الجنة:

والجدير بالملاحظة دقة التجانس التركيبي في الآيتين: الثانية عشرة والثالثة عشرة:

إذ عمد الأسلوب القرآني المعجز إلى إظهار الجار والمجرور (فيها) ثانية في الآية الثالثة عشرة؛ فتوفرت هاتان الآيتان على التجانس التركيبي؛ فهذا التعادل التركيبي والصوتي ينطوي على تعادل دلالي.

(238) أنوار الربيع: 299/1.

(239) سورة الغاشية: 12 – 16.

(240) سورة الغاشية: 12 – 13.

وقد جاء التجانس التركيبي في الآيات الأربع الآتية من سورة الغاشية في سياق الحجاج والاستدلال على عظمة المولى وقدرته:

إن التجانس التركيبي في هذا السياق القرآني تقنية لتوحيد الإيقاع بين الآيات؛ فقد جاءت الفواصل متفقة في الوزن والروي الذي جاء على التاء (المستقلة المنفتحة المهموسة)⁽²⁵¹⁾؛ وهذه الصفات الصوتية الرقيقة تتسق مع سياق الحجاج الهادئ. إنَّ هذا التناظر والتقابل في المواقع النحوية مقصود ومحسوب بعناية وهو متسق مع قواعد التخاطب لا سيما قاعدة التعاون؛ القائلة بوجوب ترتيب الكلام ووجوب الإيجاز فيه⁽²⁵²⁾

ونرصد التجانس التركيبي في ختام السورة الكريمة بين الآيتين:

وفي هذا النموذج نحن إزاء ضرب من التماثل الصوتي التام على امتداد الآيتين؛ وقد اصطلح ابن معصوم على هذا الضرب: (الترصيع) وحدّه ((أنَّ يقابل النائر والناظم في كل لفظة من الفقرة الأولى وصدر البيت، بلفظة مثلها وزناً وتقنية في الفقرة الأخرى، وعجز البيت، وهو مأخوذ من ترصيع العقد، وذلك بأن يكون في أحد جانبيه من الجوهر مثل ما في الجانب الآخر)).⁽²⁵⁴⁾

(250) سورة الغاشية: 17 – 20.

(251) ينظر: التمهيد في أحكام التجويد: 84.

(252) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، ط1، 1998، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء: 238-239.

(253) سورة الغاشية: 25 – 26.

(254) أنوار الربيع: 162/6.

إنَّ هذا التجانس التركيبي أنموذج آخر للشكل-المعنى في قصار السور؛ فالسياق في الآيتين سياق الوعيد والزجر الشديد؛ ولذلك جاء التوكيد بـ (إنَّ)؛ وتقديم الخبر وفيه دلالة ((التشديد في الوعيد، وأنَّ إياهم ليس إلا على الجبار المقتر على الانتقام، وأنَّ حسابهم ليس بواجب إلا عليه وهو الذي يحاسب على النقيير والقطمير))⁽²⁵⁵⁾؛ إنَّ التجانس التركيبي بطبيعته يؤدي وظيفة التوكيد في هذا السياق القرآني.

إنَّ التجانس التركيبي هنا يستثمر المستويات الثلاثة كما أكد كوهن⁽²⁵⁶⁾: فعلى المستوى الصوتي: حقق التجانس هذا الرنين الموسيقي الذي تجلى بالتمائل الصوتي التام على امتداد الآيتين. أمَّا على المستوى التركيبي: فإن الآيتين تشتغلان وفقاً لهذا النظام النحوي:

إنَّ + جار ومجرور (خبر مقدم) + اسم إنَّ مؤخَّر
وعلى المستوى الدلالي: ثمة تعادل دلالي ناجم عن التعادل الصوتي والتركيبي؛ فقد أفاد تقديم الخبر في الآيتين كليهما التخصيص: أي تخصيص المولى بالإياب والحساب؛ كما أفاد المبالغة في الوعيد.⁽²⁵⁷⁾

وفي (ثمَّ) دلالة على أن الحساب في الآية الختامية أشد من الإياب – في الآية قبل الختامية – لأنه – الحساب – موجب العذاب وبادرته.⁽²⁵⁸⁾

وفي سورة الزلزلة تصدر التجانس التركيبي ليرسم مشهداً من مشاهد القيامة:

وقد انتقى الأسلوب القرآني المعجز (إذا)؛ كما انتقى هذا النمط من النظام النحوي للتعبير عن بغتة المفاجأة، وتأكيد الحدث، وصرف اهتمام المتلقي إليه⁽²⁶⁰⁾. وفي التعبير بصيغة المبني للمجهول: (رُزِلَتْ) تركيز للاهتمام بالحدث، بصرف النظر عن محدثه؛ فالأحداث تقع بشكل تلقائي لا تحتاج إلى أمر أو فاعل⁽²⁶¹⁾؛ إنَّ هذه التراكيب القرآنية المتجانسة ذات إيقاع لاهث فزاعاً ورعباً، ودهشة واضطراباً وموراً⁽²⁶²⁾.

وقد نهض التجانس التركيبي بتحقيق الإيقاع الداخلي على المحور الأفقي؛ بينما نهضت الفاصلتان بمهمة تحقيق الإيقاع الخارجي على المحور العمودي؛ فالفاصلتان متطابقتان تطابقاً صوتياً تاماً فكلتاها تتألفان من أربعة مقاطع:

(255) الكشاف: مجلد 248/4.

(256) ينظر: 46 من هذه الدراسة.

(257) ينظر: أنوار التنزيل: 797.

(258) ينظر: حاشية السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني على الكشاف (ضمن الكشاف)، د.ت. الناشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان: مجلد 248/4.

(259) سورة الزلزلة: 1 – 2.

(260) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: 83/1.

(261) ينظر: المصدر نفسه: 81/1.

(262) ينظر: في ظلال القرآن: مجلد 8/30: 225.

--	--	--

			- البلد
--	--	--	---------

			-
--	--	--	---

الضد

			ى:
--	--	--	----

			-
			الانشراح

رابعاً- جرس الألفاظ:

الجَّرس: بفتح الجيم وكسرها يعني الصوت والنغمة وجَرَسُ الحَرْفِ نَعْمَتُهُ⁽²⁶⁶⁾. قال ابن الأثير في أهمية مناسبة أصوات الألفاظ لدلالاتها: ((فاعلم أنَّ الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار))⁽²⁶⁷⁾. يستثمر القرآن الكريم جرس الألفاظ في اللغة العربية ليعبّر عن المعاني المراد التعبير عنها؛ ((ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها، يستخدم حيث يؤدي معناه في دقة فائقة، تكاد بها تؤمن بأن هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها، وأنَّ كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وَفّت به أختها، فكل لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء))⁽²⁶⁸⁾.

يتوجه الخطاب القرآني في قصار السور – ومعظمها سور مكية – إلى مشركي قريش وطواغيتهم؛ ولذلك فإن هذا الخطاب الإبداعي يستثمر جرس الألفاظ في اللغة العربية استثماراً رائعاً؛ إذ يصور اللفظ بإيقاعه بحركاته وسكناته المعنى المطلوب؛ فالمتلقي يستشف ظلال المعنى من جرس الألفاظ الذي يكون قارعاً للأذان، منبهاً للنفوس وذلك في مواضع الوعيد والتهديد، فكأنَّ هذه الألفاظ القرآنية في قصار السور المكية تفرع ناقوس الخطر لمشركي مكة وطواغيتهم؛ ف((هناك أناقة واضحة في التعبير، مع اللمسات المقصودة لمواطن الجمال في الوجود والنفوس، وافتتان مبدع في الصور والظلال والإيقاع الموسيقي والقوافي والفواصل، تتناسق كلها.. في خطاب الغافلين النائمين السادرين، لإيقاظهم واجتذاب حسهم وحواسهم بشتى الألوان وشتى الإيقاعات وشتى المؤثرات))⁽²⁶⁹⁾.

وإذا كان القرآن الكريم يستعمل الألفاظ الجزلة الفخمة ذات الجرس القوي في مواضع القرع والوعيد؛ فإنه يستعمل أحياناً الألفاظ الرقيقة ذات الجرس الهادئ وذلك في المواضع التي يرق فيها الخطاب، كما في خطابه تعالى للرسول (5)، وهكذا نجد أنَّ القرآن الكريم يستعمل اللفظ المناسب القادر على أداء المعنى المطلوب، الذي يثير بموسيقاه التدايعات وظلال المعنى في ذهن المتلقي وهكذا فإنَّ أجراس الألفاظ القرآنية أدلة على المعاني في توفيق بين المستويين الصوتي والدلالي للنص القرآني.

أولاً- جرس ألفاظ يوم القيامة وأوصافه:

← ③ ⑨ ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ >

① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ < ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

(270) < ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

بهذا المطلع تبدأ سورة الغاشية؛ بأسلوب عميق الإيقاع، هادئ، ولكنه نافذ رصين بيد أنه رهيب⁽²⁷¹⁾؛ إذ عبّر تعالى عن يوم القيامة بالغاشية؛ إنَّ الاستعمال القرآني لاسم الفاعل جاء للدلالة

⁽²⁶⁶⁾ ينظر: لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، تح أمين محمد عبد الوهاب، محمد صادق العبيدي، ط3، دت.

دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان: مادة (جرس).

⁽²⁶⁷⁾ المثل السائر: 176/1.

⁽²⁶⁸⁾ من بلاغة القرآن: 57.

⁽²⁶⁹⁾ في ظلال القرآن: مجلد 8/ج30: 9.

⁽²⁷⁰⁾ سورة الغاشية: 1-2.

⁽²⁷¹⁾ ينظر: في ظلال القرآن: مجلد 8/ج30: 144.

على الاستمرارية والثبوت فهي -أي الغاشية- تغشى الناس وتحيط بهم وتستغرقهم أو لأنها تغشى الناس بغتة بأهوالها كما قيل؛ أو لأنها تغشى وجوه الكفار بالعذاب.⁽²⁷²⁾

وقد تكرر صوت الشين في التعبير القرآني مرتين، ومن الصفات الصوتية القوية فيه التفشي⁽²⁷³⁾؛ ومن دلالاته الإيحائية الخشية من عظمة القيامة وأهوالها⁽²⁷⁴⁾؛ ومما أضفى على صوت الشين قيمة تعبيرية مجيئة في فاصلتي الآيتين لا سيما في صيغة اسم الفاعل. وهكذا أوحى صوت الشين في هذا الاستهلال المبارك بمعان كثيرة؛ منها: الخشوع والخضوع والمباغته؛ واضفى من خلال انسجام التعبير القرآني بموسيقاه الداخلية وجرس ألفاظه - لا سيما لفظا (الغاشية وخاشعة) - حالة خوف وخشوع وذهول من الغاشية.

وتستهل سورة القارعة بقوله تعالى: > ﴿قَارِعَةً تَفْجُرُ فِي الْغَابِرِ﴾

تعالى عن القيامة باسم من أسمائها وهو القارعة؛ وبصيغة اسم الفاعل الدالة على الاستمرار والثبوت؛ فلفظ القارعة عبّر بجرسه عن قرع القلوب بالفزع وقرع أعداء الله بالعذاب، وقرع أسمع كفار مكة وطواغيتها بهذا اللفظ القارع المدوي؛ وقد تآزرت أصوات القاف والألف والعين وجميعها أصوات مجهورة تآزرت للإيحاء بمعنى القرع: ضرب شيء على شيء؛ ومنه قرعته بالمقرعة⁽²⁷⁶⁾؛ إذ أوحى هذه الأصوات الصائتة بشدة الضرب. والسياق الذي يرد فيه هذا اللفظ القرآني هو سياق إنذار ووعيد ومما أضفى إيحاءً على التعبير القرآني تكرار لفظ القارعة عند الفواصل ثلاث مرات.

وقال تعالى في سورة الزلزلة: > ﴿الزَّلْزَلَةُ﴾

يتوفر هذا التعبير القرآني على ملاحظ تركيبية وصوتية؛ أما التركيبية فهي استعمال (إذا) لإفادة المباغته؛ والتعبير بالمصدر لما فيه من التأكيد. وأما الصوتية فهي ما أوحى به جرس لفظ الفعل (زُلزل) من معانٍ منها الاضطراب الشديد؛ فالزلزلة الحركة العنيفة والاضطراب الشديد، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلّ فيه⁽²⁷⁸⁾، وقد نهض صوت الزاي المجهور بتصوير معنى الاضطراب الشديد؛ وجاء - صوت الزاي - في المرة الأولى في صيغة الفعل المبني للمجهول: (زُلزلت)؛ وأما في المرة الثانية فقد تضمنته صيغة المصدر: (زلزالها). ومما شارك في تقوية القيمة التعبيرية لصوت الزاي مجيء صيغة المصدر تلك فاصلة؛ وقد أعطى المقطع الصوتي الطويل (ها) امتداداً لتصوير شدة هذا الاضطراب وامتداده واستغراقه

(272) ينظر: تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، 1974، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان: 273/20.

(273) ينظر: التمهيد في أحكام التجويد: 84.

(274) ينظر: الدلالة الصوتية في القرآن: 29.

(275) سورة القارعة: 1- 3.

(276) ينظر: المفردات: مادة (قرع).

(277) سورة الزلزلة: 1.

(278) ينظر: المفردات: مادة (زل).

المجيء بالفعل مرتين فأفاد في المرة الأولى الدعاء عليه بالخسران؛ وأفاد في الثانية الإخبار بأن ذلك حصل. (286)

(286) ينظر: الكشف: مجلد 4/296، البحر المحيط: مجلد 8/225.

خامساً- التجنيس:

((التجنيس أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتهما في تأليف حروفها (...))
فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظاً واشتقاق معنى (...)) ومنه ما يجانسه في تأليف الحروف
دون المعنى))⁽²⁸⁷⁾. يكمن الغنى التعبيري للتجنيس في (بنيته الأسلوبية) فهو يتلقى فعاليته وطبيعته
المميزة منها⁽²⁸⁸⁾؛ وقد وضع عبد القاهر الجرجاني يده على شرط التجنيس البارع إذ ينبغي أن
يوظف ليقوي الناتج الدلالي للتعبير الذي يرد فيه؛ أي أن يكون هناك طائل وفائدة دلالية تحت هذه
البنية الأسلوبية؛ وبحسب مصطلح عبد القاهر أن يكون التجنيس لنكتة⁽²⁸⁹⁾. وهكذا نرى أن التجنيس
يساهم في تحقيق بنية إيقاعية للنص.

والخطاب القرآني بوصفه خطاباً إبداعياً، يستعمل هذه التقنية الصوتية؛ إذ يكون الجناس
-لاسيما الجناس التام- مقوماً مماثلاً للفاصلة؛ فهو يستثمر -مثله مثل الفاصلة- الإمكانيات اللغوية
للحصول على أثر أسلوبية قوامه المماثلة الصوتية؛ مع فارق كون الجناس يعمل داخل الآية ويحقق
من كلمة لكلمة - أعني ركني الجناس - ما تحققه الفواصل عند تخوم الآيات؛ إذ تحقق البنية
الأسلوبية الجناسية تماثلاً فونيمياً كلياً أو جزئياً⁽²⁹⁰⁾.

أنماط التجنيس في قصار السور:

يصنف الجناس اللفظي إلى نمطين: تام، وغير تام:

((فالتام: هو أن تتفق الألفاظ في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئاتها))⁽²⁹¹⁾.

وغير التام: هو أن تختلف الألفاظ في أمر من الأمور التي ينبغي توفرها بين ركني الجناس
التام.

وتوجد تفرعات أخرى للجناس التام؛ فإذا كان ركن الجناس التام ((من نوع واحد كاسمين، أو
فعلين، أو حرفين سمي الجناس: مماثلاً))⁽²⁹²⁾.

⁽²⁸⁷⁾ كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح مفيد قمحة، ط2،
1984، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: 353.

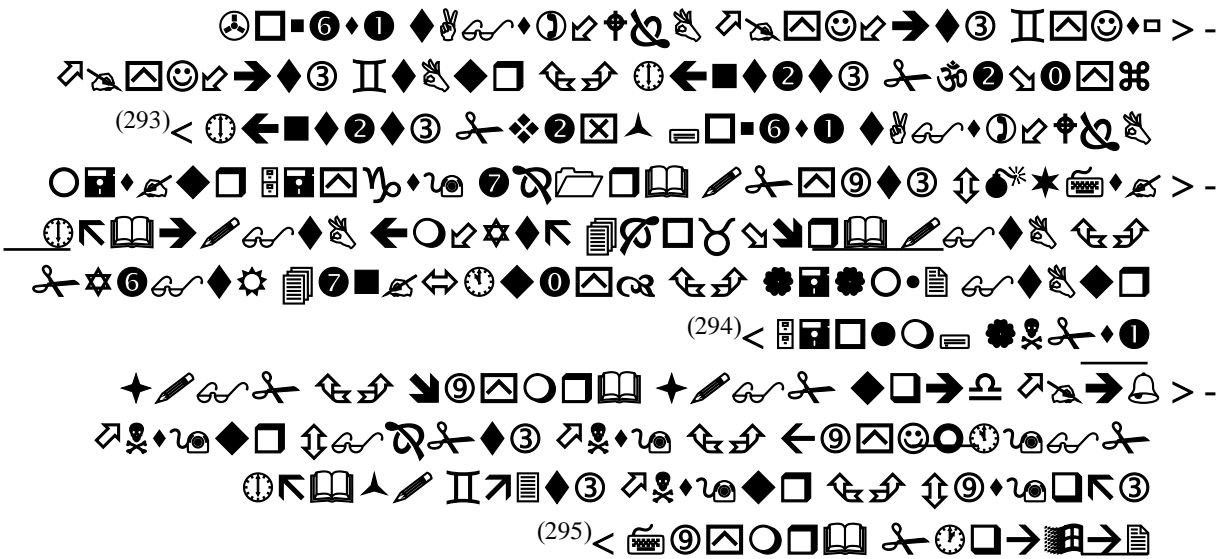
⁽²⁸⁸⁾ ينظر: معايير تحليل الأسلوب: 81.

⁽²⁸⁹⁾ ينظر: كتاب أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه
محمود محمد شاكر، ط1، 1412هـ-1991م، مطبعة المدني: 17.

⁽²⁹⁰⁾ ينظر: شعر سامي مهدي: دراسة أسلوبية، أرشد علي محمد، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة،
1417هـ-1996م، كلية التربية - الجامعة المستنصرية: 55.

⁽²⁹¹⁾ معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه وكتبه فهارسه، أحمد شمس
الدين، ط1، 1408هـ - 1988م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: 301/1.

ومن نماذجه في قصار السور:



فهذه جناسات تامة وجاءت جميعها بين الفواصل – إلا واحداً – وهو ما جاء في سورة اللهب؛ وللجناس فيها مسحة جمالية معجزة؛ فالصياغة القرآنية البارعة ترسم لنا مفارقة دلالية حادة وقوية في هذه البنية الأسلوبية: (أبي لهب... ذات لهب)؛ إذ بينما يشير الركن الأول أي الكنية إلى معنى إيجابي؛ لأنه قيل إنما كني بأبي لهب لأن وجنتيه كانت تتوقدان حسناً؛ فإن الركن الثاني يشير إلى معنى سلبي؛ ومع أن كل نار هي ذات لهب إلا أن وصف النار بذلك وصفاً توضيحياً لأجل زيادة الإهانة والتنقيص والتهكم بأبي لهب وكنيته؛ فتأمل هذا التظافر الأسلوبي القرآني والمتجلي في استعمال الكنية والتجنيس وما أفاده من دلالة جهنمية أبي لهب...

أما الجناس غير التام فنموذجه قوله تعالى: > أما الجناس غير التام فنموذجه قوله تعالى: > عن القهر جاء إلى جانب اليتيم، بمعنى الغلبة عليه والاستيلاء على ماله، وأما السائل فقد نهى عن نهره وإذلاله،)). (297)

ومن أنماط التجنيس: المشتق: ((وهو الذي يرجع معنى ركنيه إلى أصل واحد)) (298). ومن نماذجه قوله تعالى: > جاء مجانسة تثير في النفس تمسكها بالحق والعدل. فليس هناك من حاكمين بالمعنى الحقيقي غيره

(292) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، أحمد الهاشمي، د.ت. دار أحياء التراث العربي، بيروت – لبنان: 396 – 397.
 (293) سورة الزلزلة: 7-8.
 (294) سورة اللهب: 1-3.
 (295) سورة الإخلاص: 1-4.
 (296) سورة الضحى: 9-10.
 (297) من بلاغة القرآن: 182، 183.
 (298) أنوار الربيع: 144/1.
 (299) سورة التين: 8.

سبحانه، فالكل محكوم لإرادته خاضع لأمره))⁽³⁰⁰⁾؛ وكذلك المتجانسان: (أسفل، سافلين)؛ في قوله تعالى: > ﴿...﴾⁽³⁰¹⁾.

ومن نماذجه أيضاً قوله تعالى: > ﴿...﴾⁽³⁰²⁾؛ إذ المتجانسين فيه: (حاسد، حسد)؛ ((وإنما حصل التجانس بينهما لأن صفة الحسد موجودة، ولكن لا تأثير لها إلا بإظهارها والعمل بها، ولذلك قال: > ((...))⁽³⁰³⁾.

وهناك نمط من تجنيس الاشتقاقات يسمى بـ (تجنيس التغيرات) وهو: ((أن تكون إحدى الكلمتين اسماً والأخرى فعلاً))⁽³⁰⁴⁾؛ ونموذجه قوله تعالى: > ﴿...﴾⁽³⁰⁵⁾؛ والمعاون هو كل ما يعين الآخرين في قضاء حاجة من حوائج الحياة كالمال، والمتاع؛ فالمعاون مطلق؛ وتتجلى براعة هذه البنية الأسلوبية القرآنية: > ﴿...﴾⁽³⁰⁶⁾ عبّرت عنها؛ فكأن هؤلاء الساهين عن الصلاة سهواً عن الأعراف والأخلاق الحميدة التي لا تقر بحضر المعاون وحجبه عن الآخرين بل تجعله مشاعاً؛ وقد استعمل التعبير القرآني المعجز صيغة المضارع المستمر (يمنعون) ليعبّر عن تجدد منعهم المعاون؛ وقد اشترك المتجانسان في توكيد معنى المنع والحظر؛ إذ الجنس نمط من التكرار والتأكيد؛ فتأمل كيف عبّر الأسلوب القرآني المعجز عن مفارقة دلالية حادة بمماثلة صوتية رائعة؛ ((فكأن التجانس بين اللفظتين يظهر حالة المناق ويربط بين السهو عن الصلاة وبين منع المعاون بأنه من كانت حاله على الدوام منع المعونة بين الناس -وكأن نفسه جبلت على ذلك- فكيف يحافظ على الصلاة في أوقاتها. وبذلك لم يكن معنى الجنس أن تتناغم اللفظة مع اللفظة في موضعها فحسب وإنما له طرق في الذهن والخيال يخرجانه من حيزه المحدود ويربطانه بمعان أبعد في النفس وأسمى في الفكر)).⁽³⁰⁶⁾

وهناك نمط من الجنس يدعى بـ (الجناس اللاحق) ويكون باختلاف المتجانسين في حرفين متباعدين - في المخرج الصوتي-:

أ- أما في الأوّل نحو: (همزة لمزة) في قوله تعالى: > ﴿...﴾⁽³⁰⁷⁾ ونحن هنا إزاء حالة توالي؛ أي أن □ أحد المتجانسين يلي الآخر، ويسمى هذا الضرب: (المزدوج)؛ ويعرفه ابن معصوم بقوله: ((وهو أن يأتي المتكلم في أثناء قرابين النثر، أو أحد شطري البيت، بلفظتين مسجعين بعد مراعاة حدود الأسجاع والقوافي - كقوله تعالى: > ﴿...﴾

(300) الأساليب البلاغية في خواتم السور القرآنية، عباس حميد السامرائي، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، 1417هـ-1996م، كلية التربية - جامعة الأنبار: 131.

(301) سورة التين: 5.

(302) سورة الفلق: 5.

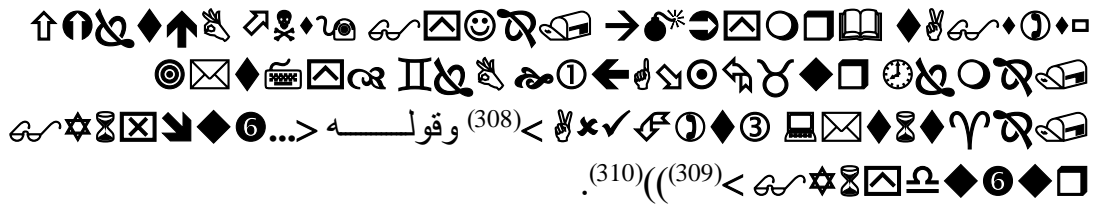
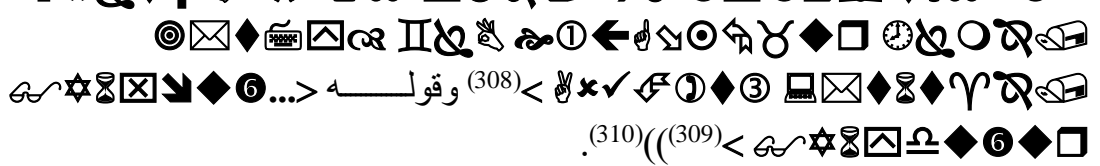
(303) الأساليب البلاغية في خواتم السور: 131.

(304) تحرير التحبير: 104.

(305) سورة المعاون: 7.

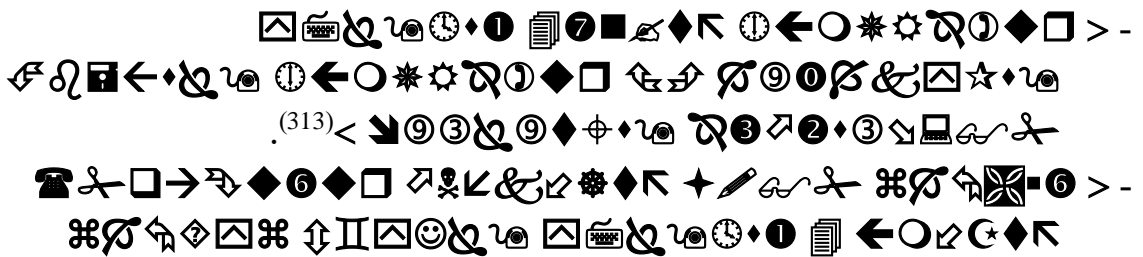
(306) الأساليب البلاغية في خواتم السور: 132.

(307) سورة الهمزة: 1.


 (308) وقوله >...

يرى د. أحمد أحمد بدوي في المزدوج: (همزة لمزة) : ((إن شدة التشابه بين الكلمتين يوحي بالقرابة بينهما، مما يجعل إحداها مؤكدة للأخرى فالهمزة المغتاب، واللمزة العياب، فالصلة بينهما وثقى))⁽³¹¹⁾. إن التماثل اللفظي أو الصوتي هنا يقابله فارق في الدلالة؛ ونرى إنَّ الهمزَ في الغياب واللمز في الحضور⁽³¹²⁾؛ كما نرى أن المعنى الإجمالي للمتجانسين مطلق يذهب فيه الذهن كل مذهب.

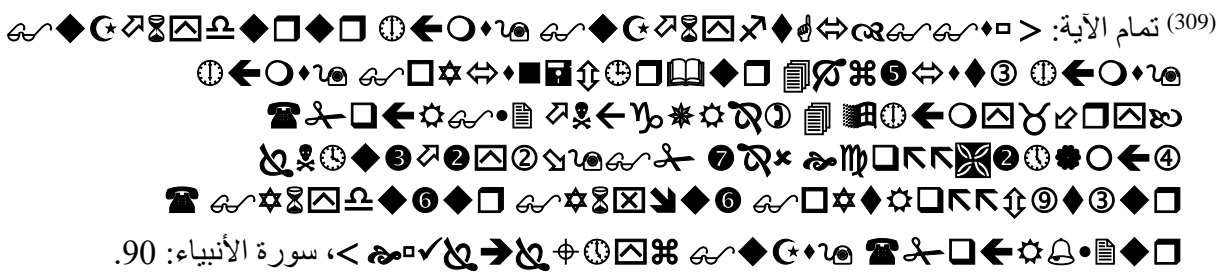
ب- وأما في الوسط؛ ونموذج قوله تعالى:



> (314)؛ وهذا التجنيس القرآني قد جاء لنكتة لطيفة: ((فالرضا الحاصل من الله تعالى حقيقة. أما هم [المؤمنون] فقد فرحوا بثوابه سبحانه، ولكن القرآن عدل عن ذلك بقوله: > (الله أعلم-))⁽³¹⁵⁾.

ومن تأملنا لهذه الأنماط التجنيسية نرى أنَّ الأسلوب القرآني المعجز غالباً ما يستعمل هذه البنية الأسلوبية عند تخوم الأي أي عند الفواصل ولما كانت الفاصلة تمثل وقفة صوتية فإن هذه البنية الأسلوبية تحقق أثراً أسلوبياً فعالاً لدى المتلقي. وهكذا فإنَّ هذه البنية الأسلوبية تحقق حداً أعلى من التشابه بين وحدات الخطاب القرآني؛ ويمكن الإعجاز القرآني في استعمال هذه البنية، إن هذا الاستعمال غالباً ما يصور مفارقة؛ إذ بينما

(308) سورة النمل: 22.

(309) تمام الآية: >

(310) أنوار الربيع: 215/6.

(311) من بلاغة القرآن: 183.

(312) ينظر: التفسير البياني: 170/2.

(313) سورة العاديات: 7-8.

(314) سورة البينة: 8.

(315) الأساليب البلاغية في خواتم السور: 129.

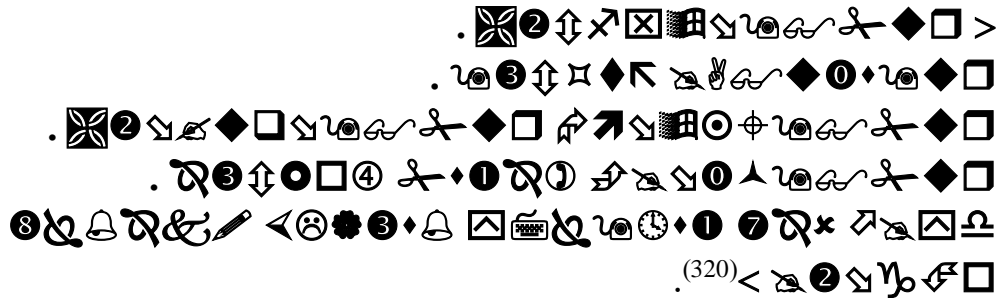
تتوفر هذه البنية الأسلوبية على بنية إيقاعية؛ فإنّها في الوقت عينه تصور مفارقة دلالية؛ وبتعبير أسلوبية: فإنّ □ المماثلة الصوتية التي تحقّقها بنية التجانس تعد مؤثراً أسلوبياً في المتلقي يؤثر فيه ويسترعي انتباهه؛ فإذا وقف المتلقي عند بنية الجناس وقفة المتأمل المتصفح – وليس وقفة العجلان – اهتدى إلى مفارقة دلالية تكمن في هذه البنية..
والتجنيس القرآني غالباً ما يتضمن نكتة بلاغية وهذا شرط التجنيس البارع كما وجدناه عند عبد القاهر.

سادساً- الإيقاع:

حدّ الإيقاع – عند اللسانيين – ((الإعادة المنتظمة داخل السلسلة المنطوقة لإحساسات سمعية متماثلة تكونها مختلف العناصر النغمية))⁽³¹⁶⁾. ويتجلى الإيقاع في الخطاب القرآني في انسياب الآيات انسياباً متناسقاً على نظام اختص به القرآن⁽³¹⁷⁾؛ ويكمن الإعجاز في الأسلوب القرآني بتواشج الإيقاع – أي المستوى الصوتي – مع المستوى الدلالي؛ ولذلك فإنّ الخطاب القرآني يتلون بألوان وأنواع الإيقاعات تبعاً لتغير المعاني والدلالات في ذلك الخطاب في اتساق بين الصوت والدلالة؛ ففي مقامات المناجاة والدعاء يميل الإيقاع إلى الهدوء والترخي؛ وفي مقامات التهديد والوعيد يتجه الإيقاع إلى السرعة.

تلعب الفاصلة في القرآن الكريم -خصوصاً في قصار السور- دوراً مفصلياً في الانتقال من معنى إلى آخر؛ ((وثمة ما يمكن أن نطلق عليه (التخلص الصوتي). وهو يعني الخروج من فاصلة (صوت) إلى أخرى (صوت آخر))⁽³¹⁸⁾، إذ يقترن الانتقال من غرض أو معنى إلى آخر بانتقال موازٍ من فاصلة إلى أخرى في تواشج تام بين المستويين الصوتي والدلالي. تُعدُّ سورة الفجر أنموذجاً لتواشج المستويين الصوتي والدلالي؛ فقد تضمنت ألواناً شتى من الجولات والإيقاعات والظلال؛ بيد أنّ هذه النغمات والإيقاعات المتعددة تشكل عبر تباينها وتناغمها لحناً واحداً متعدد الإيقاعات⁽³¹⁹⁾؛ ينتظمه خيط واحد هو موضوع السورة؛ فهي خطاب وهتاف لكل ذي حبر إلى التأمل والتدبر؛ ومن ثم فهي دعوة للإيمان والتقوى..

ففي الفواصل الرائية الخمس الأولى في مستهل السورة:



يأخذ الإيقاع طابع السرعة -باستثناء الفاصلة الخامسة-؛ وهذه الفواصل الخمس تمثل بنية القسم الاستهلاكية.

إنّ هذا الإيقاع السريع ناجم عن الفواصل القصيرة المتقاربة؛ وقد عمد الأسلوب القرآني المعجز إلى انتقاء صوت الرء رويّاً لهذه الفواصل وهو صوت خاضع لقانون الجهد الأدنى إذ إنّ مخرجه من طرف اللسان مع ظهره مما يلي رأسه⁽³²¹⁾؛ وهذا يجعله مناسباً للإيقاع السريع.

(316) أثير اللسانيات في النقد العربي الحديث: 63.

(317) ينظر: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: 329.

(318) النص القرآني من الجملة إلى العالم: 55.

(319) ينظر: في ظلال القرآن: مجلد 8/30: 152.

(320) سورة الفجر: 1 – 5.

(321) ينظر: التمهيد في أحكام التجويد: 72.

ومعنى (الفجر) في الفاصلة الأولى شق الشيء شقاً واسعاً⁽³²²⁾؛ ومعنى ((فجر الله الفجر أظهره فانفجر))⁽³²³⁾؛ والشق والإظهار معنيان فيهما قوة؛ وصوت الراء بصفتيه الصوتيتين القويتين (الجهر والتكرار)⁽³²⁴⁾؛ وكذلك بصفة الذلاقة التي يتوفر عليها⁽³²⁵⁾ معبراً عن معنى الفجر.

وأما في فاصلة الآية الرابعة:

< ④③②① ⑤④③②① ⑥⑤④③②① ⑦⑥⑤④③②① ⑧⑦⑥⑤④③②① ⑨⑧⑦⑥⑤④③②① ⑩⑨⑧⑦⑥⑤④③②① >
 الليل بالسريران فيه تجسيم لليل وتشخيص وفاعلية كأنه حي يسري، وفيه أيضاً إلباس للحدث بزمانه؛ فالليل نفسه يسري كما يسرى فيه⁽³²⁷⁾. والراء بفعل توفرها على صفة التكرار⁽³²⁸⁾؛ توحى بسير الليل الحثيث ومضيه.

وبعد الإيقاع السريع للقسم في مستهل السورة؛ يتحوّل الإيقاع نحو الإيقاع الرخو الهادئ؛ وكذلك عدل الأسلوب القرآني في روي الفواصل؛ وهو ما يمكن أن نطلق عليه (التخلص الصوتي) ويعني الخروج من فاصلة أو صوت إلى فاصلة أخرى أو صوت آخر⁽³²⁹⁾. وهذا التحول والعدول يُعدُّ (حسن تخلص) من موضوع إلى آخر؛ إذ الموضوع هنا قصصي تاريخي من قصص القرآن الكريم التي جاءت في سياق العبرة والاتعاض بعاقبة الكفر والطغيان:

> ⑩⑨⑧⑦⑥⑤④③②① ⑫⑪⑩⑨⑧⑦⑥⑤④③②① ⑬⑫⑪⑩⑨⑧⑦⑥⑤④③②① ⑭⑬⑫⑪⑩⑨⑧⑦⑥⑤④③②① ⑮⑭⑬⑫⑪⑩⑨⑧⑦⑥⑤④③②① ⑯⑰⑱⑲⑳㉑㉒㉓㉔㉕㉖㉗㉘㉙㉚㉛㉜㉝㉞㉟⋮

①②③④⑤⑥⑦⑧⑨⑩⑪⑫⑬⑭⑮⑯⑰⑱⑲⑳㉑㉒㉓㉔㉕㉖㉗㉘㉙㉚㉛㉜㉝㉞㉟⋮

①②③④⑤⑥⑦⑧⑨⑩⑪⑫⑬⑭⑮⑯⑰⑱⑲⑳㉑㉒㉓㉔㉕㉖㉗㉘㉙㉚㉛㉜㉝㉞㉟⋮

①②③④⑤⑥⑦⑧⑨⑩⑪⑫⑬⑭⑮⑯⑰⑱⑲⑳㉑㉒㉓㉔㉕㉖㉗㉘㉙㉚㉛㉜㉝㉞㉟⋮

①②③④⑤⑥⑦⑧⑨⑩⑪⑫⑬⑭⑮⑯⑰⑱⑲⑳㉑㉒㉓㉔㉕㉖㉗㉘㉙㉚㉛㉜㉝㉞㉟⋮

①②③④⑤⑥⑦⑧⑨⑩⑪⑫⑬⑭⑮⑯⑰⑱⑲⑳㉑㉒㉓㉔㉕㉖㉗㉘㉙㉚㉛㉜㉝㉞㉟⋮

①②③④⑤⑥⑦⑧⑨⑩⑪⑫⑬⑭⑮⑯⑰⑱⑲⑳㉑㉒㉓㉔㉕㉖㉗㉘㉙㉚㉛㉜㉝㉞㉟⋮

①②③④⑤⑥⑦⑧⑨⑩⑪⑫⑬⑭⑮⑯⑰⑱⑲⑳㉑㉒㉓㉔㉕㉖㉗㉘㉙㉚㉛㉜㉝㉞㉟⋮

<(330)

يعمد الأسلوب القرآني في هذا المقطع إلى الفواصل المتوسطة؛ إذ تباعدت الفواصل – مقايسة بالفواصل المتقاربة في مقطع الاستهلال – مما جعل الإيقاع رخياً؛ وجاء روي الفواصل:

(322) ينظر: المفردات: مادة (فجر).

(323) أساس البلاغة: مادة (فجر).

(324) ينظر: 22 من هذه الدراسة.

(325) ينظر: أصوات اللغة العربية: 146.

(326) سورة الفجر: 4.

(327) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: 133/2.

(328) ينظر: 22 من هذه الدراسة.

(329) ينظر: 68 من هذه الدراسة.

(330) سورة الفجر: 6-12.

الدال المجهور الشديد القلق⁽³³¹⁾ معبراً عن موضوع هذا المقطع الملحمي؛ الخصب بالمفردات والتراكيب القرآنية المعبرة عن معاني القوة والجبروت والطغيان:

ففي الآية السابعة: > ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا يَأْتِيهِ السُّبْحُ وَلَا اللَّيْلُ يَسْتَوِي سِعْرُهُ يَوْمَ يُنْفَخُ السُّعْرُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُطَّوِّئُونَ لِصُوتِهِ أَطِيعُوا أَمْرًا مَرْفُوعًا﴾⁽³³²⁾؛ أقرب ما نفهمه عن ذات العماد أنها ذات القوة والمنازل العالية.⁽³³³⁾

وكذلك الآية العاشرة: > ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا يَأْتِيهِ السُّبْحُ وَلَا اللَّيْلُ يَسْتَوِي سِعْرُهُ يَوْمَ يُنْفَخُ السُّعْرُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُطَّوِّئُونَ لِصُوتِهِ أَطِيعُوا أَمْرًا مَرْفُوعًا﴾⁽³³⁴⁾؛ نفهم منها ما يلفت إليه سياق الآية من قوة وجبروت وطغيان.⁽³³⁵⁾

وفي الآية الحادية عشرة: > ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا يَأْتِيهِ السُّبْحُ وَلَا اللَّيْلُ يَسْتَوِي سِعْرُهُ يَوْمَ يُنْفَخُ السُّعْرُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُطَّوِّئُونَ لِصُوتِهِ أَطِيعُوا أَمْرًا مَرْفُوعًا﴾⁽³³⁶⁾؛ نجد مفردة (طغوا) معبرة بأصواتها؛ فالصوت الناتئ من اجتماع الطاء والغين يوحى بالمعنى؛ فصوت الطاء تهيمن عليه الصفات الصوتية القوية: (الجهر، الشدة، الاستعلاء، الإطباق، القلقة)⁽³³⁷⁾؛ ويتوفر صوت الغين أيضاً على صفتين صوتيتين قويتين هما الجهر والاستعلاء.⁽³³⁸⁾

على حين تواترت سبع فواصل -من الفاصلة الخامسة حتى الفاصلة الثانية عشرة- على حرف الدال؛ جاءت الفاصلة الثالثة عشرة خرقاً لهذا التواتر والإطراد؛ إذ جاءت بائية وهذا الخرق والقطع الصوتي يبدع سياقاً أسلوبياً صوتياً عبر هذا الروي غير المتوقع؛ بل إنَّ السياق الأسلوبى لم يقتصر على المخالفة في الروي؛ إذ استطلت الآية الثالثة عشرة بحيث تُعدُّ أطول من كل الآيات ذات الفواصل الدالية؛ بل إنَّ الإيقاع تحوّل من الإيقاع الرخي حيث القص؛ إلى الإيقاع القوي حيث المصراع⁽³³⁹⁾: > ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا يَأْتِيهِ السُّبْحُ وَلَا اللَّيْلُ يَسْتَوِي سِعْرُهُ يَوْمَ يُنْفَخُ السُّعْرُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُطَّوِّئُونَ لِصُوتِهِ أَطِيعُوا أَمْرًا مَرْفُوعًا﴾⁽³⁴⁰⁾.

(ص - ب) - (ل - ي) - (ه - م) - (ر - ب) - (س - و) .

عبر هذا التقطيع يتجلى لنا كيف يصب الله تعالى عليهم العذاب صباً في شدة و عنف وتوال وتكرار عبر تكرار المقطع نفسه غير مرة.⁽³⁴¹⁾

وعُدل الأسلوب القرآني إلى الإيقاع البطيء في الآيتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة:

> ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا يَأْتِيهِ السُّبْحُ وَلَا اللَّيْلُ يَسْتَوِي سِعْرُهُ يَوْمَ يُنْفَخُ السُّعْرُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُطَّوِّئُونَ لِصُوتِهِ أَطِيعُوا أَمْرًا مَرْفُوعًا﴾⁽³⁴¹⁾

(331) ينظر: 21 من هذه الدراسة.

(332) سورة الفجر: 7.

(333) التفسير البياني للقرآن الكريم: 143/2.

(334) سورة الفجر: 10.

(335) التفسير البياني للقرآن الكريم: 145/2.

(336) سورة الفجر: 11.

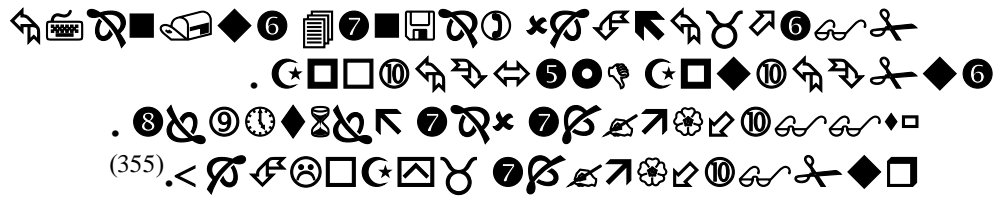
(337) ينظر: التمهيد في أحكام التجويد: 85.

(338) ينظر: التمهيد في أحكام التجويد: 85، وأصوات اللغة العربية: 145.

(339) ينظر: في ظلال القرآن: مجلد 8/ج 30: 152.

(340) سورة الفجر: 13.

(341) ينظر: دراسات قرآنية في جزء عم: 113.



لقد تحوّل الإيقاع في هذا المشهد إلى الإيقاع الهادئ الرخي؛ فتغيّرت الفواصل؛ إذ جاءت الفاصلتان: السابعة والعشرون والثامنة والعشرون على الهاء المهتوتة.*
 على حين جاءت الفاصلتان الختاميتان على الياء اللينة؛ كما تكررت المدات (الألف والياء) بضع عشرة مرة؛ فأضفت المدات الرخوة مزيداً من الهدوء لتصوّر تلك الموسيقى الصلة بين النفس مطمئنة وبين ربها؛ لقد أدت المدات المتوالية المتنوعة في بنائها اللفظي؛ في صعودها إلى أعلى عبر الألف اللينة وهبوطها إلى أسفل بالياء؛ أدت هذه المدات ما تؤديه الموسيقى التصويرية. وهكذا بدت لنا التنويعات في الإيقاع في سورة الفجر بحسب مشاهدتها: فتعدد نظام الفواصل وتغيّرت حروف الروي بحسب تنوع المعاني والمشاهد.⁽³⁵⁵⁾

⁽³⁵⁵⁾ سورة الفجر: 27 – 30.



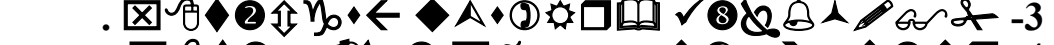

* إنما وصفت الهاء بالمهتوتة لضعفها وخفائها؛ ينظر: أصوات اللغة العربية: 146.





⁽³⁵⁶⁾ ينظر: في ظلال القرآن: مجلد 8/ ج 30: 153.

نظام الإيقاع في سورة الانشراح:

تستمد بعض قصار السور إيقاعها من توفرها على نظام صوتي خاص؛ وذلك بتقسيم أجزاء السورة على نحو معين كما في سور: (الليل، الضحى، الانشراح)؛ حيث تشتغل هذه السور على نظام إيقاعي يمكن ان نصلح عليه بالنظام الرباعي؛ وهو نظام إيقاعي يتسق غاية الاتساق مع طبيعة السورة القصيرة: القصيرة النفس، ذات الدفقة الإبداعية المكثفة السريعة.


وستناول سورة الانشراح أنموذجاً لذلك:

- 1- 
- 2- 
- 3- 
- 4- 

- 5- 
- 6- 
- 7- 
- 8- 

تتهض بالبناء الصوتي في سورة الانشراح ثماني آيات؛ تنقسم صوتياً إلى جزئين متمايزين؛ وكل جزء يشتمل على أربع آيات كما هو واضح في أعلاه.

الجزء الأول- يتكون من أربع فواصل متوازية مع التزام ما لا يلزم وهو حرف الراء الذي قبل الروي (الكاف)؛ مما أضفى مزيداً من التماثل والتناغم الصوتي بين هذه الفواصل؛ وجاءت الفواصل على روي الكاف وهو صوت (مهموس، مستقل، منفتح)⁽³⁵⁷⁾؛ وهو بهذه الصفات الصوتية الضعيفة الرقيقة يوحي بالدلالات الرحيمة ويرسم ظلالاً للمعاني التي تضمنتها الآيات الأربع الأولى؛ ومعنى شرح الصدر في الآية الأولى بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله، ورُوح منه⁽³⁵⁸⁾؛ ومن معاني شرحنا لك صدرك: ((فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعاً أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم)).⁽³⁵⁹⁾

ومعنى  > في الآية الثانية؛ ((أي ما كُنْتَ فيه من أمر الجاهليّة فأعفيت بما خُصِصْتَ به عن تعاطي ما كان عليه قومك))⁽³⁶¹⁾؛ إن معنى الوضع ملحوظ فيه التخفف من ثقل مرهق وحمل باهظ⁽³⁶²⁾؛ وهذا المعنى جزء من اللمسة الحانية على شخص النبي (5)؛ والسورة بأسرها لطف رباني وفيوضات إلهية على شخصه الكريم؛ وصوت الكاف بما يتوفر عليه من الصفات الصوتية – التي ألمعنا إليها – يتسق مع هذا المعنى.

أما الجزء الثاني من السورة فيتكون هو الآخر من أربع آيات؛ وقد اتفقت الفواصل مثني مثني؛ فالفاصلتان الخامسة والسادسة متفقتان تماماً لأن السادسة بمثابة تكرار للخامسة.

(357) ينظر: التمهيد في أحكام التجويد: 81.

(358) ينظر: المفردات: مادة (شرح).

(359) ينظر: الكشاف: مجلد 4/266.

(360) سورة الانشراح: 2.

(361) ينظر: المفردات: مادة (وزر).

(362) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: 64/1.

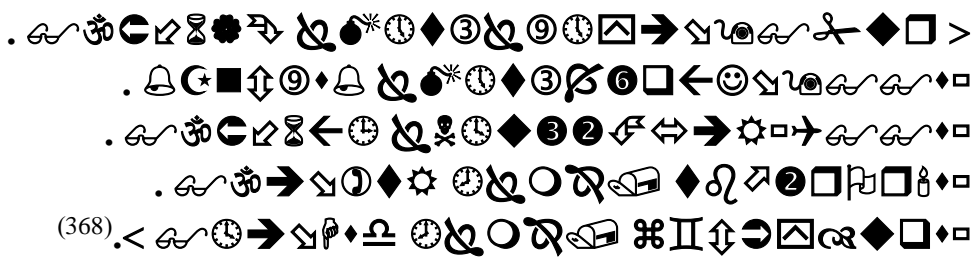
أما الفاصلتان الختاميتان فقد جاءتا بآيتنا الروي؛ وصوت الباء بصفاته المهيمنة القوية: (الجهر والشدة والقلقة)⁽³⁶³⁾؛ يعبر عن المعاني الشديدة في هاتين الفاصلتين؛ فمعنى النصب: التعب⁽³⁶⁴⁾. وأصل الرغبة في الفاصلة الختامية السعة في الشيء⁽³⁶⁵⁾؛ أي اجعل رغبتك إلى الله تعالى خصوصاً ولا تسأل إلا فضله متوكلاً عليه.⁽³⁶⁶⁾

وهكذا يتوازن الإيقاع ويتقارب في سورة الانشراح، ولكن أنغامه تختلف؛ وليس ثمة رتابة في ذلك الإيقاع المتوازن خصوصاً الجزء الثاني.⁽³⁶⁷⁾

لقد تلونت وتنوعت الفواصل غير مرة في سورة الانشراح؛ كما تغيرت التقنيات الصوتية في الجزئين كليهما؛ وهذه الديناميكية في الأداء الصوتي تكسر الرتابة والنمطية في الإيقاع.

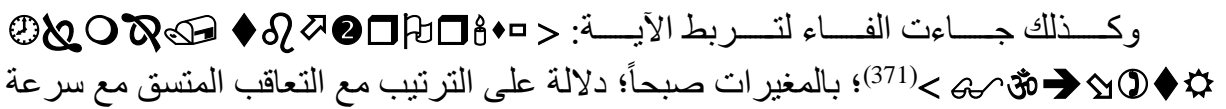
تحولات الإيقاع في سورة العاديات:

يعد استهلال سورة العاديات أنموذجاً للإيقاع السريع:



لقد تواشج المستويان التركيبي والدلالي من جهة؛ والصوتي والدلالي من جهة أخرى؛ وذلك لإنتاج دلالة المباغته والسرعة ف((موقف المباغته، يلائمه قصرُ الآيات بما فيه من حسم وسرعة الانتقال، وتلاحق الأحداث ما بين العدو، وإبراء القدح، وإثارة النقع، إلى توسط الجمع، فما أن تعدو الخيل ضبحاً، موريات قدحاً، مغيرات صباحاً، حتى تكون قد توسطت الجمع في النقع المثار)).⁽³⁶⁹⁾

ففي المستوى التركيبي انتقى الأسلوب القرآني المعجز من بين حروف المعاني الفاء التي تفيد التعقيب السريع دون تراخ؛ فتواترت الفاءات أربع مرات عند معاقد الآيات؛ فعطف الموريات قدحاً على العاديات ضبحاً، بالفاء فيها مع ملحظ السببية ترتيب دون تراخ أو تمهل وإبطاء بين عدوها صباحاً وإغارتها صباحاً.⁽³⁷⁰⁾

وكذلك جاءت الفاء لتربط الآية: ؛ بالمغيرات صباحاً؛⁽³⁷¹⁾ على الترتيب مع التعاقب المتسق مع سرعة

(363) ينظر: التمهيد في أحكام التجويد: 84، وجرس الألفاظ: 137.

(364) ينظر: المفردات: مادة (نصب).

(365) ينظر: المصدر نفسه: مادة (رغب).

(366) ينظر: الكشاف: مجلد 4/268.

(367) ينظر: دراسات قرآنية في جزء عم: 119.

(368) سورة العاديات: 1-5.

(369) التفسير البياني للقرآن الكريم: 106/2.

(370) ينظر: المصدر نفسه: 106/2-107.

(371) سورة العاديات: 4.

والحقيقة أن المقسم عليه غير واحد في هذه السورة؛ إذ إن الآيتين السابعة والثامنة داخلتان في حيز المقسم عليه من خلال العطف:

﴿وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ غَيْرٌ وَاحِدٌ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؛ إِذْ إِنَّ الْآيَتَيْنِ السَّابِعَةَ وَالثَّامِنَةَ دَاخِلَتَانِ فِي حَيْزِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ مِنْ خِلَالِ الْعَطْفِ: ﴿٧﴾﴾

﴿وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ غَيْرٌ وَاحِدٌ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؛ إِذْ إِنَّ الْآيَتَيْنِ السَّابِعَةَ وَالثَّامِنَةَ دَاخِلَتَانِ فِي حَيْزِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ مِنْ خِلَالِ الْعَطْفِ: ﴿٧﴾﴾

وهذه أيضاً حقيقة تتصل بطبيعة النفس الإنسانية في حبها الشديد للمال والثروة. كما تتوفر سورة العاديات على مناسبة لطيفة بين المقسم به: خيل الجهاد العادية الضابحة المغيرة مع الصباح؛ وبين المقسم عليه من كنود الإنسان لربه وكفره وحبه الشديد للمال والمادة الفانية مما يدعو إلى اعتباره – الإنسان الكنود الكفور – ضالاً يجاهد ليُرد عن ضلاله وكفره.⁽³⁷⁸⁾ وفي المقطع الأخير من السورة يتحول الإيقاع مرة أخرى:

﴿وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ غَيْرٌ وَاحِدٌ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؛ إِذْ إِنَّ الْآيَتَيْنِ السَّابِعَةَ وَالثَّامِنَةَ دَاخِلَتَانِ فِي حَيْزِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ مِنْ خِلَالِ الْعَطْفِ: ﴿٧﴾﴾

لقد تحوّل روي الفواصل من (الدال) إلى (الراء) المجهورة المكررة التي تتسق بهاتين الصفتين الصوتيتين القويتين مع المشهد: مشهد البعث يوم القيامة ((والإيقاع الموسيقي فيه خشونة ودمدمة وقرقعة، تناسب الجو الصاخب المعفر الذي تنسئه القبور المبعثرة والصدور المحصل ما فيها بشدة وقوة، كما تناسب جو الجحود والكنود، والأثرة والشح الشديد)).⁽³⁸⁰⁾

إنه مشهد البعث الذي تصوره هذه الآيات الكريمة؛ ((بباغت القوم – وقد طالما جحدوا نعمة الله وغرتهم الأمانى – فإذا هم قد بُعِثُوا من القبور حيارى ممزقين، وصدروا أشتاتاً مفرقين، ثم إذا بالأحداث تتلاحق سراعاً، مترابطة متدافعة، فليس بين بعثرة ما في القبور، وهول الموقف بين يدي الخبير، إلا أن يُحصَل ما في الصدور، لا تفلت منه خافية مضمرة، ولا غائبة مطوية مستورة في الأعماق، كما ليس بين العاديات ضبْحاً، وتوسط الجمع، وتدبير الأمر، إلا أن تنطلق في إغارتها صباحاً، موريات قدحاً، مثيرات نقعاً!)).⁽³⁸¹⁾

(377) سورة العاديات: 7-8.

(378) ينظر: مقالة (براعة الاستهلال في فواتح سور القرآن)، للشيخ عبد الغني الراجحي، مجلة منبر الإسلام، عدد 7، سنة 1968: 78.

(379) سورة العاديات: 9 – 11.

(380) في ظلال القرآن: مجلد 8/ج 30: 227.

(381) التفسير البياني للقرآن الكريم: 1/119.

الفصل الثاني

المستوى التركيبي لقصار السور

- أولاً- التقديم والتأخير.
- ثانياً- الحذف والذكر.
- ثالثاً- الإضمار والإظهار.
- رابعاً- حُسن النسق.
- خامساً- الاعتراض.

من حسنات الأسلوبية أنها تنهل من حقول لسانية عديدة يمكن أن نصلح عليها بالعلوم المجاورة أو الساندة للأسلوبية. ومنها: علم التركيب؛ فإذا كان النحو يهتم بقواعد تركيب الجملة وليس له اهتمام بقواعد تركيب النص⁽³⁸²⁾؛ فإن علم التركيب هو الذي يتولى هذه المهمة الشاقة؛ إذن قثمة مساحة مشتركة بين الأسلوبية والنحو تعرف بـ (الأسلوبية النحوية)؛ ومن هذا يتضح أن العلاقة وثيقة بينهما إذ ليس ثمة أسلوب دون نحو⁽³⁸³⁾؛ فالمحلل الأسلوبي لا يمكن أن يشرع في التحليل دون الاستعانة بالنحو بفروعه كلها: الصرف والتركيب⁽³⁸⁴⁾ وغيرهما.

إنّ المستوى التركيبي من المستويات المهمة في التحليل الأسلوبي؛ وفيه يتم دراسة جماليات التركيب؛ كما يتم دراسة (المهيمنات الأسلوبية التركيبية)؛ وذلك بدراسة البنى الأسلوبية التي تغلب على النص وربط هذه البنى وطرائق تشكلها بالدلالة والإيقاع⁽³⁸⁵⁾.

إنّ الأسلوبيين نظروا إلى اللغة في مستويين: أحدهما- مستواها المثالي في الأداء العادي؛ والآخر- مستواها الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وكسرها⁽³⁸⁶⁾؛ وتتميز لغة الأدب بأنها قد تتحول عن المستوى المثالي إلى صورة منحرفة تقوم على خرق القواعد النحوية وزحزحتها وهذا ما يصطلح عليه أسلوبياً بـ (الانزياح) أو (الانعطاف النحوي)؛ فإذا كان النحو هو مجال القيود فإنّ الأسلوبية مجال الحريات⁽³⁸⁷⁾ الخلاقة؛ فالأدب فن استعمال اللغة وهو يتعلق بالمستوى الإبداعي للغة؛ إنّ هذا الانزياح يرتبط بمقولتين أسلوبيتين هما: الاختيار والتركيب، فالانزياح إجراء أسلوبية فعال لخلق اللغة الأدبية الفارقة لمبدعها؛ إذ تظهر خلالها سمات أسلوبية بأدواتها وتركيبها، في سمتها المائزة، وشفرتها الدالة⁽³⁸⁸⁾.

سنخصص هذا الفصل لدراسة (المهيمنات الأسلوبية) التي تمنح التركيب القرآني خصوصيته الجمالية الفارقة: التقديم والتأخير، الحذف والذكر، الإضمار والإظهار، حسن النسق؛ الاعتراض؛ وسنحاول -في هذا الفصل- أن ننتبين البنى الأسلوبية؛ لنتعرف على التواشج والتعلق بين مكونات النص القرآني؛ لاسيما المبحث الموسوم (حسن النسق) الذي يتجلى فيه جيداً تماسك البنى الأسلوبية القرآنية وانتلافها.

(382) ينظر: في النقد والنقد الألسني: 147.

(383) ينظر: الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، د. فتح الله أحمد سليمان، طبعة مزيدة ومنقحة، 1425 هـ- 2000م، الناشر، مكتبة الآداب، القاهرة: 45.

(384) المصدر نفسه: 54.

(385) ينظر: البنى الأسلوبية في (أنشودة المطر): 145.

(386) ينظر: البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، 1984، الهيئة المصرية العامة للكتاب: 198.

(387) ينظر: الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب، عبد السلام المسدي، ط1، 1977، الدار العربية للكتاب، تونس: 52.

(388) ينظر: الأسلوبية في الخطاب العربي، د. عبد العاطي كيوان، ط1، 1420 هـ- 2000م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: 120.

أولاً- التقديم والتأخير:

تتمتع العناصر اللغوية داخل الجملة في اللغة العربية بحرية الحركة تقديماً وتأخيراً، وذلك بسبب بنيتها الإعرابية (التركيبية)، وإذا كان ((الأسلوب ليس مطلقاً (..) بل إنه يستوحى من اللغة نفسها عندما تجري في مجاريها الطبيعية)) (389) فإن المبدع الفنان يستثمر هذه الثنائية الأسلوبية التي تتيحها له اللغة العربية إذ ((ينبغي للفنان أن يستفيد من ثراء المصادر الجمالية الأصلية في لغته)) (390)

إن ترتيب العناصر اللغوية وفقاً للقواعد النحوية يقتضي تقديم الفعل على الفاعل والمبتدأ على الخبر، أي أنّ هذا هو الأصل في ترتيب العناصر اللغوية داخل التركيب في اللغة العربية؛ فإذا ما عدل المبدع عن هذا الأصل فقدم ما حقه التأخير وأخر ما حقه التقديم فإنه بذلك يحقق ما يعرف أسلوبياً بـ (الانزياح أو الانعطاف النحوي) وليس ذلك لمجرد العبث بترتيب العناصر اللغوية، وإنما للإبانة بالكلمات عن المعاني والخَلجات التي في داخل النفس، إذ إنّ بناء العبارة في الحقيقة بناء خواطر ومشاعر واختلاجات قبل أن يكون رصف أفاظ وتصميم قوالب، وإذا كان السياق سياقاً فياضاً وحافلاً أنتجت هذه الزخحات الحقيقية للكلمات خصوبة وثراء. (391)

الأثر الأسلوبي للتقديم والتأخير:

يكمن جانب كبير من الأثر والمفعول الأسلوبي لثنائية التقديم والتأخير في مفاجأة (أفق التوقع) للمتلقي بحسب مصطلح يـاوس- أي خرق النمط التقليدي للتعبير، ف ((التأثير الأسلوبي يتلشى حيث يكون الترتيب -أي ترتيب- عادياً)) (392)؛ كما يكمن مفعولها الأسلوبي في السياقات الفنية التي تتوفر عليها، و ((يتولد الأسلوب بفعل انحراف عن السياق)) (393) كما هو الأمر في أسلوب التقديم والتأخير في قصار السور؛ إذ يكسب هذا الأسلوب السور أبعاداً جمالية وأبعاداً دلالية وصوتية.

يمكننا تصنيف ثنائية التقديم والتأخير في قصار السور بحسب العنصر المتقدم إلى:

أولاً- تقديم (شبه الجملة):


وهو أكثر أنماط التقديم شيوعاً في قصار السور وقد أحصينا منه بضعة وثلاثين موضعاً وهو على ثلاثة أنماط:

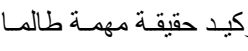

أ- تقديم الجار والمجرور المتعلق بالاسم:

وظيفته الدلالية والصوتية:

غني عن البيان أنّ التقديم نمط من أنماط التوكيد؛ وعلى التحليل الأسلوبي أن يكشف عن الصلة بينه وبين المستوى الدلالي للتعبير؛ إذ حيثما يرد تقديم فثمة حقيقة أو معنى هام يحرص المبدع على تقديمه لإبلاغنا به.

لقد هدانا التأمل الطويل إلى أنّ نمط تقديم الجار والمجرور المتعلق بالاسم يرتبط بالمستوى الدلالي ارتباطاً وثيقاً؛ وغالباً ما يرد هذا النمط من التقديم في سياقات مؤكدة بقوة؛ فقد يؤكد بثلاثة مؤكدات وهو أعلى توكيد في الأساليب العربية؛

كما في سورة الطارق في قوله تعالى: ﴿  ﴾

﴿  ﴾؛ فقد أراد تعالى توكيد حقيقة مهمة طالما أنكرها مشركو مكة وهي حقيقة البعث والرجوع إلى الله تعالى. ولذلك قدم الله تعالى شبه الجملة من الجار والمجرور: (على رجعه) على متعلقه (لقادر) لأنه محل إنكار من المشركين. كما أفاد هذا التقديم الاختصاص أي اختصاص القدرة به تعالى في ذللك اليوم وفسي غيهره. فقوله تعالى: ﴿  ﴾

﴿  ﴾

(389) اللغة والخطاب الأدبي: مقالة (اللغة والأدب)، إدوار سابيير، ترجمة سعيد الغانمي: 35.

(390) المصدر نفسه: 35.

(391) ينظر: دلالات التراكييب، د. محمد أبو موسى، ط1، 1979م، القاهرة: 176.

(392) بنية اللغة الشعرية: 188.

(393) معايير تحليل الأسلوب: 56.

(394) سورة الطارق: 8.

﴿﴾ > (395) على الإطلاق أولاً وأخيراً وفي كل وقت ثم ذكر تعالى وخصص من الأوقات الوقت الأهم على الكفار لأنه وقت الجزاء والوصول إلى العذاب ليجتمع الناس إلى حذره والخوف منه). (396) وتطرد هذه الظاهرة الأسلوبية، في سورة العاديات في أربعة مواضع: فقد أراد الله تعالى أن يصور الإنسان الكنود

الكفور -معرضاً بمشركي مكة- فعمد إلى تأكيد ذلك بثلاثة مؤكدات وذلك في قوله تعالى: ﴿﴾ > (397) فتأمل براعة التقديم في هذا النسق القرآني؛ وما أضفاه تقديم الجار والمجرور: (لربه)، من تصوير شدة كفر هذا الإنسان وجوده فهو يكفر بربه الذي تعهده ورباه؛ فلو كان الكفران والكنود بغير الله لكان أهون ولكن أن يكون بالله فهو أشد وأفظع وأنكر.

ثم تأمل ما يلي هذا التعبير القرآني وهو قوله تعالى: ﴿﴾ > (398) و((ظاهر اتساق الضمائر ان يكون ضمير (وانه) للإنسان فيكون المراد بكونه شهيداً على كفران نفسه بكفران علمه المذموم وتحمله له)) (399)؛ وشبه الجملة: (على ذلك) أي: على ذلك الكفران؛ فقدم السياق القرآني ما هو أعنى به من وصف كفران الإنسان وجوده.

ويلي ذلك الآية الكريمة: ﴿﴾ > (400)؛ فقدم تعالى شبه الجملة (لحب الخير) فأفاد هذا التقديم تأكيداً ثالثاً للسياق؛ محققاً به تجانساً تركيبياً وتجانساً صوتياً مع الآية السابقة.

وفي الموضع الرابع وهو قوله تعالى: ﴿﴾ > (401) تقدمت شبه الجملة (بهم) على متعلقها (لخبير) فأفادت تأكيد السياق القرآني ولو تأخرت لما بلغت الشحنة التوكيدية أقصاها إذ وكد السياق ثلاث مرات: (إن ... بهم .. لخبير).

ونلاحظ في استهلال سورة الغاشية تقدم الظرف المتعلق بالخبر ذلك في قوله تعالى: ﴿﴾ > (402) ف ((قوله تعالى (وجه) هو مبتدأ و(خاشعة) خبره ويومئذ ظرف للخبر)) (403)، وتقديم الظرف أنسب لسياق السورة المتصدرة بالاستفهام عن الغاشية أي يوم القيامة؛ ومثله أيضاً (يومئذ) في قوله تعالى: ﴿﴾ > (404).

وقد ورد الجار والمجرور المتعلق بالاسم متقدماً في سياق مؤكد لمرة واحدة، وذلك في سورة الغاشية أيضاً في قوله تعالى: ﴿﴾ > (405)؛

(395) سورة الطارق: 8.

(396) البحر المحيط: مجلد 8/456-455.

(397) سورة العاديات: 6.

(398) سورة العاديات: 7.

(399) تفسير الميزان: 346/20.

(400) سورة العاديات: 8.

(401) سورة العاديات: 11.

(402) سورة الغاشية: 2.

(403) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، صححه محمد الزهري الغمراوي، 1321 هـ، المطبعة الميمنية بمصر: 154/2.

(404) سورة الغاشية: 8.

(405) سورة الغاشية: 22.

فقد أكد السياق بالحرف الزائد ثم جاء التقديم توكيداً ثانياً؛ كما حقق هذا التقديم اتفاقاً لروي الفواصل؛ ولو تأخرت شبه الجملة لعدمنا ذلك الاتفاق.

أما في سورة الهمزة فقد حقق تقديم شبه الجملة في قوله تعالى: ﴿مِنْ مَعِينِ وَكَانَ وَجْهُكَ مُسْتَقِيمًا﴾ (406) توكيداً ثانياً للسياق بعد أن تصدر بالتوكيد ب (إن)؛ أضف إلى ذلك ما صورته هذا التقديم لإحكام الغلق عليهم؛ وغير خافٍ إن ظلال هذا المعنى ستهتر لو أخرنا شبه الجملة فقلنا: إنها موصدة عليهم؛ إن تقديم ضمير الجماعة الغائبين: (هم) العائد على كل همزة لمزة يؤكد عناية السياق القرآني بتصوير حال هؤلاء وشدة إطباق النار عليهم، إن هذا التقديم قد جعل الفواصل تتواطأ على حرف واحد؛ وهناك دقة أسلوبية في انتقاء شبه الجملة المتقدم إذ (نلمح من سر البيان فيها، أنها (عليهم) بما تفيد من الإطباق الملاصق المباشر ولا تقوم مقامها (فوقهم) مثلاً، لاحتمال أن تكون الفوقية غير ملاصقة ولا مطبقة ملاسقة)). (407)

أما في سورة الماعون فإن السياق القرآني فيها مؤكد بمؤكد واحد وهو ضمير الفصل (هم) ثم جاء تقديم شبه الجملة (عن صلاتهم) توكيداً ثانياً: ﴿إِن يَدْعُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ مَّا وَعَدْنَاهُمْ فَلَا تَصِلُنَّ إِلَيْهَا إِنَّهُمْ عَصَوُا أَمْرًا﴾ (408)؛ كما حقق هذا التقديم اتفاقاً لروي الفواصل على حرف النون.

وتقدمت شبه الجملة (عنه) على الاسم الذي تتعلق به في قوله تعالى في سورة اللهب: ﴿لَا تَدْعُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ مَّا وَعَدْنَاهُمْ فَلَا تَصِلُنَّ إِلَيْهَا إِنَّهُمْ عَصَوُا أَمْرًا﴾ (409) فساهم هذا التقديم في انسجام إيقاع هذه الآية مع الآية السابقة لها: ﴿لَا تَدْعُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ مَّا وَعَدْنَاهُمْ فَلَا تَصِلُنَّ إِلَيْهَا إِنَّهُمْ عَصَوُا أَمْرًا﴾ (410)

وغير خافٍ إننا سنعدم ذلك الإيقاع لو تأخرت شبه الجملة كما أنّ المتأمل في الآية لا يعدم الظفر بملحظ دلالي للتفريق بين ترتيب العناصر اللغوية في الآية وبين قولنا على التأخير في غير القرآن: ما أغنى ماله عنه وما كسب، فالتعبير القرآني أقوى وأوقع في تصوير خسران أبي لهب وتبابه؛ وقد استقرت المواضع القرآنية فوجدت أن هذا التقديم سمة أسلوبية قرآنية يأتي بها البيان القرآني المعجز كلما أراد التعبير عن خسران أهل الكفر وخيبتهم.

أما في سورة الإخلاص فقد تقدمت شبه الجملة وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَا إِلَىٰ جَنَّةٍ مَّا وَعَدْنَاهُمْ فَلَا تَصِلُنَّ إِلَيْهَا إِنَّهُمْ عَصَوُا أَمْرًا﴾ (411) (لأن له) راجعة إلى الله تعالى وأنّ هذه اللفظة التي كان حقها التأخير، قد شرفها ضمير الجلالة فصار حقها التقديم والتصدير)) (412) ف ((هذا الكلام [الآية] إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات البارئ سبحانه، وهذا المعنى مصبه ومركزه هو وهذا الظرف فكان لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقديم وأحراه)) (413)؛ أي أنّ (له)، هي بؤرة التعبير فكان حقها التقديم.

وقد يقع التقديم ليحقق بنية إيقاعية للنص؛ كما نجد ذلك في سورة العاديات، في قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَا إِلَىٰ جَنَّةٍ مَّا وَعَدْنَاهُمْ فَلَا تَصِلُنَّ إِلَيْهَا إِنَّهُمْ عَصَوُا أَمْرًا﴾ (414) و ﴿إِذَا دَعَا إِلَىٰ جَنَّةٍ مَّا وَعَدْنَاهُمْ فَلَا تَصِلُنَّ إِلَيْهَا إِنَّهُمْ عَصَوُا أَمْرًا﴾ (415)؛ كما يحقق التقديم هنا (التجانس التركيبي)؛ ونعني ب (التجانس التركيبي) إطراد العناصر اللغوية في داخل التركيب القرآني وفقاً لنموذج واحد؛ وهذا

(406) سورة الهمزة: 8.
 (407) التفسير البياني: 179/2.
 (408) سورة الماعون: 4، 5.
 (409) سورة اللهب: 2.
 (410) سورة اللهب: 1.
 (411) سورة الإخلاص: 4.
 (412) نظرات حديثة في تفسير القرآن، محمد عبد الرحمن الجديلي، ط1، 1963، بيروت: 63.
 (413) الكشاف: مجلد 299/4.
 (414) سورة العاديات: 4.
 (415) سورة العاديات: 5.

النموذج في هاتين الآيتين هو: (الفاء + الفعل + الجار والمجرور (المتقدم) + اسم منصوب -يساوي في الآية الأولى مفعولاً به وفي الثانية مصدرأ-). وهذا التوازي التركيبي والصوتي من أوجه الإعجاز القرآني، إذ لا يقوى البشر على مثله.

ب- تقديم شبه الجملة المتعلقة بالفعل:

وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع، في سورة الطارق: من قوله تعالى:

< ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ > (416)

ف ((مَمَّ خَلَقَ)) استفهام ومَنْ متعلقة بخلق)) (417)؛ وإذا كانت ((الكتابة الفنية تتطلب من الكاتب أن يفاجئ قارئه من حين إلى حين بعبارة تثير انتباهه حتى لا تفتر حماسه لمتابعة القراءة أو يفوته معنى يحرص الكاتب على إبلاغه إياه)) (418) فإن الآية الكريمة بتقديمها لهذا التساؤل: مَمَّ خَلَقَ؟! في سياق الوعيد الذي ورد فيه كانت أكثر إثارة لتنبه الإنسان، ((فلما ذكر أن كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الإنسان بالنظر إلى مبدئه ليعلم صحة إعادته فلا يُلمي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته)) (419). وقد ورد تقديم شبه الجملة المتعلقة بالفعل في سورة الضحى وذلك في قوله تعالى: >

㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

فيتقدم المعمول ونحوه كالجار والمجرور والظرف والحال لأغراض بلاغية منها: 1- الإشارة إلى أن المتأخر وهو الفعل مختص بما تقدم عليه وهذا التخصيص لازم التقديم غالباً بشهادة الاستقراء وحكم الذوق)) (421)، قال العكبري في توجيهه لآية الضحى السابقة ((وبنعمة ربك) متعلق بـ (حدّث) ولا تمنع الفاء من ذلك لأنها كالزائدة)) (422)؛ إن شبه الجملة هنا أفادت اختصاص الفعل (حدّث) بنعمة المولى فهي النعمة التي ليس بعدها نعمة ولا مزيد عليها فما أجدرها أن تختص بالتحديث دون غيرها!.

وأما الموضع الثاني فقد جاء في سورة الانشراح وهو قوله تعالى: >

㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

❖ ❷ ❸ ❹ ❺ ❻ ❼ ❽ ❾ ❿ ⓫ ⓬ ⓭ ⓮ ⓯ ⓰ ⓱ ⓲ ⓳ ⓴ ⓵ ⓶ ⓷ ⓸ ⓹ ⓺ ⓻ ⓼ ⓽ ⓾ ⓿ > (423) وغير خاف أن هذا التقديم أفاد الاختصاص أي اختصاص المولى بالرغبة إليه: ((أي اصرف وجه الرغبات إليه لا إلى سواه)) (424) فهو تعالى خير مقصود.

ج- تقديم شبه الجملة المخبر بها عن تاليها:

هذا النمط من التقديم نمط دقيق ينبغي تأمله طويلاً للاهتمام إلى أسرارهِ ولطائفهِ؛ وهو نوعان: الأول- يفيد الاختصاص؛ والثاني- يراعى فيه حُسن النظم؛ لا الاختصاص؛ هكذا صنفه ابن الأثير؛ ومثّل له بقوله تعالى: >

㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

❶ ❷ ❸ ❹ ❺ ❻ ❼ ❽ ❾ ❿ ⓫ ⓬ ⓭ ⓮ ⓯ ⓰ ⓱ ⓲ ⓳ ⓴ ⓵ ⓶ ⓷ ⓸ ⓹ ⓺ ⓻ ⓼ ⓽ ⓾ ⓿ > (425)؛ قال: ((لأن قوله تعالى:

㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ >

(416) سورة الطارق: 5.
 (417) البحر المحيط: مجلد 455/8.
 (418) اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري محمد عياد، ط1، 1988م، دون ذكر لمكان الطبع: 81.
 (419) أنوار التنزيل: 794.
 (420) سورة الضحى: 11.
 (421) في البنية والدلالة، رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية، د. سعد أبو الرضا، 1987م، دار المعارف، الإسكندرية: 145.
 (422) إملاء ما من به الرحمن: 155/2.
 (423) سورة الانشراح: 8.
 (424) البحر المحيط: مجلد 489/8.
 (425) سورة القيامة: 23.

يومئذ ناضرة ناظرة إلى ربها، والفرق بين النظمين ظاهر (...) وفي القرآن مواضع كثيرة من هذا القبيل يقيسها غير العارف بأسرار الفصاحة على مواضع أخرى وردت للاختصاص وليست كذلك، فمنها قوله تعالى: >

﴿يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أِيَّ رَبِّهَا وَالْفَرْقَ بَيْنَ النَّظْمَيْنِ ظَاهِرٌ (...) وَفِي الْقُرْآنِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَقِيْسُهَا غَيْرُ الْعَارِفِ بِأَسْرَارِ الْفِصَاحَةِ عَلَى مَوَاضِعٍ أُخْرَى وَرَدَتْ لِلْإِخْتِصَاصِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: >

﴿يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أِيَّ رَبِّهَا وَالْفَرْقَ بَيْنَ النَّظْمَيْنِ ظَاهِرٌ (...) وَفِي الْقُرْآنِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَقِيْسُهَا غَيْرُ الْعَارِفِ بِأَسْرَارِ الْفِصَاحَةِ عَلَى مَوَاضِعٍ أُخْرَى وَرَدَتْ لِلْإِخْتِصَاصِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: >

(426) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: > ﴿يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أِيَّ رَبِّهَا وَالْفَرْقَ بَيْنَ النَّظْمَيْنِ ظَاهِرٌ (...) وَفِي الْقُرْآنِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَقِيْسُهَا غَيْرُ الْعَارِفِ بِأَسْرَارِ الْفِصَاحَةِ عَلَى مَوَاضِعٍ أُخْرَى وَرَدَتْ لِلْإِخْتِصَاصِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: >

(427) و > ﴿يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أِيَّ رَبِّهَا وَالْفَرْقَ بَيْنَ النَّظْمَيْنِ ظَاهِرٌ (...) وَفِي الْقُرْآنِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَقِيْسُهَا غَيْرُ الْعَارِفِ بِأَسْرَارِ الْفِصَاحَةِ عَلَى مَوَاضِعٍ أُخْرَى وَرَدَتْ لِلْإِخْتِصَاصِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: >

(428) و > ﴿يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أِيَّ رَبِّهَا وَالْفَرْقَ بَيْنَ النَّظْمَيْنِ ظَاهِرٌ (...) وَفِي الْقُرْآنِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَقِيْسُهَا غَيْرُ الْعَارِفِ بِأَسْرَارِ الْفِصَاحَةِ عَلَى مَوَاضِعٍ أُخْرَى وَرَدَتْ لِلْإِخْتِصَاصِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: >

(429) فَإِنَّ هَذِهِ [الآيات الكريمة] جميعاً لم تقدم الظروف فيها للاختصاص وإنما قُدمت لمراعاة الحسن في نظم الكلام؛ فاعرف ذلك)) (430).

وقد أحسن ابن الأثير فيما قاله إذ إن معرفة أسرار هذا التقديم من المواضع التي تزل فيها الأقدام؛ بيد أنه يمكننا القول على الإجمال: إن التقديم والتأخير -عموماً- يحقق وظيفة صوتية بشكل مطّرد وهذا ما عناه ابن الأثير بمصطلحه: (مراعاة الحسن في نظم الكلام) بيد أن ذلك غالباً ما يعزز بوظائف أخرى تتصل بالمستوى الدلالي للتعبير ومن ذلك الاختصاص الذي هو ليس الوظيفة الوحيدة للتقديم فهناك وظائف أخرى... والسياق القرآني هو الذي يحدد هذه الوظائف وصلتها بالمستوى الجمالي للتعبير؛ فمواقع الكلمات من الجملة عظيمة المرونة كما هي شديدة الحساسية، وأي تغيير في ترتيبها ينتج تغييرات جوهرية في تشكيل المعاني، وألوان الحسن. (431)

وقد تقدمت شبه الجملة -الخبر- في سورة الطارق؛ وذلك في قوله تعالى: > ﴿يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أِيَّ رَبِّهَا وَالْفَرْقَ بَيْنَ النَّظْمَيْنِ ظَاهِرٌ (...) وَفِي الْقُرْآنِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَقِيْسُهَا غَيْرُ الْعَارِفِ بِأَسْرَارِ الْفِصَاحَةِ عَلَى مَوَاضِعٍ أُخْرَى وَرَدَتْ لِلْإِخْتِصَاصِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: >

﴿يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أِيَّ رَبِّهَا وَالْفَرْقَ بَيْنَ النَّظْمَيْنِ ظَاهِرٌ (...) وَفِي الْقُرْآنِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَقِيْسُهَا غَيْرُ الْعَارِفِ بِأَسْرَارِ الْفِصَاحَةِ عَلَى مَوَاضِعٍ أُخْرَى وَرَدَتْ لِلْإِخْتِصَاصِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: >

(432)؛ وهذه الآية هي جواب القسم وقد تقدمها توكيدان بالقسم فجاء المقسم عليه مؤكداً مرتين مرة بالقصر وثانية بهذا التقديم، فالتقديم أفاد تقوية المعنى وهو كما ((قال ابن سيرين وقتادة وغيرهما إن كل نفس مكلفة عليها حافظ يحصي أعمالها ويعدها للجزاء عليها فيكون في الآية وعيد زاجر وما بعد ذلك [يعني من الآيات] يدل عليه)) (433) ف ((الحافظ هو الملك والمحفوظ العمل)) (434)؛ فتقديم شبه الجملة ينسجم مع سياق الوعيد.

كما نجد في السورة نفسها تقديم آخر من هذا النمط وذلك في قوله تعالى: > ﴿يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أِيَّ رَبِّهَا وَالْفَرْقَ بَيْنَ النَّظْمَيْنِ ظَاهِرٌ (...) وَفِي الْقُرْآنِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَقِيْسُهَا غَيْرُ الْعَارِفِ بِأَسْرَارِ الْفِصَاحَةِ عَلَى مَوَاضِعٍ أُخْرَى وَرَدَتْ لِلْإِخْتِصَاصِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: >

﴿يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أِيَّ رَبِّهَا وَالْفَرْقَ بَيْنَ النَّظْمَيْنِ ظَاهِرٌ (...) وَفِي الْقُرْآنِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَقِيْسُهَا غَيْرُ الْعَارِفِ بِأَسْرَارِ الْفِصَاحَةِ عَلَى مَوَاضِعٍ أُخْرَى وَرَدَتْ لِلْإِخْتِصَاصِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: >

(435) وإذا تأملنا في السياق القرآني للآيات السابقة لهذه السورة نجد اطراد ظاهرة تقديم الضمائر العائدة على الإنسان في هذا السياق الزاجر المتوعد؛ فقد تقدم الضمير العائد على النفس الإنسانية في شبه الجملة المتقدمة في قوله تعالى: > ﴿يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أِيَّ رَبِّهَا وَالْفَرْقَ بَيْنَ النَّظْمَيْنِ ظَاهِرٌ (...) وَفِي الْقُرْآنِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَقِيْسُهَا غَيْرُ الْعَارِفِ بِأَسْرَارِ الْفِصَاحَةِ عَلَى مَوَاضِعٍ أُخْرَى وَرَدَتْ لِلْإِخْتِصَاصِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: >

﴿يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أِيَّ رَبِّهَا وَالْفَرْقَ بَيْنَ النَّظْمَيْنِ ظَاهِرٌ (...) وَفِي الْقُرْآنِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَقِيْسُهَا غَيْرُ الْعَارِفِ بِأَسْرَارِ الْفِصَاحَةِ عَلَى مَوَاضِعٍ أُخْرَى وَرَدَتْ لِلْإِخْتِصَاصِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: >

(436)، وتقدم الضمير العائد على الإنسان في شبه الجملة في قوله تعالى: > ﴿يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أِيَّ رَبِّهَا وَالْفَرْقَ بَيْنَ النَّظْمَيْنِ ظَاهِرٌ (...) وَفِي الْقُرْآنِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَقِيْسُهَا غَيْرُ الْعَارِفِ بِأَسْرَارِ الْفِصَاحَةِ عَلَى مَوَاضِعٍ أُخْرَى وَرَدَتْ لِلْإِخْتِصَاصِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: >

(426) سورة القيامة: 12.
 (427) سورة الشورى: 53.
 (428) سورة القصص: 70.
 (429) سورة هود: 88.
 (430) المثل السائر: 44-43/2.
 (431) ينظر: دلالات التراكيب: 175.
 (432) سورة الطارق: 3.
 (433) البحر المحيط: مجلد 455/8.
 (434) تفسير الميزان: 259/20.
 (435) سورة الطارق: 10.
 (436) سورة الطارق: 4.

هذه الهندسة القرآنية في ترتيب العناصر اللغوية داخل التراكيب القرآنية ومراعاة التناظر بين هذه التراكيب ترتبط بالمستوى الجمالي للنص القرآني.

وقد تقدمت شبه الجملة (الخبر) في سورة الغاشية وذلك في خمسة مواضع:

الأول- قوله تعالى: > ﴿ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ قوله تعالى: > ﴿ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ (437)، وتقدم الضمير العائد على الإنسان في الآية التي نحن بصددنا؛ وغير خاف أنّ هذه الهندسة القرآنية في ترتيب العناصر اللغوية داخل التراكيب القرآنية ومراعاة التناظر بين هذه التراكيب ترتبط بالمستوى الجمالي للنص القرآني.

والموضع الثاني- في قوله تعالى: > ﴿ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ (438)؛ وهذا التقديم لشبه الجملة (لهم) أفاد السياق توكيداً وتقوية إضافة إلى توكيده بأسلوب القصر وما يؤديه ((أسلوب القصر من تمكين المعنى في ذهن المخاطب، لأن أسلوب القصر في كثير من الأحيان يجعل السامع يتشوق إلى ما بعده)) (439) إذ يأتي وصف ذلك الضريع: > ﴿ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ (440).

والموضع الثالث- في قوله تعالى: > ﴿ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ (441) ونلاحظ في هذا التقديم ملحظين: الأول أنه جاء مناظراً لقوله تعالى في آية سابقة: > ﴿ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ (442) من تقديم الجار والمجرور في صدر الآية؛ والثاني هو أنّ هذا التقديم كان ضرورياً لتطرّد الفواصل على روي واحد.

والموضع الرابع- في قوله تعالى: > ﴿ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ (443) والقول فيه كالفول في التقديم الذي حصل في الموضع الثاني مع ملحظ آخر هو أن التقديم هنا قد حقق تجانساً تركيبياً بين الآيتين — بين > ﴿ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ (444)، > ﴿ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ (445).

والموضع الخامس- في قوله تعالى: > ﴿ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ (446) وبنظر في توجيه الضمير في الآية السابقة: > ﴿ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ (447) وقد مثل ابن الأثير بالآيتين الكريميتين لمجيء تقديم الجار والمجرور لغرض الاختصاص إذ يقول: ((وأما تقديم الظرف [الجار والمجرور]، فإنه إذا كان الكلام مقصوداً به الإثبات فإن تقديمه أولى من تأخيره، وفائدته إسناد الكلام الواقع بعده [في الآيتين: (إياهم، حسابهم)] إلى صاحب الظرف دون غيره)) (448). وقال البيضاوي في توجيهه لتقديم الخبر شبه الجملة في: ((إنّ علينا حسابهم)): ((وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد)) (449) وتكمن المبالغة في التقوية التي أفادها التقديم، خصوصاً أنّ ضمير (نا) في (علينا) عائد إلى الذات الإلهية

(437) سورة الطارق: 8، وينظر في توجيه الضمير في الآية إلى البحر المحيط: مجلد 8/455.

(438) سورة الغاشية: 6.

(439) إعجاز القرآن وعلم المعاني، د. عمر الملاحويش، ط1، 1407 هـ-1986م، مكتبة الفلاح، الكويت: 261.

(440) سورة الغاشية: 7.

(441) سورة الغاشية: 12.

(442) سورة الغاشية: 10.

(443) سورة الغاشية: 13.

(444) سورة الغاشية: 12.

(445) سورة الغاشية: 13.

(446) سورة الغاشية: 25.

(447) سورة الغاشية: 26.

(448) المثل السائر: 42/2.

(449) أنوار التنزيل: 797.

المقدسة وكذلك الضمير (نا) في آية: > ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِدْ﴾ (450).
 ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِدْ﴾

فضلاً عن ما تقدم فإن هذا التقديم قد حقق (التوازي) بين الآيتين الكريمتين والتوازي هو اتفاق الفواصل في الوزن والروي.

وقد جاءت شبه الجملة (له) متقدمة في سورة الفجر في قوله تعالى: > ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِدْ﴾

المتوعد؛ خصوصاً أن الضمير فيها عائد على الإنسان؛ ولنتلو الآية الكريمة: > ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِدْ﴾

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِدْ﴾ (451) فهذا الاستقهام التعجبي سُلِّط على مجيء الذكرى من الإنسان بعد

فوات الأوان؛ وهذا المعنى الذي نستشفه من التقديم سندعّمه لو أخرنا شبه الجملة فقلنا: أنى الذكرى له، فجالية هذا التعبير

تكن في إيلاء الاستقهام شبه الجملة، أضف إلى ذلك أن مجيء الذكرى فاصلة في الآية بسبب التقديم له أثره في البناء الصوتي

المحكم للنص إذ انتهت الفاصلة بحرف مد، لتتفق مع فاصلة الآية التالية لها: > ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِدْ﴾ (452) إذ

الألف والياء من أصوات المد.

وجاء تقديم شبه الجملة (عليهم) في ختام سورة البلد وذلك في قوله تعالى:

> ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِدْ﴾ (453) وفي تقديمها نكتة

بلاغية إذ الآية تصوّر شدة إطباق النار على الكافرين وعمدت لتحقيق ذلك إلى تقنيات أسلوبية دقيقة: أولها- انتقاء شبه

الجملة (عليهم) ((ولم يقل فوقهم، وذلك لأن الفوقية تحتل البعد وعدم الملاصقة، بخلاف (عليهم) التي تفيد الإطباق

المباشر)) (454)، وثانيها- تقديم شبه الجملة هذه؛ وثالثها- تقييد النار وتحديدها بالنعن (مؤصدة) أي مطبقة من أوصدت الباب

إذا أطبقته وأغلقته (455)، فهذه ثلاث لطائف في تركيب قرآني من ثلاث مفردات.

وقد تقدمت شبه الجملة (الخبر) في سورة الليل في موضعين متتاليين وهو قوله تعالى:

> ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِدْ﴾ (456) و > ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِدْ﴾

واردتان في سياق وعيد ولذلك كان من المناسب فيهما تقديم شبه الجملة، خصوصاً وأن شبه الجملة في الآية الأولى والثانية:

(علينا، لنا) قد اشتملت على ضمير الجماعة المتكلمين والعائد على الله تعالى وضمير الجماعة يستعمل هنا في سياق

التعظيم؛ والأيان مؤكدتان بأقوى أساليب التوكيد إذ وكدتا بأنّ وبتقديم شبه الجملة وباللام المزحلقة، ولاحظت د. عائشة عبد

الرحمن في الآية الثانية ملحظاً بيانياً فقالت: والملحظ البياني في ((الآية) هو العدول عما هو مألوف من تقديم الأولى على

الأخرة. وليس التعلق برعاية الفاصلة هو الذي اقتضى تقديم الأخرة هنا على الأولى، وإنما اقتضاه المعنى في سياق البشرى

والنذير، إذ الأخرة خير وأبقى وعذابها أكبر وأشد وأخزى وأبقى، وأن الأخرة هي دار القرار)) (458).

(450) سورة الغاشية: 26.

(451) سورة الفجر: 23.

(452) سورة الفجر: 24.

(453) سورة البلد: 20.


(454) التفسير البياني: 172/1.

(455) ينظر: أنوار التنزيل: 799.

(456) سورة الليل: 12.


(457) سورة الليل: 13.

(458) التفسير البياني: 112/2.

وقد وقع تقديم شبه الجملة: (في جيدها)؛ وذلك في سورة اللهب في قوله تعالى: ﴿ ٧ ﴾  ما قبل هذه الآية هـ وقوله تعالى:

﴿ ٢ ﴾ 

﴿ ٤٦٨ ﴾؛ فناسب تقديم شبه الجملة لاشتمالها على الضمير (ها) العائد على (امرأته)؛ إن تقديم شبه الجملة (في جيدها) يثير المتلقي ويشوقه لسماع الشيء الذي علق في جيد هذه المرأة الجهنمية فيأتي: (حبل من مسد) استجابة لذلك.

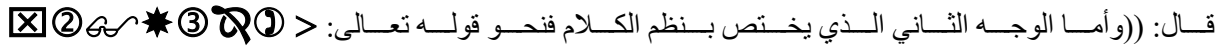
أما في سورة الكافرين فقد تقدمت شبه الجملة مرتين وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٥ ﴾  اختصاصه (5) بدينه واختصاص الكافرين بدينهم، كما أفاد توكيداً للسياق.

ثانياً- تقديم المفعول به:

يتداول البلاغيون أنموذجاً أثيراً لتقديم المفعول به للاختصاص وهو قوله تعالى:

﴿ ١ ﴾ 

﴿ ٤٧٠ ﴾؛ أي اختصاص المولى بالعبادة والاستعانة دون سواه. كما نجد تقديم العبادة على الاستعانة وهو من قبيل تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة؛ ويرى ابن الأثير أن التقديم في سورة الحمد يختص بنظم الكلام

قال: ((وأما الوجه الثاني الذي يختص بنظم الكلام فنحو قوله تعالى: ﴿ ٣ ﴾ 

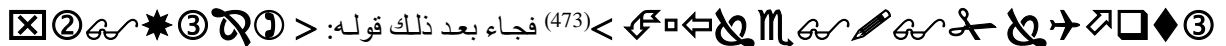
﴿ ٤٧١ ﴾ وقد ذكر الزمخشري في تفسيره أن التقديم في هذا الموضع قصد به الاختصاص، وليس كذلك فإنه لم يقدم المفعول به على الفعل للاختصاص، وإنما قدم لمكان نظم الكلام؛ لأنه لو قال نعبدك ونستعينك لم يكن له من الحسن ما لقوله: >

﴿ ١ ﴾ 

﴿ ٤٧٢ ﴾ ألا ترى انه تقدم قوله تعالى: >

﴿ ٦ ﴾ 

﴿ ٢ ﴾ 

﴿ ٣ ﴾ 

﴿ ٤٧٣ ﴾ فجاء بعد ذلك قوله: >

﴿ ٤٧٤ ﴾ وذلك

لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون، ولو قال نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة، وزال ذلك الحسن، وهذا غير خافٍ على أحد من الناس، فضلاً عن أرباب علم البيان)).(475)

(467) سورة اللهب: 5.
 (468) سورة اللهب: 4.
 (469) سورة الكافرين: 6.
 (470) سورة الحمد: 5.
 (471) سورة الحمد: 5.
 (472) سورة الحمد: 5.
 (473) سورة الحمد: 4-2.
 (474) سورة الحمد: 5.
 (475) المثل السائر: 39/2.

ونرى أنّ تحليل ابن الاثير لوظيفة التقديم في هذا السياق القرآني صائب تماماً؛ لأن النظم القرآني -لاسيما قصار السور- يراعى فيه اتفاق الفواصل على روي متماثل أو متقارب وهو في الحمد من النوع الثاني، وهذا المبدأ ثابت؛ قال الزركشي في تحليله للتقديم في الآية: ((ورعاية التشابه في الفواصل لازم))⁽⁴⁷⁶⁾ بيد أننا نؤاخذ عليه نفيه لإفادة التقديم للاختصاص، وعندنا أنه لا تعارض بين ما يتوفر عليه التقديم من مزايا جمالية خصوصاً في المستوى الصوتي للتعبير القرآني الذي ورد فيه وبين إفادته للاختصاص، على أن المتأمل في أسرار التقديم يجد غالباً -إن لم يكن دائماً- أن التقديم يــــؤدي أكثــــر مــــر مــــن وظيفــــة؛ ويمكننا القــــول بــــباطمئنان- إن ثنائية التقديم والتأخير ثنائية أسلوبية قرآنية تعد من أوجه الإعجاز القرآني، فلا يتم التقديم على حساب المعنى من أجل بهرج صوتي هو اتفاق الفواصل؛ ويمكن الإعجاز في أنّ الأسلوب القرآني في التقديم والتأخير يتم في سياقات فنية دقيقة ومحسوبة بعناية بحيث لو تأخر المتقدم لأختل المعنى المراد التعبير عنه، ولتضرر المستوى الجمالي للتعبير.

وأما في سورة الفجر فقد وقع تقديم المفعول به في موضعين متتاليين هما قوله تعالى:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾⁽⁴⁷⁷⁾

وذلك السياق تقديم المفعول به. وكذلك الأمر في قوله تعالى:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾⁽⁴⁷⁸⁾؛ إذ غير خاف أنّ قولنا: لا يوثق أحد وثاقه ليس له وقع الآية الكريمة؛ بل فيه نبوة ووهن حاشا التعبير القرآني المعجز منهما. أضف إلى ما تقدم ما أضفاه التقديم من (تجانس تركيبى) بين التركيبين القرآنيين، وكذلك (التجانس الصوتي) بينهما.

أما في سورة الضحى فقد تقدم المفعول به في موضعين متتاليين: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾⁽⁴⁷⁹⁾ فقدم اليتيم والسائل للاحتفاظ بالموسيقى في الآيات القرآنية، ولزيادة التناسق اللفظي، إنّ لأسلوب التقديم مفعوله الأسلوبى الذي يؤثر في المتلقي وإذا أخرجنا المعمول -أي المفعول- نجد خروجاً على النسق ونفرة في النظم⁽⁴⁸⁰⁾؛ وليس هذا كل أسرار التقديم في هذا السياق الفني القرآني المعجز، إذ فيه أيضاً أنّ تقديم الاسم هنا أوقع في النفس لأنّ الآية الكريمة إنما سيقّت لتكون وصية باليتيم، فناسب ذلك السياق تقديم الموصى به؛ وقد أراد سبحانه وتعالى أن تأتي الوصية باليتيم في سياق توكيد فوق التوكيد مرتين، مرة بالحرف (أما) الذي يقول ابن هاشم فيه: ((وهو حرف شرط وتفصيل وتوكيد (..) وأما التوكيد فقلّ من ذكره، ولم أر من أحكم شرحه غير الزمخشري، فإنه قال: فائدة أما في الكلام أن تعطيه فضل توكيد))⁽⁴⁸¹⁾؛ وثانية بتقديم الاسم (اليتيم). ومن أسرار التعبير القرآني في هاتين الآيتين أيضاً ما تضمنته من نكتة بلاغية أو من (فن التنكيت) -بحسب مصطلح ابن أبي الأصبغ المصري- إذ يقول: ((وفي هاتين الفاصلتين مع الالتزام [يقصد لزوم ما لا يلزم] تنكيت عجيب فإنه يقال: هل يجوز التبديل في القرينتين^(*) فتأتي كل واحدة منهما مكان أختها؟ فيقال: لا يجوز ذلك لأن النكتة في ترجيح مجيئها على ما

(476) البرهان في علوم القرآن: 75/1.

(477) سورة الفجر: 25-26.

(478) سورة الفجر: 26.

(479) سورة الضحى: 9-10.

(480) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، ط4، 1983 ودون ذكر لمكان الطبع: 233.

(481) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، د.ت. ودون ذكر لمكان الطبع: 56/1، 57.

(*) القرينة هي الجملة في النثر ويقابلها البيت في الشعر ويعني بالقرينتين هنا الآيتين وأخر كلمة في القرينة هي الفاصلة وتقابلها في البيت القافية.

جاءتا عليه أن اليتيم مأمور بأدبه وأقل ما يؤدب به الانتهار، فلا يجوز أن ينهى عن انتهاره، وإنما الذي ينهى عنه قهره وغلبيته لانكساره باليتيم وْعُدْمُ ناصره، فمن هاهنا ترجح مجيء كل قرينة على ما جاءت عليه ولم يجز التبديل⁽⁴⁸²⁾.
وليس ما تقدم كل ما في هاتين الآيتين من لطائف في التقديم إذ فيهما أيضاً أنّ هذا التقديم قد جعلهما مسجوعتين بسجع التوازي وهذا يدخل في المستوى الصوتي.

⁽⁴⁸²⁾ بدیع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تح حفني محمد شرف، ط1، 1957، مكتبة نهضة مصر بالفجالة- القاهرة: 288.

ثانياً- الحذف والذکر:

يتبوأ الحذف أهمية كبيرة في البحث الأسلوبية بوصفه (انزياحاً) عن مستوى التعبير العادي؛ وهو يشكل (ثغرة) تمهد الطريق للمتلقى للولوج للنص لتأويل المحذوف وتخيله.

الحذف:

هو إجراء أسلوبية يعمد فيه المبدع إلى تغييب عنصر لغوي من عناصر الجملة، ليحقق بذلك أثراً أسلوبياً في المتلقى؛ ((فالإجراء الأسلوبية مؤلف بطريقة لا يمكن معها للقارئ، أن يمر بجانبه ولا أن يقرأه أيضاً دون أن يسوقه إلى ما هو جوهرية))⁽⁴⁸³⁾؛ وتكمن قيمة الحذف الفنية في كونه ((يستثير فكر المتلقى حول هذا المحذوف، وما ارتبط به من علاقات دلالية، فيتضاعف إدراك المتلقى وإحساسه بالفكرة التي تدل عليها العبارة ذات القوة التعبيرية، أو ما توحى به من معان، كما يدرك دورها في جلاء أبعاد النص كله، وبسط قضاياها، في شمول ونماء))⁽⁴⁸⁴⁾. ولما كان تحقيق الفائدة والفهم عند المتلقى هي شرط التواصل اللغوي؛ فإن الحذف لا يتم إلا بشروط أولها وجود دليل عليه؛ وقسم ابن هشام الدليل على نوعين وأورد ثمانية شروط للحذف⁽⁴⁸⁵⁾. كما تناول القدماء مواضع الحذف في اللغة الفنية إذ إنه يعتري ((الجملة والمفردة، والحرف والحركة))⁽⁴⁸⁶⁾.

أولاً- حذف المفردة:

أ- حذف المسند إليه: ينهض بالجملة ركنان: المسند والمسند إليه، ولذلك فالأصل ذكرهما، وقد يحذف المسند إليه؛ ولا يعدل إلى الحذف إلا إذا توفرت في الكلام قرينة دالة عليه، وإنما يؤثر المتكلم حذف المسند إليه لأغراض يتذوقها الأديب⁽⁴⁸⁷⁾؛ ومن أغراض حذف المسند إليه في قصار السور الإيجاز لأن معظم قصار السور المكينة تساق لغرض الوعيد؛ والحذف يتناسب مع مقام الوعيد إذ يطوي السياق بعض العناصر اللغوية كالفاعل والمبتدأ.

1- التعبير بما لم يسم فاعله: ورد ذلك في صيغة الفعل المبني للمجهول في قوله تعالى في سورة الطارق: >  فالسباق هنا يقتضي تغييب الفاعل لإبراز الفعل -أي فعل الخلق- فالمتلوب هو تفكر الإنسان وتدبره في عملية الخلق ذاتها. ثم يأتي جواب ذلك التساؤل متصديراً بالفعل (خلق): >  >  >  >  >  >  >  >  >  >

(483) معايير تحليل الأسلوب: 35.

(484) في البنية والدلالة: 131.

(485) ينظر: مغني اللبيب: 603/2.

(486) الخصائص: صنعة أبي الفتح عثمان بن جني، تح محمد علي النجار، ط4، د.ت. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد: 362/2.

(487) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن: 208.

(488) سورة الطارق: 5.

(489) سورة الطارق: 6.

(490) سورة الطارق: 9.

﴿قَالَ كَذَّبُوا بِالَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ (491). فلو أنَّ التعبير القرآني صرح بالفاعل في هذه الأفعال
 المبنية للمجهول لفات الغرض الذي هدف إليه القرآن بذكر دلائل خلق الله، وهذا الهدف هو ان يتوصلوا بالتفكير في هذه
 الدلائل إلى معرفة الله الخالق الفاعل فحذف الفاعل مقصود، وذكره في هذا المقام كأنه مصادرة على المطلوب)). (492)

وجاء تغييب الفاعل وذلك بالمجيء بصيغة المبنية للمجهول في سورة الفجر في قوله تعالى: >
 ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (493) وهذا وصف لأحداث الساعة لا تتخلف به الظاهرة الأسلوبية القرآنية في وصف أحداث القيامة باستعمال صيغة المبنية للمجهول التي
 تُغيب الفاعل وتحصر انتباه المتلقي في الفعل؛ إذ إن المقام من مقامات الوعيد التي تقتضي الإيجاز والحسم.

وفي سورة الزلزلة تتكرر هذه الظاهرة البيانية المطردة، والتي ((قل أن نخطئها في أحداث اليوم الآخر، وهي أن
 القرآن الكريم يصرف الحدث عن مُحدثه، فلا يسنده إليه، وإنما يأتي به مبنياً للمجهول)) (494) >
 ﴿لَا يُغْنِي عَنْكَ كَثْرَتُ دِيْنِكَ﴾ (495)، ففي هذه الآية الكريمة يتم ((تركيز الانتباه في الحدث ذاته، وحصص الوعي فيه، فلا يتوزع في غيره)). (496)

2- حذف المبتدأ: لقد علمنا أن قصار السور معظمها سور مكية ومقاماتها مقامات وعيد وزجر ولذا فإنها تقتضي تراكيب
 موجزة مكثفة؛ وفي ضوء ذلك ينبغي أن نفهم الوظيفة الفنية لحذف ((المسند إليه (المبتدأ) في مواقع كثيرة حتى لا يفقد أي
 وجود وذكر المسند إليه] العبارة الإيجاز، ويقال وجوده [أي المسند إليه] من وقعها القوي السريع المؤثر في نفس المتلقي،
 لما في نسقها من صياغة وانتقاءات لغوية تتعاون على إبراز القوة التعبيرية للتركيب، كما في قوله تعالى في سورة
 الهمزة)) (497) >
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (498)؛ قال الزركشي في معرض كلامه على أغراض الحذف: ومنها
 التفتيح والإعظام (499). إذ ثمة تظافر أسلوبية بين أسلوب الاستفهام الذي أفاد التهويل: >
 البلاغي في آية الهمزة؛ الذي هو مصداق لمقولة عبد القاهر الجرجاني: ((ربّ حذف هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد)). (501)

(491) سورة الغاشية: 17-20.
 (492) دراسات قرآنية في جزء عم: 136.
 (493) سورة الفجر: 23.
 (494) التفسير البياني: 80/1.
 (495) سورة الزلزلة: 1.
 (496) التفسير البياني: 70/1.
 (497) في البنية والدلالة: 116.
 (498) سورة الهمزة: 5-6.
 (499) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 105/3.
 (500) سورة الهمزة: 6.
 (501) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي، ط1، 2004م-1424هـ، دار الجيل، بيروت: 14.

ويرى العكبري في أحد توجيهيه لكلمة (رسول) في قوله تعالى: > ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِلَيْهِ نَرْجِعُ الدِّينَ﴾⁽⁵⁰²⁾ أنها خبر مبتدأ محذوف⁽⁵⁰³⁾، ونرى أن حملها -أي رسول- على البدلية أولى وأنسب للسياق وإليه ذهب ابن خالويه⁽⁵⁰⁴⁾ وأبو حيان⁽⁵⁰⁵⁾؛ وإنما عبر تعالى عن الرسول (5) بالبيئة لأن أهل الكتاب والمليين كانوا على علم بمبعثه (5)؛ وتتجلى دقة التعبير القرآني باستعمال ألف ولام التعريف والتي هي للعهد أي أنّ البيئة كانت معروفة معهودة عندهم -أهل الكتاب- وهم لها منتظرون..

وبذلك يتضح وهم من عدّ المبتدأ محذوفاً مقدراً له بـ (هي)⁽⁵⁰⁶⁾. لأن فيه تقدير والوجه التي لا تحتاج إلى تقدير هي الأفضل بطبيعة الحال؛ فإن التقدير خلاف الأصل وخلاف الظاهر؛ قال الزركشي: ((إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحمل على عدمه أولى، لأن الأصل عدم التغيير)).⁽⁵⁰⁷⁾

وحذف المبتدأ في سورة القارعة وذلك في قوله تعالى: > ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِلَيْهِ نَرْجِعُ الدِّينَ﴾⁽⁵⁰⁸⁾ وقد هدانا الاستقراء إلى أنّ حذف المبتدأ سمة أسلوبية وذلك في كل موضع سبق باستفهام تهويلي عن النار؛ قال ابن هشام في معرض كلامه عن حذف المبتدأ: ((يكثر ذلك في جواب الاستفهام نحو > ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِلَيْهِ نَرْجِعُ الدِّينَ﴾⁽⁵⁰⁹⁾ أي هي نار الله، > ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِلَيْهِ نَرْجِعُ الدِّينَ﴾⁽⁵¹⁰⁾)).⁽⁵¹¹⁾ وهذا مقام وعيد والإيجاز جدير بهذا المقام ولذلك يحذف المبتدأ.

ولكي تدرك بلاغة هذا الحذف ((تأمل الفرق بين هذا الأسلوب الموجز وبين أن يقال: وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَ. هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ)) من الإسراع إلى ذكر النار، بعد أن أثار الشوق بالسؤال عنها)).⁽⁵¹²⁾

ب- حذف المسند:

حذف الفعل: قال ابن الأثير: ((اعلم أن حذف الفعل ينقسم قسمين: أحدهما يظهر بدلالة المفعول عليه (..) وعليه ورد قوله تعالى: > ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِلَيْهِ نَرْجِعُ الدِّينَ﴾⁽⁵¹³⁾

(502) سورة البينة: 1-2.

(503) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: 156/2.

(504) ينظر: إعراب ثلاثين سورة: 156.

(505) ينظر: البحر المحيط: 498/8.

(506) ينظر: دراسات قرآنية في جزء عم: 162.

(507) البرهان في علوم القرآن: 104/3.

(508) سورة القارعة: 11-10.

(509) سورة الهمزة: 5-6.

(510) سورة القارعة: 11-10.

(511) مغني اللبيب: 629/2.

(512) من بلاغة القرآن: 120.

وأقيم المضاف إليه مقامه؛ ويبدو حواله تعالى أعلم- أن تغييب المضاف في هذا السياق القرآني أبلغ من ذكره، فكأن في الحذف إحياء بوضاعة وحقارة أهل هذا النادي؛ لأن قوله تعالى: > 7 12 13 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 < يحقق تناظراً بين الآية التي ورد فيها والآية التي تليها: > 7 12 13 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 < وورد حذف المضاف في سورة البينة وذلك في قوله تعالى: > 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 < العكبري ((أي الملة أو الأمة القيمة)) (530) والفرق بينهما: أن الأمة هي مجموعة من الناس كيفما اتفق، والملة هي الجماعة المتصفة بدين معين أو أيولوجية معينة؛ فالقيمة ههنا اسم للأمة القائمة بالقسط. (531)


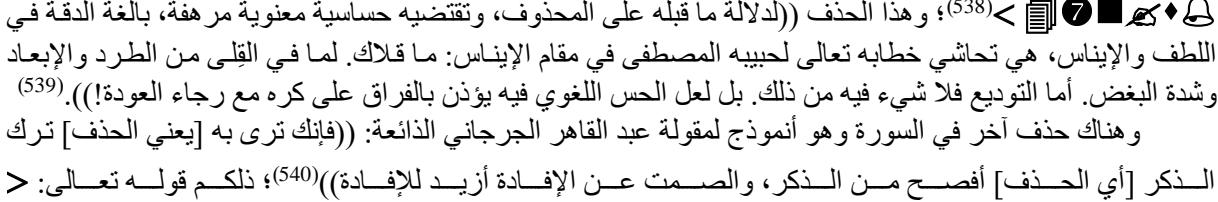
ومن الواضح أن الحذف هنا أوقع وأبلغ في أداء المعنى المطلوب؛ إذ المعنى وصف الدين بأنه قيم ذو شأن والتعبير بتركيب المتضادتين (دين القيمة) أوقع وأبلغ. لأن المضاف يكتسب دوماً تشريراً وتخصيصاً من المضاف إليه- من التعبير بذكر المضاف المحذوف. وذلك دين الملة -أو الأمة- أو الجماعة.


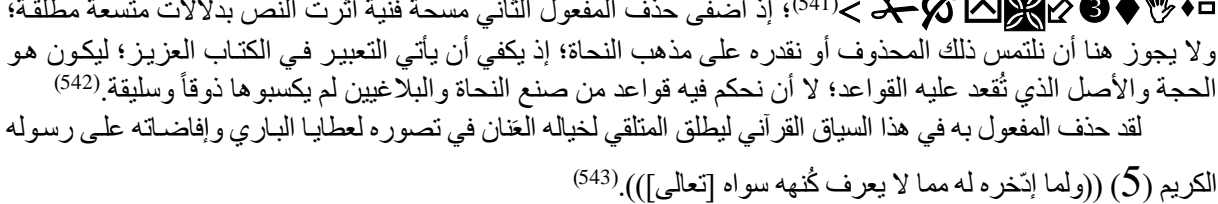
2- حذف المفعول به: ((وهو بما نحن بصده أخص، واللطائف كأنها فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر)). (532)


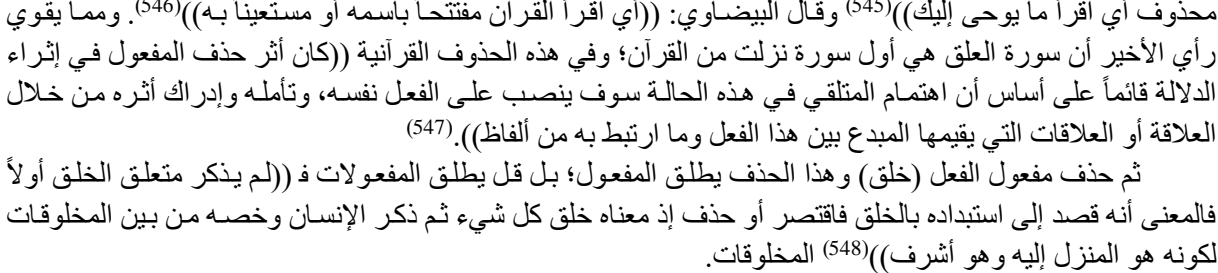
وقد حذف المفعول به في سورة الفجر وذلك في قوله تعالى: > 7 12 13 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 < قال البيضاوي في أحد توجيهيه للآية: ((أي يتذكر معاصيه)) (534)؛ قال ابن أبي الأصعب المصري: ((ومن إيجاز الحذف ضرب تحذف منه المفعولات، وذلك حين يكون غرض المتكلم بيان حال الفاعل فقط، فحينئذ لا يعدى الفعل فإن تعديته تنقض الغرض)) (535)؛ إذ إن غرض الآية إبراز ندم الإنسان وحسرتة على ما فرط في جنب الله وهذا المعنى يناسبه حذف المفعول به؛ ليكون المسند إليه -الفاعل- بؤرة التعبير.

(525) سورة العلق: 15-16.
 (526) سورة العلق: 17.
 (527) البحر المحيط: مجلد 495/8.
 (528) سورة العلق: 18.
 (529) سورة البينة: 5.
 (530) إملاء ما من به الرحمن: 156/2.
 (531) ينظر: المفردات: مادة (قوم).
 (532) دلائل الإعجاز: 136.
 (533) سورة الفجر: 23.
 (534) أنوار التنزيل: 798.
 (535) بدیع القرآن: 185.

ويرى العكبري حذفاً آخرًا للمفعول في سورة الفجر في قراءة: (ولا يحضون) في قوله تعالى: >   يحضون أنفسهم)).⁽⁵³⁷⁾ قال ((ولا يحضون المفعول محذوف أي لا يحضون أحداً أي لا يحضون أنفسهم)).⁽⁵³⁷⁾

ونجد حذف المفعول به في سورة الضحى أنموذجاً للطف التعبير في خطاب الرسول (5) وذلك في توظيف فني معجز للحذف: >   الذكر [أي الحذف] أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة)⁽⁵⁴⁰⁾؛ ذلكم قوله تعالى: >

  ولا يجوز هنا أن نلتزم ذلك المحذوف أو نقدره على مذهب النحاة؛ إذ يكفي أن يأتي التعبير في الكتاب العزيز؛ ليكون هو الحجة والأصل الذي تُقعد عليه القواعد؛ لا أن نحكم فيه قواعد من صنع النحاة والبلاغيين لم يكسبوا ذوقاً وسليقة.⁽⁵⁴²⁾ لقد حذف المفعول به في هذا السياق القرآني ليطلق المتلقي لخياله العنان في تصويره لعطايا الباري وإفاضاته على رسوله الكريم (5) ((ولما إتخره له مما لا يعرف كُنْهه سواه [تعالى])).⁽⁵⁴³⁾

وحذف مفعول الفعل اقرأ في قوله تعالى: >   محذوف أي اقرأ ما يوحى إليك)⁽⁵⁴⁵⁾ وقال البيضاوي: ((أي اقرأ القرآن مفتتحاً باسمه أو مستعيناً به))⁽⁵⁴⁶⁾. ومما يقوي رأي الأخير أن سورة العلق هي أول سورة نزلت من القرآن؛ وفي هذه الحذف القرآنية ((كان أثر حذف المفعول في إثراء الدلالة قائماً على أساس أن اهتمام المتلقي في هذه الحالة سوف ينصب على الفعل نفسه، وتأمله وإدراك أثره من خلال العلاقة أو العلاقات التي يقيمها المبدع بين هذا الفعل وما ارتبط به من ألفاظ)).⁽⁵⁴⁷⁾ ثم حذف مفعول الفعل (خلق) وهذا الحذف يطلق المفعول؛ بل قل يطلق المفعولات ف ((لم يذكر متعلق الخلق أولاً فالمعنى أنه قصد إلى استبداده بالخلق فاقتصر أو حذف إذ معناه خلق كل شيء ثم ذكر الإنسان وخصه من بين المخلوقات لكونه هو المنزل إليه وهو أشرف))⁽⁵⁴⁸⁾ المخلوقات.

(536) سورة الفجر: 18.
 (537) إملاء ما منَّ به الرحمن: 154/2.
 (538) سورة الضحى: 3.
 (539) التفسير البياني: 35/1.
 (540) دلائل الإعجاز: 131.
 (541) سورة الضحى: 5.
 (542) ينظر: التفسير البياني: 41/1.
 (543) أنوار التنزيل: 802.
 (544) سورة العلق: 1.
 (545) البحر المحيط: مجلد 492/8.
 (546) أنوار التنزيل: 804.
 (547) في البنية والدلالة: 124.
 (548) البحر المحيط: مجلد 492/8.

وفي سورة التكاثر حذف مفعول الفعل (تعلمون)، قال ابن معصوم ((قوله تعالى: > ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾. وتهديد فناسبه حذف المفعول للإيجاز.

وحذوف المفعولات فيما تقدم المراد منها ((الاقتصار على إثبات المعاني، التي اشتقت منها الأفعال لفاعليها، من غير تعرض لذكر المفعولين)). (551)

وقد يكون من هذا الضرب من الحذف؛ حذف المنحور في قوله تعالى في سورة الكوثر: > ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾. ويمكن في الأيام كلها.

وغني عن البيان إننا سنعدم هذا المعنى لو ذكرنا المنحور أو المفعول به لفعل الأمر (انحر)؛ بل إن الصياغة القرآنية المعجزة لا تتبغى بدلاً لهذا الحذف في هذا السياق القرآني الدقيق، وقد أحسن ابن أبي الأصبع أيما إحسان في توجيه هذه الآية والآية التي تسبقها لافتاً إلى جمالية الحذف وبلاغته؛ ودلالته على الإطلاق -أي مطلق النحر- ((>

﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾. فإن هاتين الآيتين تضمنتا مقدمتين صادقتين. وبيان ذلك أن نقول: عطية الكوثر تعدل جميع العطايات، وإنما قلنا ذلك لأن الشكر على

مقادير النعم، وقد أمر الرسول [5] بأن يقابل هذه النعمة بجميع العبادات البدنية والمالية شكراً عليها. وكل عطية كان الشكر عليها جميع العبادات، لأنه [5] أمر بالصلاة والنحر، والصلاة جامعة لجميع العبادات فهي تعدل جميع العطايات. وإنما قلنا إن الأمور به جميع العبادات البدنية، لجمعها بين القيام والقعود، والركوع والسجود وقراءة القرآن، والأذكار، والصمت عن غير ذلك من الكلام، وتحريم الطعام والشراب. والبقاء على الطهارة الكاملة، والخضوع والخشوع، والدعاء والابتهاال (..) ثم أمر (B) مع الصلاة بالنحر، ولا يخلو من أن يراد به الحج الجامع بين العبادتين، أو يراد به مطلق النحر الذي يدخل تحته (نحر) الهدى في الحج والنحر للضيقة؛ وافتقاد الجبران، والإطعام في الأزمان فقد تبين أنه سبحانه أمر رسوله [5] بجميع العبادات شكراً على عطية الكوثر)). (554)

ثانياً- حذف الحرف:

الحذف في الصيغ: ويهدينا الاستقرار إلى أن هذا النمط من حذف الحروف هو الشائع في قصار السور ويؤدي وظيفة صوتية تساهم في التوازي والتجانس الصوتي للنص وتحقيق الإيقاع المؤثر. وهذا النمط على نوعين:

حذف في أول الصيغة: وهو ((حذف الصامت إذا تلاه صامت مثله، كراهة توالي صامتين متماثلين)) (555)؛ كحذف التاء

الأولى -والتي هي مقطع صوتي يؤتى به للدلالة على المضارعة- في قوله تعالى: > ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾. إذ إن أصله تتحاضون.

(549) سورة التكاثر: 3.
 (550) أنوار الربيع: 72/3.
 (551) من بلاغة القرآن: 122.
 (552) سورة الكوثر: 2.
 (553) سورة الكوثر: 1-2.
 (554) بديع القرآن: 40-41.
 (555) دراسات قرآنية في جزء عم: 185.
 (556) سورة الفجر: 18.

ويتبدى الحرص على الإيقاع جلياً في انتقاء صيغة (تنزل)؛ تأمل العنت والأود الذي يصيب الإيقاع، والنبوة الناتجة من المقطع الصوتي (تت)، وذلك لو أن النص القرآني استعمل صيغة (تنزل).⁽⁵⁶¹⁾ وهناك نوع آخر من الحذف يقع في آخر الصيغة وهذا يقع في فواصل الآيات ليحقق ذلك الحذف إيقاعاً موسيقياً مؤثراً للفواصل؛ وقد وقع ذلك في سورة الفجر في موضعين:

الأول- ((حذف الحرف الأخير من (يسر) في قوله تعالى: >  الفاصلة)).⁽⁵⁶³⁾
الثاني- حذف الياء من (الوادي) في قوله تعالى: > 

والمتمثلة باطراد الفواصل على روي واحد هو الدال مع لزوم صوت المد (الألف) قبل الروي، وبالتأكيد فإننا سنعدم كل ذلك لو جاء التعبير القرآني على أصله: (بالوادي). وقد يكون الحذف في آخر الصيغة لمناسبة الفواصل في القرائن، ولسبب آخر هو تحقيق الخفة والسلاسة الموسيقية حين يزيد عدد الأصوات في الصيغة وذلك في نحو قوله تعالى:

> 

فتأمل رشاقة هذا الحذف وعلو مقامه في البلاغة؛ وهذه الأساليب والتقنيات الفنية هي في صميم الإعجاز القرآني ذلك أنها ترتبط بالمستوى الجمالي للنص إذ عمد تعالى إلى حذف الياء من الفاصلتين: (أكرمني، أهانني) مجتزءً عنها بالكسرة ((فكانت الفاصلتان تتفقان إذا قيل (أكرمني، أهانني) ولكن لما كثرت المدات أو

(561) ينظر: مقالنا: بناء الخطاب القرآني: القدر أنموذجاً، المنشور في جريدة الثورة العراقية، عد 9425-1998/1/22.
(562) سورة الفجر: 1-5.
(563) الفاصلة القرآنية: 28.
(564) سورة الفجر: 6-12.
(565) سورة الفجر: 15-16.

وهو إجراء أسلوبية يعتمد فيه المبدع إلى إحضار عنصر لغوي في السياق، وتكمن فاعليته الأسلوبية فيما يمارسه من ضغط دلالي على المتلقي؛ ومرجات الذكر كثيرة، منها: زيادة الإيضاح والتقرير وبسط الكلام واستقصائه.⁽⁵⁷⁶⁾ وكما يكون الحذف في بعض المواضع أبلغ من الذكر؛ كذلك يكون الذكر في مواضع أخرى أبلغ من الحذف؛ ومن نماذج قوله تعالى في سورة الفجر:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ
وَالسَّجْدِ إِذَا سَجَىٰ
وَمَا مَدَّنَا فِي الْفَجْرِ
إِلَّا رِجَالَنَا بِالْمَدَنَةِ
وَأَنزَلْنَا إِلَيْنَا الْمَكَّةَ خَيْرًا مِنْهَا
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ
هَذِهِ السُّورَةَ يَنْزِلُهَا عَلَىٰ
مَنْ يَشَاءُ لِيُخَذَّرَ بِهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾

ولكي لا تلقى الأحكام جزافاً فقد استقر أنا المواضع القرآنية التي وردت فيها مادة (قدر) الفعلية فوجدنا أنها وردت بصيغة الفعل الماضي فقط في هذا الموضع من سورة الفجر، ولكنها وردت بصيغة الفعل المضارع (يقدر) في تسعة مواضع وفي جميعها يأتي الفعل (يبسط) متصداً ثم يأتي (يقدر) بعده؛ والملحظ المهم إننا لم نرصد أي تعلق للفعل (يقدر) بشبه الجملة (عليه).⁽⁵⁷⁸⁾

ويأذن لنا هذا الاستقراء في أن نعدّ ذكر متعلق الفعل (قدر) في سورة الفجر إجراءً أسلوبياً يعتمد إليه النص القرآني لينتج من التركيب القرآني: (قدر عليه) دلالة التضييق وبهذا المعنى من التضييق، وعدم البسط والسعة نفهم آية الفجر: >

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ
وَالسَّجْدِ إِذَا سَجَىٰ
وَمَا مَدَّنَا فِي الْفَجْرِ
إِلَّا رِجَالَنَا بِالْمَدَنَةِ
وَأَنزَلْنَا إِلَيْنَا الْمَكَّةَ خَيْرًا مِنْهَا
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ
هَذِهِ السُّورَةَ يَنْزِلُهَا عَلَىٰ
مَنْ يَشَاءُ لِيُخَذَّرَ بِهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾

وهكذا فإننا نعدم دلالة التضييق والتقدير في الرزق لو أسقطنا شبه الجملة (عليه) من التعبير القرآني المعجز.⁽⁵⁷⁹⁾ بمعنى أعطاه بقدر من دون بسط وسعة⁽⁵⁸⁰⁾؛

أما في سورة الانشراح فنجد ذكر (لك) في قوله تعالى: >

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ
إِنَّا نَرْفَعُ الْبَيْتَ لِقَوْمٍ أَعْلَمُونَ
وَإِذْ يَقُولُ لِطَارِقِ بْنِ يَسْرِ
يَا بَدْرُ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ الرَّاكِبِ
بِكْرُ الرَّازِيِّ
وَإِذْ يَقُولُ لِطَارِقِ بْنِ يَسْرِ
يَا بَدْرُ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ الرَّاكِبِ
بِكْرُ الرَّازِيِّ﴾

تعالى: > وبسبب دقة هذا الإجراء الأسلوبية القرآني فقد استوقف القدامى في محاولة منهم لمعرفة وظيفته الجمالية؛ قال محمد بن أبي بكر الرازي: ((فائدته الإبهام ثم الإيضاح وهو نوع من أنواع البلاغة فلما قال تعالى: >

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ
إِنَّا نَرْفَعُ الْبَيْتَ لِقَوْمٍ أَعْلَمُونَ
وَإِذْ يَقُولُ لِطَارِقِ بْنِ يَسْرِ
يَا بَدْرُ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ الرَّاكِبِ
بِكْرُ الرَّازِيِّ
وَإِذْ يَقُولُ لِطَارِقِ بْنِ يَسْرِ
يَا بَدْرُ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ الرَّاكِبِ
بِكْرُ الرَّازِيِّ﴾

((والأمر أبسط وأوضح من أن نتعثر في تأويله، فمن مألوف البيان العربي أن يأتي بمثل هذا الأسلوب، لا عن زيادة أو إقحام، أو إرادة الإجمال ثم التفصيل، وإنما للتقرير وتأكيد الاختصاص وتقوية الإيصال))⁽⁵⁸⁵⁾؛ وتحسين أداء التعبير. وقد لمح الشيخ محمد عبده هذا الملحظ إذ يقول: ((والإتيان بالجار والمجرور [(لك) و(عك)] وتقديمه على المفعول في الآيات الثلاث لزيادة التقرير والإسراع بالتبشير))⁽⁵⁸⁶⁾.

(576) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن: 199-201.

(577) سورة الفجر: 16.

(578) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: مادة (قدر).

(579) سورة الفجر: 16.

(580) ينظر: التفسير البياني: 150/2.

(581) سورة الانشراح: 1.

(582) سورة الانشراح: 2.

(583) سورة الانشراح: 4.

(584) حلّ مشكلات القرآن في غريب أسئلة النبيان، مطبوع بهامش إملاء ما منَّ به الرحمن، محمد بن أبي بكر

الرازي، صححه محمد الزهراوي الغمراوي، 1321 هـ، مصر: 151/2.

(585) التفسير البياني: 62/1.

(586) تفسير جزء عمّ، الشيخ محمد عبده، ط3، 1341 هـ، مطبعة مصر: 115.

ثالثاً. الإضمار و الإظهار:

القرآن الكريم معدن البلاغة العربية ومثلها الأعلى فهو كتاب العربية الخالد الجامع لأكثر سماتها الأسلوبية؛ ومن الأساليب العربية التي تضمنها الكتاب العزيز أسلوب الإضمار و الإظهار ؛ والإظهار هو أن ((تترك الكناية [أو التلميح] إلى التصريح لما فيه من زيادة الفخامة))⁽⁵⁸⁷⁾ ووظيفته وظيفة فنية تتصل بالمستوى الجمالي للتعبير إذ يضيف هذا الأسلوب مسحة جمالية على التعبير تكمن في التلوين الأسلوبي من الإضمار إلى الإظهار؛ ولقد فطن عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك فقال: ((وجملة الأمر: إنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام ومن هنا قالوا: إن الشيء إذا أضمر ثم فُسر [أي أظهر] كان ذلك أفخم له من أن يذكر دون تقدم إضمار)).⁽⁵⁸⁸⁾

ويعد أسلوب الإظهار في موضع الإضمار (مهيمناً أسلوبياً) في القرآن الكريم؛ والخلاصة: إن المظهر يُوضع موضع المضمّر؛ فإذا كان المظهر اسم إشارة كان الغرض من إظهاره: إكمال العناية به لاختصاصه بحكم بديع أو بأمر غريب؛ أما إذا كان المظهر ليس اسم إشارة فالغرض من إظهاره: الاسترحام، وزيادة تمكينه وتقريره في ذهن المتلقي.⁽⁵⁸⁹⁾

ورد ذلك الأسلوب في مستهل سورة الطارق:

﴿لَمَّا ضُمِرَ الْكَلِمَاتُ فِي سُورَةِ الطَّارِقِ: ﴿١﴾﴾

﴿لَمَّا ضُمِرَ الْكَلِمَاتُ فِي سُورَةِ الطَّارِقِ: ﴿١﴾﴾

لجاء التعبير: وما أدراك ما هو؟؛ وغير خافٍ إننا سنعدم في هذه الحالة حسن التعبير وجمال تفخيمه وما يشكله من (تطافر أسلوبي) مع الاستفهام التعجبي التفخيمي الذي يسبقه؛ ويهديننا الاستقرار إلى اطراد هذه الظاهرة الأسلوبية في قصار السور -أي ظاهرة مجيء أسلوب الإظهار بعد الاستفهام التعجبي- ومن نماذجها:

﴿لَمَّا ضُمِرَ الْكَلِمَاتُ فِي سُورَةِ الطَّارِقِ: ﴿١﴾﴾

﴿لَمَّا ضُمِرَ الْكَلِمَاتُ فِي سُورَةِ الطَّارِقِ: ﴿١﴾﴾

<(591)

﴿لَمَّا ضُمِرَ الْكَلِمَاتُ فِي سُورَةِ الطَّارِقِ: ﴿١﴾﴾

﴿لَمَّا ضُمِرَ الْكَلِمَاتُ فِي سُورَةِ الطَّارِقِ: ﴿١﴾﴾

<(592)

﴿لَمَّا ضُمِرَ الْكَلِمَاتُ فِي سُورَةِ الطَّارِقِ: ﴿١﴾﴾

﴿لَمَّا ضُمِرَ الْكَلِمَاتُ فِي سُورَةِ الطَّارِقِ: ﴿١﴾﴾

<(593)

﴿لَمَّا ضُمِرَ الْكَلِمَاتُ فِي سُورَةِ الطَّارِقِ: ﴿١﴾﴾

﴿لَمَّا ضُمِرَ الْكَلِمَاتُ فِي سُورَةِ الطَّارِقِ: ﴿١﴾﴾

<(594)

يؤدي تركيب الإظهار في هذه السياقات القرآنية الفنية وظائف جمالية ودلالية؛ إذ إن التركيب يتوفر على ظلال ودلالات مختلفة كامنّة؛ والسياق الفني هو الذي يستخرج من هذه الظلال مقتضياته. والآن لنأت على كل آية: ففي سورة الطارق أراد تعالى تفخيم المقسم به فعمد إلى إظهار (الطارق) فيكون هذا الإظهار أقوى وأوقع في المتلقي من الإضمار أضف إلى ذلك ما أده من التصريح.

(587) بديع القرآن: 188.

(588) دلائل الإعجاز: 125.

(589) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن: 252، 255، 256.

(590) سورة الطارق: 1-2.

(591) سورة البلد: 11-12.

(592) سورة القدر: 1-2.

(593) سورة الفارعة: 1-3.

(594) سورة الهمزة: 4-5.

أما في سورة البلد فقد أظهر تعالى (البلد) في موضع الإضمار وذلك في قوله تعالى:
 ﴿وَاللَّيْلَةَ عَلَى عَظْمِ شَأْنِهِ الْبَلَدِ- وَالْإِعْتِنَاءَ بِأَمْرِهِ وَهُوَ الْبَلَدُ الْحَرَامُ﴾⁽⁵⁹⁵⁾؛ ثم أظهر تعالى العقبة في موضع الإضمار:
 ﴿وَالْبَلَدِ الْحَرَامِ وَالْأَيْمَانَ بِمَا وَعَدَ الرَّسُولُ فَأَكْفِمْهُمْ قَوْلَهُمْ فَالْبَلَدِ الْحَرَامِ﴾⁽⁵⁹⁶⁾

﴿(597)؛ ف ((الإثارة اللاقطة، لا تأتي من مجرد الاستفهام البياني وحده، وإنما تأتي كذلك من كل لفظة ونبرة، في قوله تعالى:
 ﴿وَالْبَلَدِ الْحَرَامِ وَالْأَيْمَانَ بِمَا وَعَدَ الرَّسُولُ فَأَكْفِمْهُمْ قَوْلَهُمْ فَالْبَلَدِ الْحَرَامِ﴾⁽⁵⁹⁷⁾

﴿(597)؛ ف ((الإثارة اللاقطة، لا تأتي من مجرد الاستفهام البياني وحده، وإنما تأتي كذلك من كل لفظة ونبرة، في قوله تعالى:
 ﴿وَالْبَلَدِ الْحَرَامِ وَالْأَيْمَانَ بِمَا وَعَدَ الرَّسُولُ فَأَكْفِمْهُمْ قَوْلَهُمْ فَالْبَلَدِ الْحَرَامِ﴾⁽⁵⁹⁷⁾

أما الإظهار في سورة القدر ففي قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾⁽⁵⁹⁸⁾، وتأتي الإثارة أيضاً من هذا الإظهار للعقبة.
 ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾⁽⁵⁹⁸⁾؛ ((كناية عن جلال قدر الليلة وعظم منزلتها ويؤكد ذلك إظهار الاسم مرة بعد مرة حيث قيل:

﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾⁽⁵⁹⁸⁾؛ ((كناية عن جلال قدر الليلة وعظم منزلتها ويؤكد ذلك إظهار الاسم مرة بعد مرة حيث قيل:
 ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾⁽⁵⁹⁸⁾؛ ((كناية عن جلال قدر الليلة وعظم منزلتها ويؤكد ذلك إظهار الاسم مرة بعد مرة حيث قيل:

وقد استهلّت سورة القارعة بذلك الاستهلال القارع للأسماع وللقلوب: >
 ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾⁽⁵⁹⁸⁾؛ ((كناية عن جلال قدر الليلة وعظم منزلتها ويؤكد ذلك إظهار الاسم مرة بعد مرة حيث قيل:

المناسب تعظيمها وتفخيمها بإظهارها مرتين، لاسيما في سياق هذا الاستفهام التعجبي التفخيمي؛ ف ((السؤال عن حقيقة القارعة في قوله: (ما القارعة) مع كونها معلومة إشارة إلى تعظيم أمرها وتفخيمه وأنها لا تكتنه علماً، وقد أكد هذا التعظيم والتفخيم بقوله: >

كما أن الإظهار أدى وظيفة صوتية إذ اتفقت ثلاث فواصل فيها وذلك بإظهار تركيب المتضايقين: (ليلة القدر).
 وقد استهلّت سورة القارعة بذلك الاستهلال القارع للأسماع وللقلوب: >

أما في سورة الهمزة؛ في قوله تعالى: >
 ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾⁽⁵⁹⁸⁾؛ ((كناية عن جلال قدر الليلة وعظم منزلتها ويؤكد ذلك إظهار الاسم مرة بعد مرة حيث قيل:

سياق وعيد وزجر فكان الأنسب له إظهار الحطمة -وهي اسم لنار جهنم- في هذا التساؤل التعجبي ((وهنا يكون النسق
 ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾⁽⁵⁹⁸⁾؛ ((كناية عن جلال قدر الليلة وعظم منزلتها ويؤكد ذلك إظهار الاسم مرة بعد مرة حيث قيل:

(595) سورة البلد: 2.
 (596) ينظر: تفسير الميزان: 289/20.
 (597) سورة البلد: 11-12.
 (598) التفسير البياني: 186/1.
 (599) سورة القدر: 2.
 (600) سورة القدر: 2-3.
 (601) تفسير الميزان: 332/20.
 (602) سورة القارعة: 1-3.
 (603) سورة القارعة: 3.
 (604) تفسير الميزان: 348/20.
 (605) سورة الهمزة: 4-5.

القرآني قد تصاعد مصوراً هول هذا المصير، تصويراً لا حدود له من خلال الربط بين ما سبق وهذا الاستفهام >



<(606) وهو استفهام موحى بتجاوز العذاب والتحطيم لحدود التصور((607) خصوصاً وأن هذا الاستفهام قد تضمن أسلوب الإظهار للحطمة؛ وأما أصل الحطمة فمن الحطم وهو كسر الشيء مثل الهشم(608) فهي تكسر عظام الكافرين وتهشمها، فالحطمة هي المبالغة في التكسير وقد جاءت على زنة فُعلة لتتفق مع زنة همزة ولمزة، وجهنم تزيد قاطنيتها تحطيماً وتكسيراً؛ أضف إلى ذلك أن هذا الإظهار يحقق اتفاقاً في الفواصل.

وهكذا نتبين لنا ((الخاصة البيانية لهذا الأسلوب وما أدراك، استعماله فيما يتجاوز دراية المسؤول؛ إما لجلال الأمر

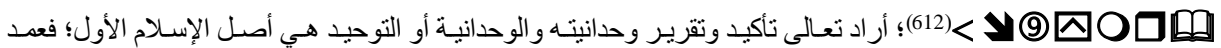
وعظمه كآيتي القدر: >



> والعقبية: > (609)، وإما لكونه من الغيب المتعلق بالمصير في اليوم الآخر، يتجاوز دراية البشر ويعيهم إدراكه وتمثله((611) -آيات القارعة، وفي كل آية من هذه الآيات نجد (التظافر الأسلوبي) متجلياً بمجيء أسلوب الإظهار بعد أسلوب الاستفهام التعجبي في: وما أدراك؛ وهذا التظافر الأسلوبي يثري التعبير بدلالات التعظيم والتهويل والتفخيم في هذه السياقات القرآنية الفنية.

أما في سورة الصمد فقد وقع الإظهار في موضعين:

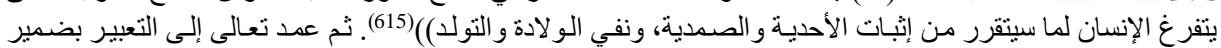
الأول- ضمير الشأن في مستهل السورة: في قوله تعالى: >



<(612)؛ أراد تعالى تأكيد وتقدير وحدانيته والوحدانية أو التوحيد هي أصل الإسلام الأول؛ فعمد

تعالى إلى (خطاب التشریف) الذي يعرفه صاحب البرهان بأنه ((كل ما في القرآن العزيز مخاطبه بقل، كالقلاقل)) (613) (فقد

افتتحت السورة بأمر من الله لنبيه [5] وذلك هو: >

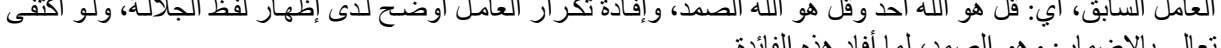


<(614) (قل) يا محمد، هو الله أحد، هذا الأمر في مفتتح السورة؛ منبه للنفس، مفتاح للقلوب، حتى

يتفرغ الإنسان لما سيتقرر من إثبات الأودية والصمدية، ونفي الولادة والتولد)) (615). ثم عمد تعالى إلى التعبير بضمير

الشأن: (هو) منبهاً إلى أن الجملة التالية له جملة ذات بال.

أما الموضوع الثاني- فقد عمد تعالى إلى إظهار لفظ الجلالة في مقام الإضمار: >



الله أحد وهو الصمد لم يكن فيه من الفخامة ما فيه الآن)) (617)، فتأمل ما أفاده إظهار لفظ الجلالة من التأكيد، بتقدير تكرار

العامل السابق، أي: قل هو الله أحد وقل هو الله الصمد، وإفادة تكرار العامل أوضح لدى إظهار لفظ الجلالة، ولو اكتفى

تعالى بالإضمار: وهو الصمد، لما أفاد هذه الفائدة.

(606) سورة الهمزة: 5.

(607) في البنية والدلالة: 116.

(608) ينظر: المفردات: مادة (حطم).

(609) سورة القدر: 2.

(610) سورة البلد: 12.

(611) التفسير البياني: 176/2.

(612) سورة الإخلاص: 1.

(613) البرهان في علوم القرآن: 251/3، والقلاقل هي قصار السور التي تستهل ب (قل) وهي الإخلاص والمعوذتان

وسورة الكافرين.

(614) سورة الإخلاص: 1.

(615) نظرات حديثة في تفسير القرآن: 61.

(616) سورة الإخلاص: 2.

(617) بديع القرآن: 186.

ويوجه أحد الباحثين الإظهار توجيهاً آخر؛ إذ يقول: ((وأما إظهار اسم الجلالة ثانياً حيث قيل: (هو الله الصمد) ولم يقل: الله أحد صمد فالظاهر أن ذلك للإشارة إلى كون كل من الجملتين وحدها كافية في تعريفه تعالى حيث إن المقام مقام تعريفه تعالى بصفة تختص به فقيل: الله أحد الله الصمد إشارة إلى أن المعرفة به حاصلة سواء قيل كذا أو قيل كذا)).⁽⁶¹⁸⁾ ويعلى د. أحمد أحمد بدوي استعمال أسلوب الإظهار تعليلاً فنياً إذ يقول: ((ذكر اسم الجلالة في الجملة الثانية ليستقر في النفس مرتبطاً بخبره، وليفيد بتعريفه وتعريف الخبر أنه وحده السيد الذي يقصد إليه، عند اشتداد الخطوب، وفضلاً عن ذلك نرى في الأسلوب [أي أسلوب الإظهار] هذا التناسق الموسيقي الذي يفقد إذا حذفنا لفظ الله، برغم ما في الكلام مما يدل عليه)).⁽⁶¹⁹⁾

كما نجد أسلوب الإظهار في موضع الإضمار في سورة الزلزلة في قوله تعالى: > ﴿لَمَّا زلزَلْنَا الْأَرْضَ فَسَاءَتْ وَأَخْرَجْنَا الْمَوْتَاتِ﴾⁽⁶²⁰⁾ إذ عمد تعالى إلى إظهار لفظ (الأرض) في الآية الثانية.

قالت د. عائشة عبد الرحمن: ((وتكرار الأرض هنا مقصود لترسيخ اليقين، والإقناع النفسي))⁽⁶²¹⁾؛ ويبدو من كلامها هذا أنها عدت الإظهار تكراراً ثم نسبت إليه وظيفة التوكيد؛ وهذا وهم منها؛ إذ إن هذا أسلوب الإظهار وليس التكرار، والإظهار والإضمار ثنائية أسلوبية قرآنية تتعلق بالمستوى الجمالي للتعبير. إن إظهار المسند إليه في هذا السياق القرآني يصور لنا قوة اضطراب الأرض يوم القيامة ويستعمل التعبير القرآني إظهار المسند إليه ليركز الصورة القرآنية على الأرض على اضطرابها ومورها؛ فإظهار ((الأرض إلى جانب إخراج الأتقال، يصور هذا الجرم الهائل، وقد انشق عن فجوات تقذف بما ضمت الأرض من أقال، وذكرها وهي المكان المستقر الثابت الذي نجد على سطحه الاستقرار، يصورها مائة مضطربة تحت أقدامنا، فأى فزع يلم بنا عند هذا التصور)).⁽⁶²²⁾ وقد لاحظت أن بعض الباحثين يخلط أسلوب الإظهار بأسلوب الذكر والحذف⁽⁶²³⁾ فيخلط بمباحث الإضمار والإظهار بمباحث الحذف والذكر؛ وهذا العمل يخالف منهجية البحث العلمي؛ ولا ينبغي الخلط بين الإظهار والذكر؛ وقد مر بنا في مبحث الحذف والذكر أنهما يكونان ثنائية أسلوبية ولكل منهما موضعه ووظيفته التي يختص بها والحذف يمكن أن نهتدي إليه بالاستدلال النحوي. أما الإضمار والإظهار فالأمر فيه مختلف فنحن نهتدي إلى أن ثمة أسلوب إظهار وذلك إذا لحظنا ظهور لفظ حقه أن يضم - أي أن يعبر عنه بضمير -.

أما في خاتمة القرآن - أعني سورة الناس - فنجد أسلوب الإظهار في موضعين: > ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَلَقَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾⁽⁶²⁴⁾

والملاحظ الذي ينبغي أن نقف عنده هو استعمال التعبير القرآني لتكوين المضامين في ثلاثة مواضع، لقد اكتسب المضاف إليه - الناس - شرفاً عظيماً بإضافته إلى ربه وملكه وإلهه. فإنه تعالى قد أقام لهذا الإنسان وزناً بإضافته إليه؛ ويمكننا أن نقلب عبارة صاحب الطراز: ((إن المضاف أبداً يكتسي من المضاف إليه شرفاً وتخصيصاً وتعريفاً))⁽⁶²⁵⁾؛ فنقول: إن المضاف إليه - الناس - قد اكتسب شرفاً رفيعاً بإضافته إلى المولى عز وجل، فكان الأنسب في الصياغة القرآنية البارعة استعمال أسلوب الإظهار في ((الإظهار في مقام الإضمار، يرينا كيف يبلغ الأسلوب القرآني أقصى مراتب الإعجاز، فلقد نرى الكلمة إذا ما تكررت، ظاهرة غير مضمرة، في كلام الفصحاء والبلغاء تسمع، وتقبح، لكنها في البيان السماوي، قد كرمت ولطفت ومجدت، إن هذا الإظهار لكلمة الناس، قد أفاد تشريف الناس، وتكريم الناس، وتمجيد الناس، بانتسابهم إلى

(618) تفسير الميزان: 388/20.
 (619) من بلاغة القرآن: 118.
 (620) سورة الزلزلة: 1-2.
 (621) التفسير البياني: 84/1.
 (622) من بلاغة القرآن: 119.
 (623) ينظر: - على سبيل المثال - من بلاغة القرآن: 118-119.
 (624) سورة الناس: 1-3.
 (625) الطراز: 237/3.



لقد تعددت مصطلحات البلاغيين في هذا الباب منها: التعريج، التمزيج، حسن الارتباط، حسن الترتيب، صحة النسق والنظام.⁽⁶³⁴⁾

ويعرّف صاحب جواهر الكنز (حسن النسق) تعريفاً ناضجاً فيقول: ((وحيث انتلاف الكلام بعضه ببعض حتى كأنه أفرغ في قالب واحد. وأكثر ما يوجد هذا النوع مستعملاً في كتاب الله تعالى الدالّ على الإعجاز. وسمي (الارتباط)، لأنه إذا جاءت الآية وعلم تأويل الارتباط بين الآيتين وامتزج معناهما علم حسن الترتيب، فسمي (الارتباط لذلك)).⁽⁶³⁵⁾ وينبغي الإشارة هنا إلى أننا نعني بمصطلح (حسن النسق) في هذه الدراسة نسقاً أسلوبياً وهو أوسع وأشمل من مصطلح (الفصل والوصل) عند علماء المعاني والذي يختص بحروف المعاني؛ إذ ليس الربط بحروف المعاني إلا تقنية واحدة ضمن تقنيات حسن النسق. إن فهمنا لهذا المصطلح ذو مستويين:

الأول- مستوى تراثي مستمد من المصادر البلاغية، ومصادر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم؛ ومستنير بـ (علم المناسبة) وهو علم أسلوبية⁽⁶³⁶⁾ إنَّ ((المناسبة بين الآيات والسور تقوم على أساس أن النص وحدة بنائية مترابطة الأجزاء ومهمة المفسر [والباحث] محاولة اكتشاف هذه العلاقات أو (المناسبات) الرابطة بين الآية والآية)).⁽⁶³⁷⁾ ويمكن تلخيص الفهم التراثي لهذا المصطلح بأنه انتلاف الكلام؛ وعجن الكلام بعضه ببعض؛ فقد أشار الباقلاني إلى خروج (حسن النسق) القرآني عن حد العادة؛ إلى درجة أنه يجعل المختلف كالمؤتلف؛ يقول: إنَّ ((القرآن -على اختلاف فنونه وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة- يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الأحاد، وهذا أمر عجيب، تبين به الفصاحة، وتظهر به البلاغة، ويخرج معه الكلام عن حد العادة، ويتجاوز العرف)).⁽⁶³⁸⁾

وألمع شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني إلى كون باب (الفصل والوصل) شائكاً وعرأ: ((واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول إنه فيه خفي غامض ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب)).⁽⁶³⁹⁾ وقد أشار ابن أبي الأصعب إلى أن بعض المتكلمين يعدّون براعة التخلص أو الفصل والوصل^(*)، وجه من وجوه الإعجاز في القرآن⁽⁶⁴⁰⁾. وأشار نجم الدين الحلبي كذلك إلى أن (حسن النسق) وجه من وجوه الإعجاز؛ وأنه (مهيم أسلوبية) في النص القرآني⁽⁶⁴¹⁾ ونماذجه ((أكثر من أن تحصى)).⁽⁶⁴²⁾

⁽⁶³²⁾ سورة هود: 44.

⁽⁶³³⁾ أنوار الربيع: 133/6.

⁽⁶³⁴⁾ يُنظر: جواهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة)، نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تح د. محمد زغلول سلام، د.ت. الناشر، منشأة المعارف بالإسكندرية: 290. وسر الفصاحة، للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح عبد المتعال الصّعيدي، 1969م، مطبعة محمد علي صبيح: 395.

⁽⁶³⁵⁾ جواهر الكنز: 154.

⁽⁶³⁶⁾ يُنظر: مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد، ط3، 1996، الناشر، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء: 160.

⁽⁶³⁷⁾ يُنظر: المصدر نفسه: 160.

⁽⁶³⁸⁾ إعجاز القرآن: 38.

⁽⁶³⁹⁾ دلالات الإعجاز: 176.

^(*) أشار ابن أبي الأصعب إلى أن ابن أبي البركات ألّف كتاباً قصره على براعة التخلص أي الوصل والفصل -كما يصطلح عليها ابن أبي الأصعب- يُنظر: بديع القرآن: 168.

⁽⁶⁴⁰⁾ يُنظر: بديع القرآن: 168.

⁽⁶⁴¹⁾ يُنظر: جواهر الكنز: 155.

⁽⁶⁴²⁾ المصدر نفسه: 155.

بيد أن ما يؤخذ على الجهد التراثي البلاغي بهذا الصدد؛ عنايته بالجملة عناية عظيمة؛ من دون أن يعن العناية اللازمة بمعاهد المعاني والانتقالات المفصلية في النصوص.⁽⁶⁴³⁾ وبعبارة أخرى: إن مقارنة (حسن النسق) في النصوص الأدبية ينبغي أن تكون مقارنة شمولية تنظر للنص باعتباره بنية واحدة متماسكة؛ وليس مقارنة جزئية تجتزئ جمل النص؛ وهذه المقاربة الأسلوبية توجه التحليل إلى تعاقب الجمل؛ تعاقب ارتباط، أي إلى الخطاب.⁽⁶⁴⁴⁾

أما المستوى الثاني- فهو مستوى أحادي يستثمر معطيات علم النص؛ ابتداءً بأفلاطون في مقياسه للجمال ب (الانسجام والقياس)؛ إذ ((لا يمكن لكائن أو شيء مؤلف من أجزاء عدة، أن يكون جميلاً إلا بمقدار ما تكون أجزاءه منسقة وفقاً لنظام، وممتعة بحجم لا اعتباطي، لأن الجمال لا يستقيم إلا بالنسق والمقدار)).⁽⁶⁴⁵⁾ ومروراً ب (هارفنج) رائد أول محاولة لوصف التنظيم الداخلي للنصوص وذلك بالبحث في استعمال الضمائر، والبحث في التكرار وفي ترتيب العناصر داخل المتواليات اللسانية، وذكر النتيجة بعد السبب، والجزء بعد الكل؛ وجميع هذه التقنيات تقع في دائرة الترابط والاتساق والتماسك الداخلي للنص.⁽⁶⁴⁶⁾

كما يهتم علم النص بالأدوات النحوية التي تضم الجمل إلى بعضها كأدوات العلائق النحوية مثل: حروف المعاني، أدوات الاستثناء، حروف التعليل، وما يدل على الغاية، والشرط والجواب. وكذلك أدوات الاتساق اللغوي: أنواع الضمائر، أسماء الإشارة، (ال) التعريف، أنواع أسماء الاستفهام، أفعال التفضيل، أنواع الموصولات، النعوت، التكرار، وحروف التعليل من جر وغيره.⁽⁶⁴⁷⁾

وثمة تقنيات أسلوبية أخرى للنسق الحسن: كالإجمال والتفصيل، والإبهام -أو الإضمار- والتفسير، والتخصيص والتعميم.

إن تحليل النصوص الأدبية تحليلاً علمياً منهجياً يعتمد على ملاحظة التعالق والترابط بين الأبنية الصغرى والبنية الكبرى الكلية⁽⁶⁴⁸⁾. كما أن توفر النص الأدبي على أدوات وتقنيات الربط النحوية تجعله يتوفر على بنية متماسكة؛ وتوفر النص على هذه البنية شرط أساسي في تكوينه وتشكيله.⁽⁶⁴⁹⁾

أولاً- الربط ذو البنية المغلقة:

أ- بنية القسم:

القسم من الأساليب الإنشائية التي هي عماد اللغة الأدبية ولذلك استعمله القرآن وخصوصاً في العهد المكي ويتكون القسم من حرف القسم، ومقسم به ومقسم عليه⁽⁶⁵⁰⁾ وهذه العناصر المعهودة لبنية القسم المغلقة تجعل المتلقي يدرك أنه لابد من مجي جواب القسم بعد (المقسم عليه) أو هكذا يبقى (أفق الانتظار) عند المتلقي متطلعا بشوق لسماع المقسم عليه. إن للاستهلال بالقسم أثراً فنياً في المتلقي يكمن في إثراء دلالة المقسم عليه - جواب القسم-، ((فإضافة أدوات التوكيد في بداية الجملة تنقل الدلالة من المستوى العادي إلى مستوى أعمق في تأكيد المعنى، كما تحقق هذه الزيادة في حجم البنية التلاؤم بين المستويات الدلالية للنص وحالة المتلقي، وبذلك يتوثق الارتباط بين أطراف عملية الإبداع الثلاثة: (المبدع، النص والمتلقي))⁽⁶⁵¹⁾.

⁽⁶⁴³⁾ يُنظر: نسق الكلام في شعر زهير، د. هيفاء عثمان عباس فدا، ط1، 2004، الناشر مكتبة القاهرة للكتاب: 309.

⁽⁶⁴⁴⁾ يُنظر: بنية اللغة الشعرية: 157.

⁽⁶⁴⁵⁾ علم الجمال، دني هويسمان، ترجمة ظافر الحسن، ط4، 1983، منشورات عويدات، بيروت/ باريس: 41.

⁽⁶⁴⁶⁾ ينظر: في النقد والنقد الألسني: 147.

⁽⁶⁴⁷⁾ يُنظر: التلقي والتأويل: مقارنة نسقية، د. محمد مفتاح، ط1، 1994، الناشر، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء: 158، وفي النقد والنقد الألسني: 150؛ على التوالي.

⁽⁶⁴⁸⁾ يُنظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: 266.

⁽⁶⁴⁹⁾ يُنظر: المصدر نفسه: 234.

⁽⁶⁵⁰⁾ يُنظر: إعراب ثلاثين سورة: 48.

⁽⁶⁵¹⁾ في البنية والدلالة: 91-92.

ففي سورة البلد >                           

أجزاء القسم على مناسبة لطيفة فالمقسم به (هذا البلد) و(والد وما ولد)، أما البلد فهو مكة باتفاق المفسرين⁽⁶⁵²⁾ والوالد هو

إبراهيم الخليل (B) وما ولد هو ولده إسماعيل⁽⁶⁵³⁾ وبهذا يتضح لنا وجه المناسبة في الأقسام القرآنية فأقسم تعالى أولاً بمكة ثم أقسم ثانية بـ (والد وما ولد) أي بإبراهيم وإسماعيل اللذين رفعا قواعد بيت الله بمكة. كما نجد مناسبة لطيفة أخرى بين المقسم به (هذا البلد) -أي مكة-، وبين المقسم عليه:

> 

معرض تعليقه على جواب القسم: ((تعب ومشقة (... ومنه المكابدة والإنسان لا يزال في شدائد مبدأها ظلمة الرحم ومضيقة ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قریش)).⁽⁶⁵⁵⁾

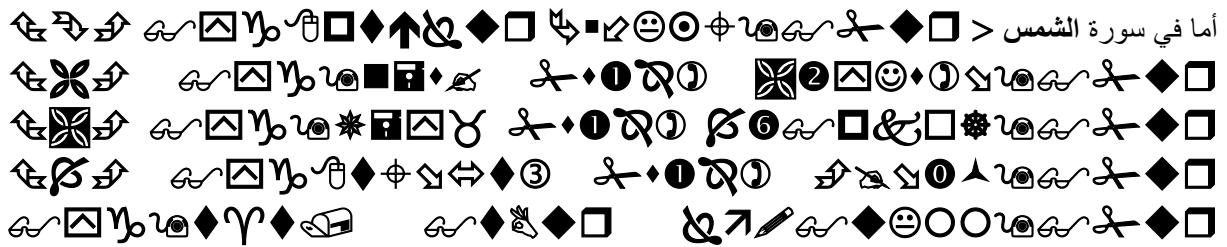
(652) يُنظر: الكشف: مجلد 4/255، وأنوار التنزيل: 799.
 (653) يُنظر: الكشف: مجلد 4/255.
 (654) سورة البلد: 4.
 (655) أنوار التنزيل: 799.

لقد تضمن معقد الآية الخامسة أسلوب الاستفهام الذي خرج للتوبيخ (أبحسبُ) والاستفهام من الأساليب الإنشائية الطليبية وهو من الأساليب الأدبية نظراً لما فيه من إيقاظ وتنبيه للمتلقي.⁽⁶⁵⁶⁾ وقد ضُمت الآية السادسة إلى الآية الخامسة عبر ضمير المتكلم في: (أهلكت)؛ والذي يرتبط بضمير الغائب في (عليه) في الآية الخامسة والعائد على أحد صناديد قريش.⁽⁶⁵⁷⁾ وضمت الآية السابعة إلى الآية التي قبلها ب تكرار الاستفهام في معقد الآية: (أبحسب) وكذلك ضمير الغائب في (يره).

وتكرر الاستفهام في معقد الآية الثامنة وكذلك تكرر ضمير الغائب: (له)؛ وكل هذه الاستفهامات خرجت للتوبيخ⁽⁶⁵⁸⁾؛ أي: لتوبيخ هذا الصنديد القريشي ومن خلاله توبيخ وتقرير المشركين؛ وهنا تكمن أدبية أسلوب الاستفهام وطاقاته التعبيرية الكامنة.

وقد ضمت الآية التاسعة إلى الثامنة عبر (الواو) العاطفة التي تصدرت معقد الآية؛ واشتغلت الآية العاشرة من حيث تقنية الربط على نحو ما اشتغلت على الآية التاسعة. ثم جاء الاستفهام التعجبي في الآية الثانية عشرة ليربطها بالآية الحادية عشرة من خلال تكرار لفظ (العقبة) ومعنى ما العقبة؟ أي: ما اقتحام العقبة؟⁽⁶⁵⁹⁾ وارتبطت الآية الثالثة عشرة بالآية الثانية عشرة ارتباط الجواب والتفسير بالسؤال لأنه فسره بقوله تعالى: (فك رقية)⁽⁶⁶⁰⁾.

وقد عطفت الآية الرابعة عشرة على الثالثة عشرة عبر حرف العطف (أو) الذي يفيد التخيير⁽⁶⁶¹⁾؛ في حين ارتبط معقد الآية الخامسة عشرة بالرابعة عشرة ارتباطاً معنوياً إذ إن معقدها (يئتما) مفعول به للفعل: (أطعم).⁽⁶⁶²⁾ وضمت الآية السابعة عشرة إلى الآية السادسة عشرة عبر حرف العطف (ثم) وقد ((جاء بثم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت؛ لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به))⁽⁶⁶³⁾ وبتعبير العكبري أنّ (ثم) هنا لترتيب الإخبار فقط لا لترتيب المخبر عنه⁽⁶⁶⁴⁾. وقد تضمنت هذه الآية - السابعة عشرة - العطف بالواو في موضعين وبالرغم من أنّ الواو تفيده مطلق الجمع وهي غير مقتضية للترتيب⁽⁶⁶⁵⁾. إلا أنها لا تجمع بين أمور متناقضة أو متباعدة فالعلاقة وثيقة بين الصبر والإيمان ((فإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ، وَلَا فِي إِيْمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ))⁽⁶⁶⁶⁾؛ كما إن التراحم من صفات المؤمنين الصميمية. وضمت الآية الثامنة عشرة إلى الآية السابعة عشرة عبر اسم الإشارة (أولئك) الذي يحيل إلى المؤمنين الصابرين المتراحمين الذين تقدم ذكرهم وبهذه الطريقة يربط اسم الإشارة بين جمل النص.⁽⁶⁶⁷⁾



(656) يُنظر: نسق الكلام في شعر زهير: 274.

(657) يُنظر: الكشف: مجلد 255/4.

(658) كتاب إعراب ثلاثين سورة: 99-100.

(659) يُنظر: إملاء ما من به الرحمن: 145/2.

(660) يُنظر: المصدر نفسه: 145/2.

(661) يُنظر: مغني اللبيب: 62/1.

(662) يُنظر: إعراب ثلاثين سورة: 101.

(663) الكشف: مجلد 257/4.

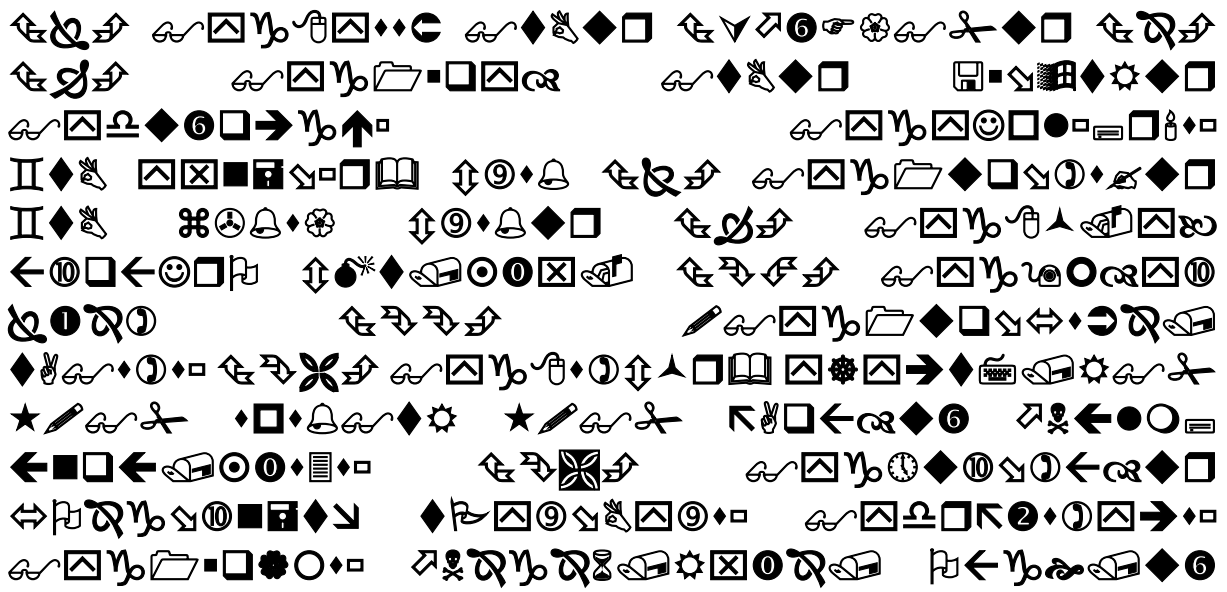
(664) يُنظر: إملاء ما من به الرحمن: 155/2.

(665) يُنظر: تحرير التحبير: 201/2.

(666) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية. د. صبحي الصالح، ط3، 1983،

دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة: 482.

(667) ينظر: في النقد والنقد الألسني: 153.



أقسم تعالى أحد عشر قسماً بذاته المقدسة وبظواهر طبيعية بـ (الشمس، الضحى، النهار، الليل، السماء، باني السماء -الله تعالى-، الأرض، طاحتها -وهو الله تعالى-، النفس الإنسانية، ومن سواها -وهو الله تعالى-)؛ (أولاً ترى هذا القسم مثيراً في النفس أقوى إحساسات الإعجاب بمدير هذا الكون، ومنظم شؤونه هذا التنظيم المحكم الدقيق)).⁽⁶⁶⁸⁾

وقد توفرت الأقسام القرآنية على مناسبات لطيفة فـ ((هذه الشمس التي تبلغ أوج مجدها وجمالها عند الضحى، وهذا القمر يتلوها إذا غابت، وكأنه يقوم مقامها في حراسة الكون وإبهاجه، وهذا النهار يبرز هذا الكوكب الوهاج، ثم لا يلبث الليل أن يحو سنائه، وهذه السماء وقد أحكم خلقها، وأتسقت في عين رائيتها كالبناء المحكم الدقيق، وهذه الأرض وقد انبسطت في سعة، وهذه النفس الإنسانية العجيبة الخلقة التي يتسرب إليها الهدى والضلال في دقة وخفاء، أليس في ذلك كله ما يبعث النفس إلى التفكير العميق في خالقه وأن هذا الخالق لا يذكر هو وما خلق محاطاً بهذا الإجلال إلا في مقام الحق والصدق)).⁽⁶⁶⁹⁾

إنّ هذه الأقسام القرآنية التي استغرقت الآيات الثماني الأولى قد شكلت نسقاً رائعاً هو نسق (المفارقة) وذلك من خلال (المقابلات) بين الآيات:

النهار	الليل
السماء	الأرض
التقوى	الفجور
الفلاح	الخبية
التركية	التدسية

لقد انتقى الأسلوب القرآني المعجز من بين حروف العطف (الواو) لأن السياق القرآني هنا سياق توكيد وتقرير النعم العظيمة التي منّ الله تعالى بها على البشر وهو سياق البسط الأوسع، والواو أشبه بهذا المعنى⁽⁶⁷⁰⁾، فهي أداة تناسب التدفق الدلالي في هذا السياق.

ومن وجهة نظر علم النص فإنه ((كلما طال المقام وازداد عدد الجمل المتلاحقة فيه ازدادت الحاجة إلى وجود علائق منطقية ونحوية لتجعل من ذلك كله نسقاً متماسكاً))⁽⁶⁷¹⁾؛ ولذلك تكررت الواو في نسق المفارقة: سبع مرات عند (معاهد) الآيات، وأربع مرات في مواضع بينية داخل الآيات.

⁽⁶⁶⁸⁾ من بلاغة القرآن: 171.

⁽⁶⁶⁹⁾ المصدر نفسه: 171.

⁽⁶⁷⁰⁾ ينظر: درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الاسكافي، ط1،

1393هـ-1973م، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت: 179.

⁽⁶⁷¹⁾ في النقد والنقد الألسني: 151.

وثمة مناسبة لطيفة بين القسم وجوابه في سورة الشمس؛ بيد أن الزمخشري لم يلتفت إلى جمال هذه المناسبة؛ زاعماً أن جواب القسم في السياق القرآني محذوف مقدراً له ب: ليديمن الله عليهم: أي على أهل مكة، لتكذيبهم رسول الله [5] كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحاً⁽⁶⁷²⁾؛ ويؤخذ على ذلك التقدير فقدان جواب القسم للمناسبة والصلة اللازمة بينه وبين الأقسام الكثيرة المطردة.⁽⁶⁷³⁾

إن وجه المناسبة هنا يتجلى بما تضمنه القسم المطرد من القسم بالنفس الإنسانية

سورة الشمس
سورة الشمس
سورة الشمس

والاتصال بالتعبير القرآني ليأتي المقسم عليه مندرجا بما قبله:

سورة الشمس
سورة الشمس

فالقسم (ها) في (زكاها، دساها) يعود على النفس الداخلة في القسم؛ فكان التعبير القرآني المعجز قد رد العجز على الصدر؛ إنه ((سبحانه يذكر نعمه الهائلة في هذه الآيات التي لو فقد البشر واحدة منها لتوقفت عجلة الحياة عن السير نحو الأمام، فمقتضى إفاضة هذه النعم وإنارة الروح بالهام الفجور والتقوى هو المشي على درب الطاعة، وتزكية النفس دون الولوج في طريق الفجور وإخفاء الدسائس الشيطانية)).⁽⁶⁷⁶⁾

أما في سورة الليل

سورة الليل
سورة الليل
سورة الليل

سورة الليل
سورة الليل
سورة الليل

سورة الليل
سورة الليل

سورة الليل
سورة الليل

سورة الليل
سورة الليل

سورة الليل
سورة الليل

سورة الليل
سورة الليل

سورة الليل
سورة الليل

سورة الليل
سورة الليل

سورة الليل
سورة الليل

سورة الليل
سورة الليل

سورة الليل
سورة الليل

سورة الليل
سورة الليل

(672) الكشاف: مجلد 4/259.

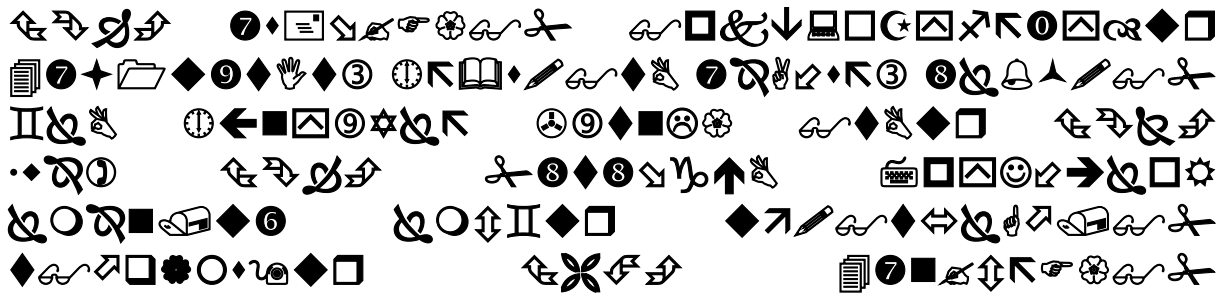
(673) ينظر: الأقسام في القرآن، الشيخ جعفر السبحاني، محمول على قرص مدمج (D.V.D)، موسوم (مكتبة أهل البيت

(-E-)، بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول، 1426 هـ، قم-إيران: 171.

(674) سورة الشمس: 5-7.

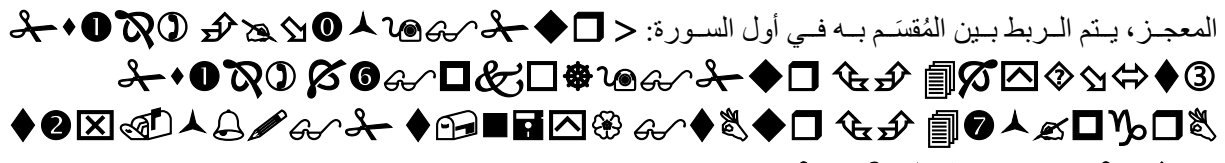
(675) سورة الشمس: 9-10.

(676) الأقسام في القرآن: 171.



المفارقة) أيضاً؛ فقد ضم هذه المتضادات (الليل/النهار، الذكر/الأنتى). < ③◆◆② ①◆◆③◆◆④◆◆⑤◆◆⑥◆◆⑦◆◆⑧◆◆⑨◆◆⑩◆◆⑪◆◆⑫◆◆⑬◆◆⑭◆◆⑮◆◆⑯◆◆⑰◆◆⑱◆◆⑲◆◆⑳◆◆㉑◆◆㉒◆◆㉓◆◆㉔◆◆㉕◆◆㉖◆◆㉗◆◆㉘◆◆㉙◆◆㉚◆◆

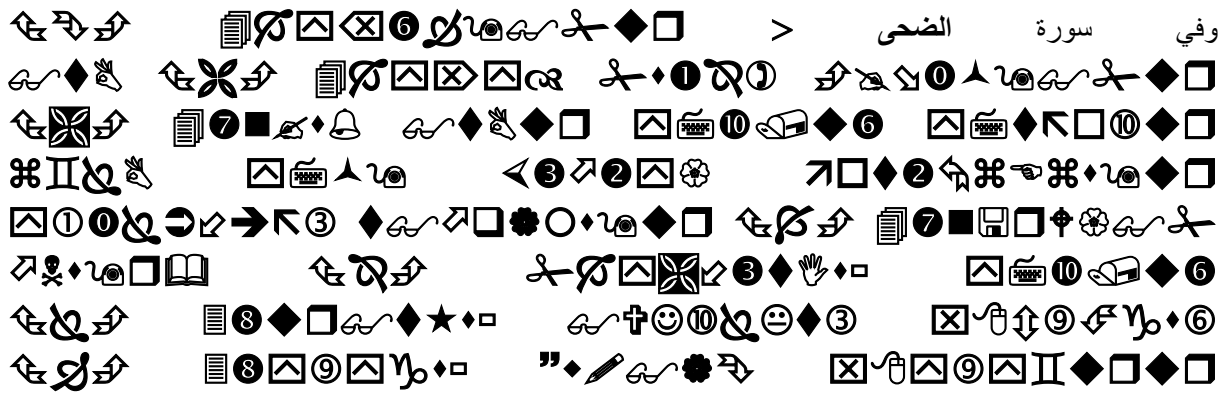
وجاء جواب القسم منسجماً مع هذا التضاد والتباين وهو أن الناس متباينون ومتفاوتون في سعيهم؛ وهذه مناسبة لطيفة يتوفر عليها التعبير القرآني المعجز؛ وقد رصدت د. عائشة عبد الرحمن ذلك فقالت: ((وعلى هذا النسق من البيان



المعجز، يتم الربط بين المُقسَّم به في أول السورة: < ①◆◆②◆◆③◆◆④◆◆⑤◆◆⑥◆◆⑦◆◆⑧◆◆⑨◆◆⑩◆◆⑪◆◆⑫◆◆⑬◆◆⑭◆◆⑮◆◆⑯◆◆⑰◆◆⑱◆◆⑲◆◆⑳◆◆㉑◆◆㉒◆◆㉓◆◆㉔◆◆㉕◆◆㉖◆◆㉗◆◆㉘◆◆㉙◆◆㉚◆◆ > والمعقسَّم عليه من تفاوت سعي البشر في الأولى، بين إعطاء خير وتقوى وتصديق بالحسن، وبخل خاسر وتكذيب بالحسن، ثم التفاوت في الأخرى بين مصير الأشقى الذي يصل إلى ناراً تلتطمى، والأتقى الذي يؤتى ماله يتركى)). (678)

وقد جاء جواب القسم في الآية الرابعة: < ①◆◆②◆◆③◆◆④◆◆⑤◆◆⑥◆◆⑦◆◆⑧◆◆⑨◆◆⑩◆◆⑪◆◆⑫◆◆⑬◆◆⑭◆◆⑮◆◆⑯◆◆⑰◆◆⑱◆◆⑲◆◆⑳◆◆㉑◆◆㉒◆◆㉓◆◆㉔◆◆㉕◆◆㉖◆◆㉗◆◆㉘◆◆㉙◆◆㉚◆◆ > على سبيل الإجمال؛ ثم جاءت الآيات الست التي تليه بمثابة التفصيل لذلك الإجمال؛ فقد تضمن معقداً الأيتين: الخامسة، والثامنة؛ تضمنتاً (أمّا) ((وهو حرف شرط وتفصيل وتوكيد)) (680) وارتبطت الآية الحادية عشرة بالآية العاشرة عبر (الهاء) ضمير الغائب.

كما تضمنت الآيات: من الرابعة عشرة حتى الآية الأخيرة؛ تضمنت (مقابلة) بين حالتي الأشقى والأتقى؛ فالآية: < ①◆◆②◆◆③◆◆④◆◆⑤◆◆⑥◆◆⑦◆◆⑧◆◆⑨◆◆⑩◆◆⑪◆◆⑫◆◆⑬◆◆⑭◆◆⑮◆◆⑯◆◆⑰◆◆⑱◆◆⑲◆◆⑳◆◆㉑◆◆㉒◆◆㉓◆◆㉔◆◆㉕◆◆㉖◆◆㉗◆◆㉘◆◆㉙◆◆㉚◆◆ > الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الأشقى وجعل مختصاً بالصلي كأن النار لم تخلق إلا له، وقيل الأتقى وجعل مختصاً بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له)). (682)



(677) سورة الليل: 1-3.
(678) التفسير البياني للقرآن الكريم: 121/2.
(679) سورة الليل: 4.
(680) ينظر: 100 من هذه الدراسة.
(681) سورة الليل: 17.
(682) الكشف: مجلد 4/262.

النهار والليل هي مناسبة الضدية. < أقسم تعالى بالنهار الرائق والليل الساجي؛ وغير خافٍ أن المناسبة بين النهار والليل هي مناسبة الضدية.

أما المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فهي في غاية الروعة فمناسبة نور النهار وظلمة الليل لنزول الوحي وانقطاعه ظاهرة (683)؛ إذ ((المقسم به في آيتي الضحى، صورة مادية، وواقع حسي، يشهد به الناس في كل يوم تألق الضوء في ضحوة النهار، ثم فتور الليل إذا سجا وسكن (..) فأني عجب في أن يجيء، بعد أنس الوحي وتجلي نوره على المصطفى

[5]، فترة سكون يفتر فيه الوحي، على نحو ما نشهد من الليل الساجي يوافي بعد الضحى المتألق)). (684)

وقد ضمت الآية الرابعة إلى الآية الثالثة واتصلت بها ((لما كان في ضمن نفي التوديع والقلبي أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنت حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه، أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل)). (685)

ووجه ارتباط الآية السادسة بما قبلها واضح، فقوله تعالى: > < (تعيد لما أنعم الله عليه تنبيهاً على أنه كما أحسن إليه

فيما مضى يحسن إليه فيما يستقبل)) (687)؛ فقد كان الرسول (5) يتيماً فأواه، وكان ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه.

وضمت الآية السابعة إلى الآية السادسة عبر (الواو) العاطفة، وبالطريقة نفسها ضمت الآية الثامنة إلى الآية السابعة؛ وقد توفرت الأيتان: السابعة والثامنة على (التجانس التركيبي) مما جعلهما تنهضان بمهمة إضفاء التماسك والتجانس على النص القرآني:

وجدّ + كاف الخطاب (مفعول به أول) + مفعول به ثان + الفاء العاطفة + فعل ماض.

وقد انتقى الأسلوب القرآني المعجز من أفعال القلوب الفعل (وجد) لإضفاء جو نفسي حميمي على الموقف. (688)

واشتملت الآية التاسعة على تقنيتين للربط:

الأولى: الفاء العاطفة وهي تفيد التفصيل (689) - أي تفصيل المجل -

والثانية: أما وهي حرف تفصيل. (690)

ثم ضمت الآية العاشرة إلى التاسعة عبر (الواو) العاطفة؛ والأيتان تتوفران على (التجانس التركيبي):

حرف عطف + أمّا مفعول به مقدم + الفاء + لا الناهية + فعل مضارع مجزوم

وارتبطت الآية الحادية عشرة بالآية العاشرة بـ (الواو) العاطفة.

ويتوفر ترتيب الأيات الثلاث الأخيرة في سورة الضحى على دقة أسلوبية؛ فقد أثار المولى الرحيم بعباده أثر اليتيم والسائل، فأخر حق نفسه وهو الشكر؛ فهو الغني وهما المحتاجان. (691)

وقدمت الوصية باليتيم على الوصية بالسائل لأن مسكنة اليتيم ومحنته أشدّ وأعظم من سواها.

(683) ينظر: تفسير الميزان: 310/20.

(684) التفسير البياني للقرآن الكريم: 26/1.

(685) الكشف: 264/4.

(686) سورة الضحى: 6.

(687) أنوار التنزيل: 802.

(688) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: 51/1.

(689) ينظر: مغني اللبيب: 161/1.

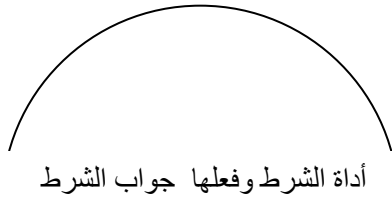
(690) ينظر: المصدر نفسه: 56/1.

(691) ينظر: التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، ط1، 1421 هـ-2000م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان: مجلد15/ج30: 20.

وتقرأ د. عائشة عبد الرحمن في ترتيب الآيات ((أنه تعالى، نبه رسوله الكريم إلى أن إصلاح الجماعة، يأتي في المنزلة الأولى من الاعتبار والتقدير، حين أجمل له في هذه الآيات الكريمة مهمة رسالته: أن تدفع ذلّ الفاقدين، وقهر اليتامى، وحيرة السائلين، فهي رسالة إصلاح وهداية أمر النبي بالتحدث بها وتبليغها)).⁽⁶⁹²⁾ وهذه الآيات الثلاث الأخيرة ترتبط أشد الارتباط بالآيات: السادسة، والسابعة، والثامنة ((ويظهر أنه لما تقدم ذكر الامتنان عليه بذكر الثلاثة أمره بثلاثة فذكر اليتيم أولاً وهي البداية ثم ذكر السائل ثانياً وهو العائل وكان أشرف ما أمتن به عليه هي الهداية فترقى من هذين إلى الأشرف وجعله مقطع السورة وإنما وسط ذلك عند ذكر الثلاثة لأنه بعد اليتيم هو زمان التكليف وهو عليه الصلاة والسلام معصوم من اقتراف ما لا يرضي الله عز وجل في القول والفعل والعقيدة فكان ذكر الامتنان بذلك على حسب الواقع بعد اليتيم وحالة التكليف وفي الآخر ترقى إلى الأشرف فهما مقصدان في الخطاب)).⁽⁶⁹³⁾

ب- بنية الشرط:

إن بنية الشرط من البنى المغلقة إذ تبدأ عادة بأداة الشرط ففعل الشرط فجوابه؛ وهكذا فالمتلقي يتشوق لسماع جواب الشرط؛ فما إن يسمع المتلقي أداة الشرط حتى يعلم أن ثمة دائرة فتحت أو بدأت بالتشكل، وأن ثمة جملة للشرط وجواب له سيأتيان ليغلقها.⁽⁶⁹⁴⁾ وما إن يصل المتلقي إلى جواب الشرط يرتد ثانية إلى جملة الشرط ليربط بينهما، وهكذا يجول المتلقي في رحلة مكوكية في دائرة الشرط المغلقة:



وهذه البنية -الشرط- مع انغلاقها/الافتتاحية مرنة؛ إذ تتمتع محاورها بحرية الحركة فتفسح المجال إلى إعادة تشكيلها من جديد بطريقة تناسب الغرض المنشود كما تسمح بحذف شيء منها أو حذفها كلها، كما تسمح بضغطها وتكثيفها وكذلك مطها؛ مما يتيح وقوع (الانزياح) لإنتاج التعابير الأدبية المأسلية.⁽⁶⁹⁵⁾

وفي سورة الزلزلة > ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

⁽⁶⁹²⁾ التفسير البياني للقرآن الكريم: 54/1.

⁽⁶⁹³⁾ البحر المحيط: مجلد 487/8.

⁽⁶⁹⁴⁾ ينظر: بحث بعنوان: (الطاقات الجمالية للجملة الشرطية)، لؤي علي خليل، مجلة الموقف الأدبي، عدد 276،

نيسان، السنة 1994: 105.

⁽⁶⁹⁵⁾ ينظر: بحث بعنوان: الطاقات الجمالية للجملة الشرطية: 105.

السورة؛ وفي خاتمتها. وتتشكل السورة من ثماني آيات وقد استغرقت بنية الشرط المتصدرة خمس منها؛ واستطالت جملة الشرط لتستغرق ثلاث آيات ضُمت إلى بعضها عبر (الواو) العاطفة التي تفيد مطلق الجمع؛ علاوة على ذلك ارتبطت الآية الثانية بالأولى وتماهت معها؛ فكلتاها تشغل وفق الأنموذج النحوي:
فعل + فاعل (الأرض) + مفعول به + ضمير (ها).

وهكذا فإن هذا الأنموذج يبدع رابطاً معنوياً بين الفعل والفاعل ألا وهو الإسناد (إسناد الفعل إلى فاعله)؛ وقد أضفى هذا (التجانس التركيبي) وارتباط الأيتين بالضمير (ها) عند فواصلهما أضفى مسحة جمالية عليهما.
ولم يقتصر الربط بين الأيتين الثالثة والثانية على الربط بـ (الواو) العاطفة؛ بل ثمة رابط آخر هو الضمير (ها) العائد على الأرض والذي يعدُّ (لازمة بنائية) عند الفواصل في الآيات الخمس الأولى؛ إن هذا الضمير أحكم ربط الآيات ((وللضمان في الحقيقة وظيفة مهمة في جعل النص المكتوب أو الملفوظ نسيجاً متشابك الخيوط. وهي أيضاً التي تغني عن التكرار وتختصر الكلام فتجعله أكثر تماسكاً)).⁽⁶⁹⁶⁾

إن مساحة البنية الشرطية هي الآيات الخمس الأولى؛ وبما أن جملة الشرط وجوابه تعد جملة واحدة أو كالجمله الواحدة؛ فيمكن القول: إننا بإزاء جملة واحدة طويلة تستغرق خمس آيات. ((إن تقديم صورة عن اليوم الآخر استلزم تقديم شرائح تصويرية مختلفة عما سيجري فيه. لذلك عمد النص القرآني إلى استخدام العطف قبل مجيء جواب الشرط لتأخيره كي لا يغلق الصورة وينهبا.

فمال إلى ذكر ما يحيق بالأرض من زلزلة، وما يخرج من باطنها من موتى وكنوز إلى أن انتهى رسم الصورة بمجيء الجواب الذي ختم المشهد العام مبرراً علّة ما أصاب الأرض:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ لِّأَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ لِّأَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ لِّأَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾⁽⁶⁹⁷⁾. فذلك لم يكن إلا بأمر من الله سبحانه وتعالى)).⁽⁶⁹⁸⁾

كما ارتبطت الآية الخامسة وتعالقت بالآية الرابعة بحرف (الباء) إذ تعلقت (الباء) في قوله تعالى: (بأن ربك)؛ بـ (تحدّث)⁽⁶⁹⁹⁾؛ والمعنى ((تحدث أخبارها بسبب إحياء ربك لها وأمره إياها بالتحديث)).⁽⁷⁰⁰⁾
وارتبطت الآية السادسة بالآية الرابعة -وضمنياً بالآية الخامسة- بتكرار (يومئذ) والتي هي بدل من (يومئذ) التي قبلها، أو متعلقة بـ (يصدر).⁽⁷⁰¹⁾

أما بنية الشرط في خاتمة السورة -الزلزلة- فقد استغرقت الأيتين الأخيرتين: السابعة والثامنة؛ وهي بنية شرطية مركبة من شرطين؛ بيد أنهما سبكتا سبكا حتى كأنهما جملة واحدة وذلك عبر (الواو) العاطفة؛ التي جعلتهما يشكّلان بنية (مقابلة).

إضافة إلى ما تقدم فإن الأيتين تتوفران على (التجانس التركيبي) لاشتغالهما على أنموذج نحوي واحد:
مَنْ + فعل مضارع + مفعول به + مضاف إليه + تمييز.

وقد كانت هذه (المقابلة) بمثابة التفصيل للإجمال الذي تضمنته الآية السادسة وذلك بتناولها لأعمال الناس؛ فالآيتان الأخيرتان مرتبطتان بالآية السادسة وذلك ارتباط المفصل بالمجمل بوساطة الفاء التفصيلية⁽⁷⁰²⁾ عند معقد الآية السابعة.

أما في سورة النصر > ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾

⁽⁶⁹⁶⁾ في النقد والنقد الأسنني: 153.

⁽⁶⁹⁷⁾ سورة الزلزلة: 4-5.

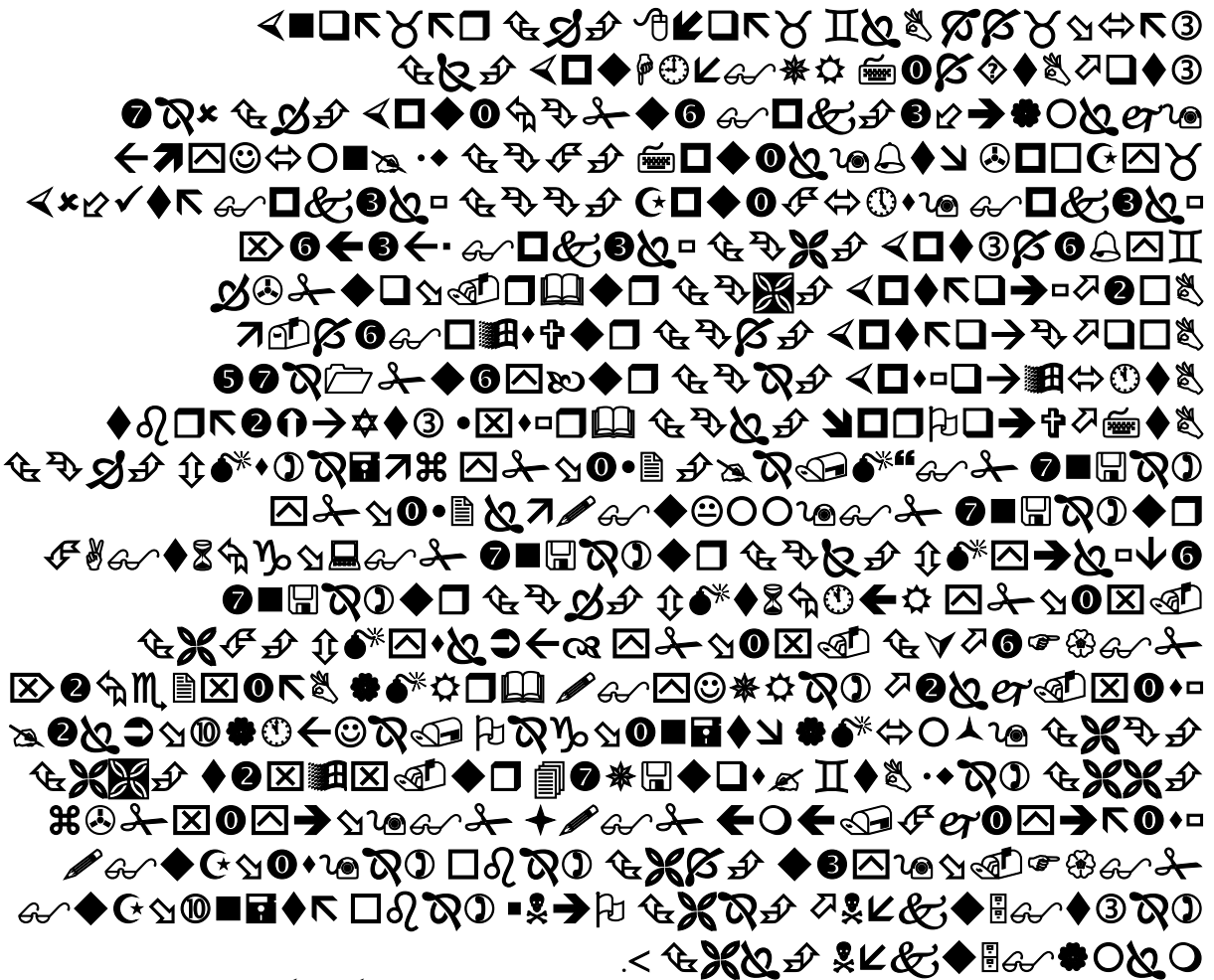
⁽⁶⁹⁸⁾ بحث بعنوان: الطاقات الجمالية للجملة الشرطية: 116.

⁽⁶⁹⁹⁾ ينظر: الكشف: مجلد 4/ 276.

⁽⁷⁰⁰⁾ المصدر نفسه: مجلد 4/ 276.

⁽⁷⁰¹⁾ ينظر: البرهان في إعراب آيات القرآن، أحمد ميقري بن أحمد بن حسين الأهدلي، ط1، 1422هـ-2001م، المكتبة العصرية، بيروت: مجلد 6/ 534.

⁽⁷⁰²⁾ ينظر: البرهان في إعراب آيات القرآن: مجلد 6/ 534.



إن (هل) تأتي ((للتصديق فقط، وهو إدراك النسبة بين المسند والمسند إليه ثبوتاً أو نفياً))⁽⁷¹²⁾ ((ويجاب عنها بنعم أو لا))⁽⁷¹³⁾؛ وهكذا كان النبي (ص) يفعل إذا قرأ هذه الآية، أو قرئت عليه⁽⁷¹⁴⁾؛ إذ إن الاستفهام في صدر سورة الغاشية أفاد التقرير؛ ولكننا لا نعدم أن نجد في (هل) أشياء أخرى بعد ذلك ففيها إثارة هذا السؤال الذي يدعو الوجدان إلى التفكير والخوض في المواقف والبحث فيه عن وجه الصواب ثم نجد سلسلة من التدايعات والرؤى تثار في القلب والخاطر حول هذه الحقيقة حقيقتة يوم القيامة.

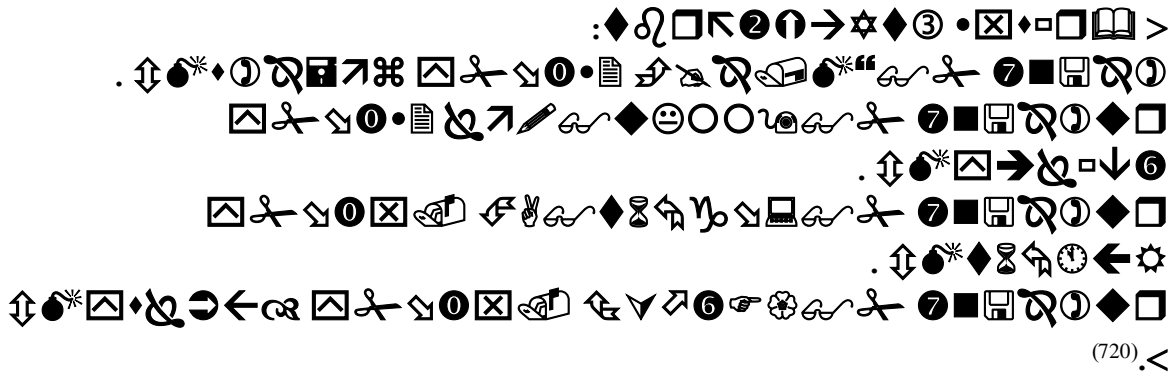
يتضمن الاستفهام في صدر سورة الغاشية إجمالاً؛ في حين تتضمن الآيات: من الثانية إلى الآية الثالثة عشرة تفصيلاً؛ وقد تكرر الإجمال مرتين أو أكثر.

إن ((الإجمال في الصياغة القرآنية، هنا، ينقسم على نفسه قسمين، وكل قسم منها تحيط به عناصر تفرق عن العناصر التي تحيط بالثاني. وأن الإجمال الذي يتلخص بـ (وجه) ينقسم على نفسه قسمين متكررين، كل تكرار لا يعتمد على أسلوب العطف الذي نألفه في اللغة العربية، كأن تكون الآيات: وجه يومئذ خاشعة ... ووجه يومئذ ناعمة، وذلك للإيمان بأن ثمة علاقة توحد بين الوجوه، وهي تكشف عن علاقيتين: الأولى: علاقة التوحد في الناس، والثانية علاقة تجسد معنى المفارقة بين الوجوه من جهة أخرى. وذلك من خلال إقامة نوع من العلاقات المختلفة بين عناصر بنية التفصيل التي تلقى بظلالها على بنية الإجمال فتؤثر فيه تأثيراً واضحاً، بحيث يبدو للمتلقي أن الإجمال جزءان مختلفان لا صلة بينهما، فيتوصل المتلقي إلى أن الانقسام الذي حدث في بنية الإجمال انقسام داخلي في البنية، ومن خلال هذا الانقسام يلاحظ أن العناصر توزعت على جزءين يشكلان الإجمال))⁽⁷¹⁵⁾.

(712) المعاني في ضوء أساليب القرآن: 177.
 (713) إعجاز القرآن وعلم المعاني: 241.
 (714) ينظر: في ظلال القرآن: مجلد 8/ج30: 144.
 (715) بحث بعنوان: الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم، فايز القرعان، مجلة أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب واللغويات) مجلد 12، عد 1، السنة 1994: 21.

ويمكن تتبع حركة العلاقات بين العناصر التي تحيط بالقسم الأول مع العناصر الأخرى التي تحيط بالقسم الثاني لفهم بنية التوزيع؛ وأول هذه العلاقات التنافر في صفة الوجوه، عبر عنصري (خاشعة) و(ناعمة)، فالعنصر الأول يرتبط بالوجوه الأولى؛ والعنصر الثاني يرتبط بالوجوه الثانية، وثمة مفارقة واضحة بين العنصرين⁽⁷¹⁶⁾: ((عامله ناصبة) و(لسعيها راضية) اللذين يرتبطان بالوجوه الأولى والثانية على التوالي. وتأتي علاقة تضاد جديدة تضاف إلى علاقة التنافر السابقة لتخلق التباعد الحقيقي بين طرفي التركيب (الوجوه)، وذلك أن الوجوه الأولى (تصلي ناراً حامية)، في حين إن الوجوه الثانية (في جنة عالية)، وبعد ذلك تصبح العناصر الأخرى ذات علاقة مفارقة واضحة من فهمنا العام للنص فيما يتعلق بالنار والجنة)).⁽⁷¹⁷⁾

وقد عطف الآية السابعة عشرة عبر (الفاء في: أفلا) على مقدر يقتضيه المقام، والتقدير: (أينكرون البعث)⁽⁷¹⁸⁾؛ وقد خرج الاستفهام هنا للتوبيخ⁽⁷¹⁹⁾:



ترسم الآيات القرآنية هنا لوحة رائعة تشتمل على أربعة عناصر: إبل، وسما مرفوعة، وجبال منصوبة، وأرض مسطحة، ولما كان للمتلقي دور كبير في إدراك أية ظاهرة حسب الفلسفة الظاهرانية؛ فإن زاوية رصد هذه اللوحة تحدد بحسب زاوية نظر المتلقي؛ فالمتلقي المكي البدوي في عصر النزول يعد الإبل أهم شيء في حياته؛ ولذلك بدأ النسق القرآني الدقيق بها؛ كما أن ثمة اعتبارات أخرى لتخصيص الإبل بالذكر منها ((بيان الآيات المنبثثة في الحيوانات التي هي أشرف المركبات وأكثرها صنعةً ولأنها أعجب ما عند العرب من هذا النوع)).⁽⁷²¹⁾

وتأمل جمال الوصل في هذه الآيات، ((فالمطلوب في الآية التأمل فيما خلق الله، ليصلوا بهذا التأمل إلى الإيمان بالبعث الذي ينبني عليه أساس الدين، والتناسب هنا بين الجمل واضح، فقد بدأ حديثه بالإبل التي هي عنصر أساسي في حياة البدوي في صحرائه، وانتقل من الإبل إلى ما يرويه أمامهم في كل حين من سما رفعت بلا عمد، وللسما عند البدوي مكانة خاصة، يتجه إليها ببصره، يستنزل منها الغيث، ويهتدي بنجومها في سراه بالليل، فإذا هبط ببصره قليلاً رأى هذه الجبال الشامخة، منصوبة تناطح السماء بقممها، وترسو في ثبات واطمئنان على أرض مهدت له، وسطحت أمامه، أو لا ترى أن تنقل البصر بين هذه المخلوقات تنقل هادئ طبيعي لا قفز فيه، وأن ارتباط بعضها ببعض في طبيعة البدوي مهد للربط بينها وعطف بعضها على بعض)).⁽⁷²²⁾

إن اللوحة القرآنية تبدأ من الحي المتحرك (خلق الإبل) لتنتهي بالجامد الثابت (الأرض)، وبينهما التعرّيج على السماء المرفوعة والجبال المنصوبة. إن المتلقي يُسرح بصره من أعلى إلى أسفل في هذه اللوحة؛ كما أنه يستطيع أن يفعل العكس في حركة مكوكية بين عناصر هذه اللوحة.

وتكمن روعة الإعجاز الأسلوبي القرآني في انتقاء (الواو) العاطفة لضم المتعاطفات (عناصر اللوحة) وذلك لأن الواو غير مقتضية للترتيب؛ إذ يجوز أن يكون المتأخر بها متقدماً⁽⁷²³⁾؛ ولأن ما بعدها يجوز أن يكون ملاصقاً لما قبلها

⁽⁷¹⁶⁾ ينظر: المصدر نفسه: 20-21.

⁽⁷¹⁷⁾ بحث بعنوان: الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم: 20.

⁽⁷¹⁸⁾ ينظر: البرهان في إعراب آيات القرآن: مجلد 6/506.

⁽⁷¹⁹⁾ ينظر: إعراب ثلاثين سورة: 79.

⁽⁷²⁰⁾ سورة الغاشية: 17-20.

⁽⁷²¹⁾ أنوار التنزيل: 796.

⁽⁷²²⁾ من بلاغة القرآن: 174.

⁽⁷²³⁾ ينظر: تحرير التحبير: 201/2.

كالتعقيب الذي يُفاد بالفاء، ويجوز أن يكون مترخياً عنه كالمهلة التي تُفاد بثم، بل يجوز أن يكون ما بعدها -الواو- مقدماً على ما قبلها ومجامعاً لها إذ هي موضوعة لمطلق الجمع ولا ترتيب فيها.⁽⁷²⁴⁾

ثالثاً- الربط بالصفات:

لا تقتصر وظيفة الصفات في الخطاب الأدبي على التحديد-تحديد الاسم الموصوف-، أو إكمال المعنى؛ بل إنها تنهض بمهمة بث المتعة والحيوية في ذلك الخطاب.⁽⁷²⁵⁾

كما إنها تعدّ من الروابط المعنوية المهمة التي تساهم في إضفاء التماسك والانسجام بين تراكيب وجمل النص؛ وهي في النظر النقدي الحديث تبحث في ما يصطلح عليه بـ (علم النص)؛ إذ إن التحديد-الذي تنهض بمهمته هذه الصفات- يعدّ من الشروط الأساسية التي ينبغي أن يتوفر عليها النص الأدبي حسب لوتمان⁽⁷²⁶⁾؛ ولذلك فهي -الصفات- ينبغي أن تحظى باهتمام كبير في التحليل الأسلوبي لتجلية الطاقات الجمالية التي تتوقّر عليها؛ ولدراسة ظلال المعنى والدلالات المشعة للصفات؛ لاسيما في السياقات الفنية العالية؛ كما في السياقات التي تتوفر عليها لغة القرآن الكريم بوصفها اللغة الأدبية الأعلى؛ وكذلك دراسة التعالق والترابط بين هذه الصفات -بوصفها بنى صغرى- والموصوف من جهة؛ وبين التركيب النعني وبقية بنى النص من جهة أخرى.

وقد تنبه القدامى إلى أهمية الصفات؛ فأفردوا لها مباحث خاصة؛ وسموها (تنسيق الصفات)⁽⁷²⁷⁾ أو غيرها من المباحث.

ونظراً لانتساع دائرة الصفات في قصار السور يتعذر علينا الإحاطة بها جميعاً في هذا المبحث؛ ولذلك سنقتصر على الصفات التي تتعلق بالذات الإلهية المقدسة وهي أشرف الصفات وأجدرها بالتحليل لما تتوفر عليه من لطائف ومناسبات؛ ولما تنهض به من وظائف الربط وإضفاء حسن النسق على النص القرآني:

ففي قوله تعالى: ﴿فِي سَمَاءٍ مِّن مِّن لَّيَالِي سَبْعِينَ أَلْفًا سَنَةً عَصَىٰ لَهُ السَّمَاءُ بِرُحْمَتٍ ذُو الْعَرْشِ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾⁽⁷²⁸⁾؛ جاء تقديم لفظ الجلالة في الآية الأولى متنسّقاً مع قواعد العربية وأساليبها ((لأن من شأن العرب إذا أرادوا الخبر عن مخبر عنه أن يقدموا اسمه ثم يتبعوه صفاته ونعوتهم))⁽⁷²⁸⁾؛ فُقِّد اسم الله تعالى على الرحمن الرحيم لأنه اسم لا ينبغي إلا للمولى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْرِبْنَاهُ سِوَا مَوْلَانَا إِنَّهُ جَلِيلٌ ذُو الْعَرْشِ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾⁽⁷²⁹⁾؛ أي: هل تعرف في السَّهْلِ وَالْجَبَلِ وَالْبَحْرِ وَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ أَحَدًا اسْمَهُ اللَّهُ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى.⁽⁷³⁰⁾

إن ترتيب العناصر اللغوية في المتواليّة اللسانية ذو أهمية كبيرة؛ إذ إن الأثر والمفعول الأسلوبي يتلاشى حيث يكون الترتيب -أي ترتيب- عادياً.

⁽⁷²⁴⁾ ينظر: درة التنزيل: 179.

⁽⁷²⁵⁾ ينظر: بنية اللغة الشعرية: 132-133.

⁽⁷²⁶⁾ ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: 234.

⁽⁷²⁷⁾ ينظر: حسن التّوسّل إلى صناعة التّرسّل، شهاب الدين محمود الحلبي، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف،

1980، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية: 248.

⁽⁷²⁸⁾ جامع البيان في تفسير القرآن: مجلد 45/1.

⁽⁷²⁹⁾ سورة مريم: 65.

⁽⁷³⁰⁾ ينظر: إعراب ثلاثين سورة: 24.

وفي سورة الحمد يتوفر (نسق الصفات) على دقة عجيبة إذ روعي فيها التدرج والترقي والتناسب؛ فقد تصدرت الصفة الأولى (رب..) نسق الصفات فما دلالات ذلك؟.

((الرَّبُّ في الأصل التربيَّة وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدِّ التمام، يُقال رَبُّهُ ورَبَّاهُ ورَبَّيْهُ. وقيلَ لأنَّ يُرَبِّي رَجُلٌ من قريش أحبُّ إليَّ من أن يُرَبِّي رَجُلٌ من هوازن فالرَّبُّ مصدرٌ مُستعارٌ للفاعل ولا يُقال الرَّبُّ مُطلقاً إلا لله تعالى المُتكفَّلُ بمصلحة الموجودات (...)) وبالإضافة يُقال له ولغيره نحو قوله: (رب العالمين)) (731)

وقد شدَّدت الباء في (رب) لأنهما باءان من رَبَّيت، ورب اسم مشترك، بيد أن تحليته بالألف واللام يجعله مختصاً بالمولى تعالى.

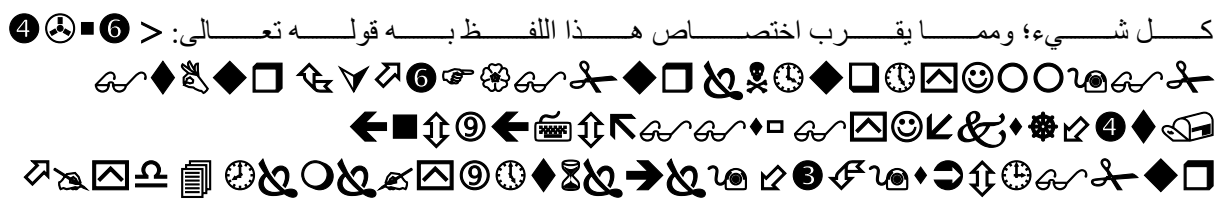
والعربُ تقول: رَبَّبْتُهُ ورَبَّيْتُهُ بمعنى واحد. (732)

فهذه الصفة فيها ملحظ الإنشاء والتربية والكفالة فهو تعالى المنشئ والمربي والكافل للعالمين أجمعين: الإنس والجن والملائكة. وفي حالة الإنسان فإن المولى ربه إنشاء إذ أوجده من عدم فمنَّ عليه بأن خلقه في أحسن تقويم؛ وتعهدده وهو نظفة في الأصلاب ثم سواه رجلاً أو امرأة فالمولى ربُّ الإنسان بكل مراحل وأطواره وحالاته إذ سخر له الكون؛ وذلك الأشياء لينتفع بها على الوجه الأكمل؛ وبملحظ من هذه الدلالات ابتدأ النسق القرآني المعجز بهذه الصفة الربانية.

وفي هذه الآية القرآنية الكريمة -الثالثة- ثمة ملحظ دقيق يتعلق بحسن النسق؛ إذ قُدِّمَ الرحمن على الرحيم لأن الرحمن اسم خاص لله؛ والرحيم اسم عام مشترك؛ فيقال: رجل رحيم ولا يُقال: رجل رحمن فقُدِّمَ الخاصُّ على العام (733)؛ فالرحمن من مختصات المولى تعالى؛ فهو بمنزلة اللقب من الله سبحانه، ولذلك فقد استعملت في كثير من الآيات من دون لحاظ مادتها؛ ويعزز ذلك استقراء الآيات والمواضع القرآنية التي وردت فيها هذه الصفة -الرحمن-؛ إذ تنزل هذه الصفة

منزلة لفظ الجلالة (الله)؛ الذي هو من مختصات المولى تعالى؛ قال تعالى: ﴿  ﴾

وهكذا فإن هذه الصفة في جميع مواد استعمالها ترد محذوفة المتعلق فيستفاد منها العموم وأن رحمته تعالى وسعت

كل شيء؛ ومما يقرب اختصاص هذا اللفظ به قوله تعالى: ﴿  ﴾

اللفظ في سورة مريم حتى كررها فيها ست عشرة مرة. وهذا يتسق مع المعنى الذي ألمعت إليه الآية من عدم وجود سمي بالرحمن غيره تعالى. (736)

أما صفة الرحيم فهي ((صفة مشبهة، أو صيغة مبالغة، ومن خصائص هذه الصيغة أنها تستعمل غالباً في الغرائز واللوازم غير المنفكة من الذات: كالعليم والقدير والشريف والوضيع..)) فالفارق بين الصفتين: أنَّ الرحيم يدل على لزوم الرحمة للذات وعدم انفكاكها عنها والرحمن يدل على ثبوت الرحمة فقط. ومما يدل على ان الرحمة في كلمة (رحيم) غريزة وسجية: إن هذه الكلمة لم ترد في القرآن عند ذكر متعلقها إلا متعدية بالياء، فقد قال تعالى:

﴿  ﴾ (737)

(731) المفردات: مادة (رب).

(732) ينظر: إعراب ثلاثين سورة: 32.

(733) ينظر: إعراب ثلاثين سورة: 24.

(734) سورة الإسراء: 110.

(735) سورة مريم: 65.

(736) ينظر: البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، ط4، 1979، الكويت: 456-457.

(737) سورة الحج: 65.

متعلقها انسلخت عنه في اللزوم))⁽⁷³⁹⁾، ويعزز الاستقرار هذا الملحظ الدقيق؛ إذ وردت هذه الصفة مائة وخمس عشرة مرة في القرآن الكريم وقد اقترنت بكلمة (غفور) في نيف وسبعين موضعاً⁽⁷⁴⁰⁾

والجدير بالملاحظة أن هاتين الصفتين لم تردا متتاليتين: (الرحمن الرحيم)؛ إلا في خمسة مواضع وذلك إذا ما استثنينا البسمة؛ وإن الخيط الذي يجمع بين كل هذه المواضع هو أنها ذات موضوع عقدي: قال تعالى:

﴿...﴾⁽⁷⁴¹⁾

﴿...﴾⁽⁷⁴²⁾

﴿...﴾⁽⁷⁴³⁾

﴿...﴾⁽⁷⁴⁴⁾

وهكذا نصل إلى خلاصة مفادها: أن الرحمن الرحيم اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر⁽⁷⁴⁵⁾، وأن كلا منهما يتحرك ببعد يكمل البعد الآخر، فالسعة والشمول للرحمة في لفظ (الرحمن) يمكن التعبير عنه بـ (البعد الأفقي) لها، بينما نلاحظ في صفة (الرحيم) جانب المبالغة في الثبات والاستقرار للرحمة وهو ما يعبر عنه بـ (البعد العمودي)⁽⁷⁴⁶⁾ ((فقد تكون الرحمة واسعة وشاملة ولكنها لا تكون مستقرة وثابتة إلى الأبد، بل يمكن أن تتبدل وترفع لأي سبب من الأسباب وتتحوّل حينئذ إلى عذاب ونقمة))⁽⁷⁴⁷⁾

إن دلالة التعبير القرآني: ﴿...﴾⁽⁷⁴⁸⁾ تشير إلى الأصول التي قامت بها الأديان ومدارها معرفة الله وصفاته⁽⁷⁴⁹⁾

(738) سورة الأحزاب: 43.

(739) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تح السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط3، 1426هـ-2005م، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، بيروت-لبنان: 457/10.

(740) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: مادة (رحم).

(741) سورة البقرة: 163.

(742) سورة النمل: 30.

(743) سورة فصلت: 2.

(744) سورة الحشر: 22.

(745) ينظر: إعراب ثلاثين سورة: 24.

(746) ينظر: تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم، محمول على قرص مدمج (D.V.D)، موسوم (مكتبة أهل البيت)، بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول في 1426هـ-إيران: 157.

(747) المصدر نفسه: 157.

(748) سورة الحمد: 2-3.

(749) ينظر: أنوار الربيع: 54/1.

وقد جاءت الصفة في معقد الآية الثالثة: > ﴿ ٣ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ﴾ وهي قراءة من قرأ ملك بمعنى الملك⁽⁷⁵²⁾ ((لأن في الإقرار له بالانفراد بالملك إيجاباً لانفراده بالملك وفضيلة زيادة الملك على المالك إذ كان معلوماً أن لا ملك إلا وهو مالك وقد يكون المالك لا ملكاً)).⁽⁷⁵³⁾ وفي هذه الصفة -ملك- إشارة إلى المعاد فهو تعالى: (مالك يوم الدين).⁽⁷⁵⁴⁾

ومن الأهمية بمكان في التحليل الأسلوبي رصد خلو معاهد الآيات الكريمة في سورة الحمد من حروف العطف - لاسيما بين الصفات-؛ وقد بدت السورة الكريمة سبيكة نفيسة بفعل استغنائها عن الربط بتلك الحروف؛ ((وقل ما تعطف صفات الله بعضها على بعض)).⁽⁷⁵⁵⁾

ويمكن توجيه ذلك أسلوبياً بكون معاني هذه الصفات متقاربة ومتماثلة: (رب، الرحمن، الرحيم، ملك)؛ فهذه الصفات تنتمي إلى مجال دلالي واحد هو (مجال الرحمة)؛ فالرابط بينها -الصفات- معنوي والرابط المعنوي أقوى من الرابط اللفظي؛ وقد أشار الزمخشري وأبو البقاء العكبري -فيما نقله الزركشي- إلى أنه يشترط في عطف الصفات اختلاف معانيها؛ وأن دخول العاطف يؤذن بأن كل صفة مستقلة⁽⁷⁵⁶⁾؛ قال الزركشي: ((والعطف أحسن إن تباعد معنى الصفات،

نحو > ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ﴾ و إلا فلا)).⁽⁷⁵⁸⁾

ومعقد الآية الرابعة هو ضمير المخاطب (إياك)؛ وتتكون الآية من تركيبين ضمناً إلى بعضهما عبر (الواو) العاطفة؛ والتركيبان متجانسان إذ إنهما يشغلان وفق الأنموذج النحوي:

الضمير (إياك) + فعل مضارع

كما أن هناك ترتيباً رائعاً للنسق القرآني في الآية؛ إذ إن تقديم التركيب (إياك نعبد) على التركيب (إياك نستعين) من قبيل تقديم السبب على المسبب ((فتقديم العبادة على الاستعانة تقديم للوسيلة قبل طلب الحاجة، وذلك أنجح في توقع حصولها)).⁽⁷⁵⁹⁾

إن تكرار الضمير (إياك) في الآية وتوفر التركيبين القرآنيين على (التجانس التركيبي) وضمهما إلى بعضهما بـ

(الواو) العاطفة؛ قد سبك الآية سبكاً رائعاً فكأنهما جملة واحدة؛ فقله تعالى: > ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ﴾

((مما علمهم جل ذكره أن [يقولوه] وبيدنا له بمعناه وذلك موصول بقوله: >

﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ﴾)).⁽⁷⁶⁰⁾

< ((760)).⁽⁷⁶¹⁾

وقد أضفت البنية النحوية نسقاً حسناً على السورة الكريمة؛ و((غالباً ما يمكن إيجاد الأثر الأسلوبي بإجراء تغيير بسيط في البنية النحوية))⁽⁷⁶²⁾؛ وفي سورة الحمد يتبدى التغيير في البنية النحوية من الآية الخامسة والآيات التي تعقبها؛ فبنية الاستهلال بنية اسمية وهي تفيد الثبات والدوام فهي تمجيد للمولى تعالى بصفاته وأسمائه الحسنی. بينما جاء بنية النص بعد الاستهلال (بنية فعلية) فهي تفيد التجدد في (نعبد، نستعين).

(750) سورة الحمد: 4.

(751) إعراب ثلاثين سورة: 34.

(752) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: 50/1.

(753) المصدر نفسه: 50/1.

(754) ينظر: أنوار الربيع: 54/1.

(755) جواهر الكنز: 290.

(756) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 446/2.

(757) سورة الحديد: 3.

(758) البرهان في علوم القرآن: 446/2.


(759) من بلاغة القرآن: 114.

(760) سورة الحمد: 2.

(761) جامع البيان في تفسير القرآن: مجلد 47/1.


(762) اللغة والخطاب الأدبي، مقالة جي. بي. ثرون، القواعد التوليدية والتحليل الأسلوبي، ترجمة سعيد الغانمي: 82.

أما معقد الآية الثالثة فقد عطف على الآية الثانية عبر (الواو) العاطفة؛ كما تضمنت الآية عطفاً بالفاء: (قدّر فهدى) أي ((قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به)).⁽⁷⁶⁷⁾

لقد توفرت الآيات الكريمة على حسن النسق وجودة السبك وذلك بتكرار الاسم الموصول لتفخيم وتعظيم وتقدير: >  (768).

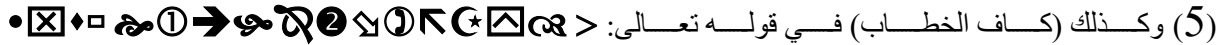
وارتبط معقد الآية الرابعة بالآية الثالثة وذلك بوساطة (الواو) العاطفة التي تفيد (مطلق الجمع)؛ وهي وإن كانت كذلك فإنها ((لا تصل جملة بأخرى، إلا إذا كان المعنى في إحدى الجملتين متصلاً بمعنى الجملة الأخرى، ومرتبباً به)).⁽⁷⁶⁹⁾

والعلاقة بين الآيتين واضحة جلية؛ فإن إخراج المرعى هو مما قدره المولى وهدى الحيوان للانتفاع منه؛ ((والإشارة إلى حياة النبات هنا توحى من طرف خفي، بأن كل نبات إلى حصاد وأن كل حي إلى نهاية ..)) وهي اللمسة

التي تتفق مع الحديث عن الحياة الدنيا والحياة الأخرى.. > 

والحياة الدنيا كهذا المرعى، الذي ينتهي فيكون غناء أحوى... والآخرة هي التي تبقى)).⁽⁷⁷¹⁾


وقد وهم ابن تيمية في توجيه سبب العطف في الآيات الأربع في صدر سورة الأعلى، إذ زعم أن العطف هنا من قبيل عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين.⁽⁷⁷²⁾

وإذا عدنا إلى السياقين الخارجي والداخلي فسنجد أن (كاف الخطاب) في صدر السورة عائدة على الرسول الكريم (5) وكذلك (كاف الخطاب) في قوله تعالى: > 

ف ((كان النبي [7] إذا أتاه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من الوحي حتى يتكلم النبي [7] بأوله، مخافة أن ينساه فأنزل الله (سنقرئك))⁽⁷⁷³⁾؛ هذا في السياق الخارجي؛ أما في السياق الداخلي -سياق النص-؛ فإن تغاير الصفات وتباينها يقتضي الإتيان لكل صلة بموصول وعطف كل صلة على ما يترتب عليها؛ فجاء الموصول الأول الذي خلق فسوى والثاني الذي قدر فهدى والثالث الذي أخرج المرعى.⁽⁷⁷⁴⁾

إن السياق القرآني الداخلي -في هذه الآيات- بصدد تقرير وتعدد صفات المولى بعد الأمر بتنزيه اسمه عز وجل؛ والتي هي في حقيقتها فيوضات إلهية على العباد؛ وبؤرة هذا المعنى هو المجيء بالواو كأنك تعد نعم الله نعمة تلو نعمة.

إنّ العطف في الآيات الكريمة ليس من قبيل عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين كما زعم ابن تيمية؛ وإنما هو من عطف الصفات على بعضها؛ والأنموذج الذي يمكن الاستعانة به لتوضيح فكرة عطف الشيء على نفسه هو قوله

تعالى: > 

الشيء على الشيء نفسه وتخصّصه بالذكر تفضيلاً.⁽⁷⁷⁵⁾ فالروح من الملائكة ومع ذلك عطف عليهم لأن العرب قد تعطف

وأفادت (الفاء) العاطفة في (فجعله) في الآية الخامسة؛ أفادت أنه سيعقب إنبات المرعى جعله بعد خضرته ورفيفه دريناً أسود.⁽⁷⁷⁷⁾

⁽⁷⁶⁷⁾ الكشف: مجلد 243/4.

⁽⁷⁶⁸⁾ سورة الأعلى: 1.

⁽⁷⁶⁹⁾ من بلاغة القرآن: 173.

⁽⁷⁷⁰⁾ سورة الأعلى: 16-17.

⁽⁷⁷¹⁾ في ظلال القرآن: مجلد 8/30: 134.

⁽⁷⁷²⁾ ينظر: الإيمان، تقي الدين ابن تيمية، ط2، 1392 هـ، المكتب الإسلامي: 169.

⁽⁷⁷³⁾ أسباب النزول (بهامش تفسير الجلالين)، جلال الدين السيوطي: د.ت، دار المعرفة، بيروت-لبنان: 795.

⁽⁷⁷⁴⁾ ينظر: النهر الماد (بهامش البحر)، أبو حيان الأندلسي، د.ت، مكتبة النصر الحديثة، الرياض: مجلد 457/8.

⁽⁷⁷⁵⁾ سورة القدر: 4.

⁽⁷⁷⁶⁾ ينظر: إعراب ثلاثين سورة: 154.

⁽⁷⁷⁷⁾ ينظر: الكشف: مجلد 243/4.

لقد سُبكت الآيات الخمس الأول سبكاً وذلك: بتكرار (الذي) في معاهد الآيات: (الثانية والثالثة والرابعة)؛ إن التكرار بطبيعته له قدرة فائقة على الربط؛ وذلك بإعادة العنصر المكرر غير مرة. وبوساطة (الفاء) في معقد الآية الخامسة، فصارت جملة واحدة أو كالجمله الواحدة.

ثم جاءت الآية السادسة لترتبط بالآية الأولى -ومن خلالها بالآيات الأربع التي تليها- بوساطة (كاف الخطاب) التي هي نفس كاف الخطاب في لفظ (ربك) في الآية الأولى والعائدة للرسول الكريم (5) ((ومناسبة سنقرئك لما قبله أنه لما أمره تعالى بالتسبيح وكان التسبيح لا يتم إلا بقراءة ما أنزل عليه من القرآن وكان يتذكر في نفسه مخافة أن ينسى فأزال عنه ذلك وبشره بأنه تعالى يقرئه وأنه لا ينسى)).⁽⁷⁷⁸⁾

وارتبطت الآية السابعة بالآية السادسة عن طريق أداة الاستثناء (إلا) فصارت الجملتان جملة واحدة: >

﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾⁽⁷⁷⁹⁾

وكذلك فإن > ﴿...﴾⁽⁷⁸⁰⁾ معطوف على (سنقرئك).

وفي الآية التاسعة أمر للرسول الكريم بالتذكير بعد أن أمر بالتسبيح في صدر السورة؛ وقد ارتبطت الآية-التاسعة- بما قبلها ب (فاء) العاطفة التي تفيد الترتيب والتعقيب؛ فالتذكير بعد التسبيح وبعد أن بشر الله تعالى رسوله بأن جبريل سيقراً عليه من الوحي مع كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب⁽⁷⁸¹⁾؛ كما تضمنت الآية أسلوب الشرط؛ وقد حذف جواب الشرط لدلالة ما قبل (إن)؛ فهذا ارتباط معنوي وثيق: فذكر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع.⁽⁷⁸²⁾

واتصلت الآيتان: العاشرة، والحادية عشرة بالآية التاسعة لأنهما بمثابة التفرع عليها؛ إذ بينت الآية العاشرة أن مَنْ يخشى سيذكر وأن الأشقى سيتجنب الذكر؛ ولذلك ارتبط معقد الآية الحادية عشرة (ويتجنبها) بالآية العاشرة عبر (الواو) العاطفة.

وضمت الآية الثانية عشرة إلى الآية الحادية عشرة عبر الصفة (الذي) العائدة للأشقى التي جاءت فاصلة للآية الحادية عشرة.

أما الآية الثالثة عشرة فقد ضمت إلى الآية الثانية عشرة عبر حرف العطف (ثم) ((لأن الترحج بين الحياة والموت أقطع من الصلي فهو متراح عنه في مراتب الشدة؛ والمعنى: لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه)).⁽⁷⁸³⁾ وترتبط الآية الرابعة عشرة بالآية العاشرة فهي كالانتميم لها فإن مَنْ يخشى هو مَنْ يتزكى؛ وضم معقد الآية الخامسة عشرة إلى الآية الرابعة عشرة عبر (الواو) العاطفة؛ وقد عطف الفعل (صلى) على الفعل (ذكر) بالفاء لأن الصلاة تعقب تذكر العبد لمعاده وموقفه بين يدي المولى.

وفي الآية السادسة عشرة نحن إزاء تعاقب سياقي ينتج فجوة أو ثغرة -بحسب المصطلح الأسلوبى-؛ إذ إن معقد الآية (بل) هو حرف إضراب؛ إذ إن وظيفته ترك غرض الكلام الأصلي والشروع في غرض آخر؛ أو بتعبير آخر الانتقال بالكلام من موضوع إلى موضوع آخر.⁽⁷⁸⁴⁾

فالكلام الذي قبل (بل) فيه الكثير من التذكير والموعظة والوعيد؛ ومع ذلك فإن البشر لا يتعظ ويؤثر الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

وقد دمجت الآية الأخيرة مع الآيات: > ﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾⁽⁷⁸⁵⁾

(778) البحر المحيط: مجلد 459/8.

(779) سورة الأعلى: 6-7.

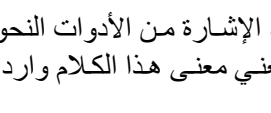
(780) سورة الأعلى: 8.

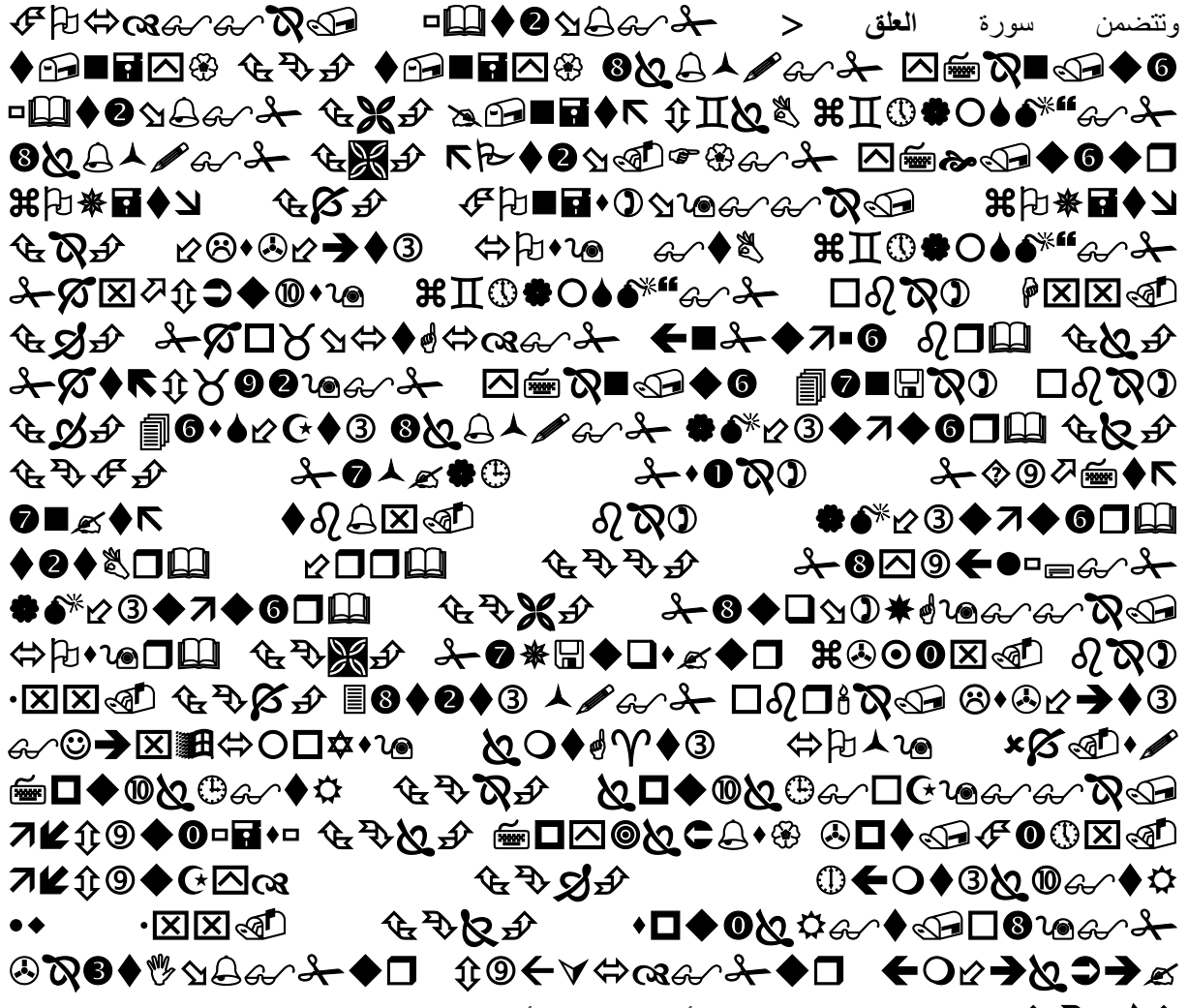
(781) ينظر: الكشف: مجلد 243/4.

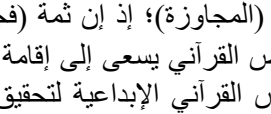
(782) ينظر: البرهان في إعراب آيات القرآن: مجلد 503/6.

(783) الكشف: مجلد 244/4.

(784) ينظر: إعراب ثلاثين سورة: 71، ومغني اللبيب: 112/1.

وتتضمن سورة العلق >  (785). عبر اسم الإشارة (هذا) لأن أسماء الإشارة من الأدوات النحوية التي تدمج الجمل (786)؛ يقول الزمخشري: ((هذا) إشارة إلى قوله قد أفلح إلى أبقى: يعني معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف. وقيل إلى ما في السورة كلها)) (787).



 < إضافة إلى الربط بالصفات؛ أساليب وتقنيات أخرى للربط مثل: (المجاورة)؛ إذ إن ثمة (فجوة) بين الأمر بالقراءة في مستهل السورة وبين قضية خلق الإنسان وتعليمه بالقلم؛ بيد أن النص القرآني يسعى إلى إقامة نوع من الاتصال والتناسق والتناسب في مقابل المسافة أو الفجوة السياقية؛ ومن تقنيات النص القرآني الإبداعية لتحقيق ذلك ما يصطلح عليه بلاغياً بـ (الترديد) وهو ((عبارة عن أن يُعلق المتكلم لفظة من كلامه بمعنى، ثم يردها بعينها معلقة بمعنى آخر)) (788).

إنَّ المسافة أو الفجوة ((تعني نوعاً من الانتقال المفاجئ وكسر التسلسل والاستمرارية في الأفكار مما يُؤلِّد مجالاً إيحائياً خصباً تشير عبره عناصر الحضور إلى عناصر الغياب)) (789).

- إنَّ الأمر بالقراءة في مستهل السورة ينبغي أن يفهم على مستويين:
- الأول- قراءة الحروف المرقنة في الكتاب العزيز؛ أي: قراءة الآيات القرآنية المكتوبة.
 - الثاني- قراءة الآيات الكونية المبنوثة في الأفق والأنفس؛ وهذا ما نفهمه من إلماعة الآية الكريمة؛ والاختيار الدقيق لصفة من صفات المولى الخالق البديع؛ والتعبير بالاسم الموصول: (الذي خلق)؛ لتقرير المعنى.

(785) سورة الأعلى: 14-17.

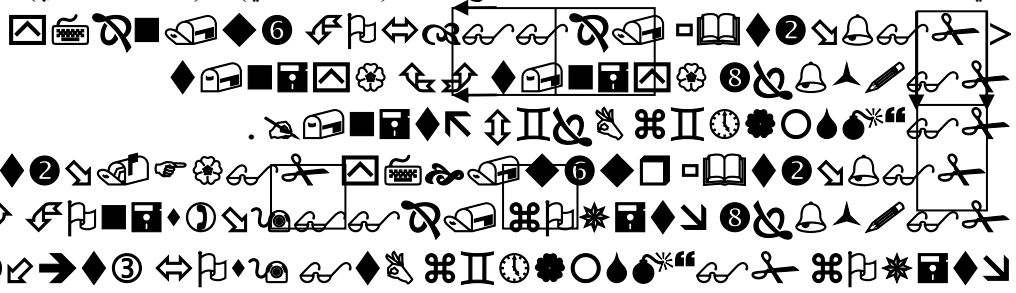
(786) ينظر: في النقد والنقد الألسني: 150.

(787) الكشاف: مجلد 245/4.

(788) أنوار الربيع: 355/3.

(789) النص القرآني من الجملة إلى العالم: 57.

لقد تحشدت في الآيات الخمس الأول في سورة العلق شتى أنواع الربط والتعالق؛ فقد شكل (الترديد) مهيمناً أسلوبياً؛ وفي هذه السورة الكريمة نحن إزاء ما يمكن أن نصلح عليه بـ (الترديد الأفقي)؛ و(الترديد العمودي):



ففي الآيتين الأولى والثانية نجد (الترديد الأفقي) وقوله تعالى: > ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ (790) < ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ (791) < ((تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض. ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان كما قال > ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ (792) < فقيل الذي خلق مبهماً ثم فسره بقوله خلق الإنسان تفخيماً لخلق الإنسان (ودلالة على عجيب فطرته)) (793)؛ أو هو تخصيص بعد التعميم إذ ((عم بقوله: (خلق) جميع مخلوقاته، ثم خص فقال: > ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ (794)) (795).

وفي معقد الآية الثالثة اشتغل (الترديد العمودي) عبر (اقرأ) ليربط هذه الآية بالآية الأولى؛ وفي هذه الآية -الثالثة- نجد دقة النسق القرآني في انتقاء صفة المولى تعالى: (الأكرم)؛ وكذلك انتقاء واو الاستئناف (796) في: (وربك الأكرم) لتستأنف وصفاً جديداً، والأكرم هو ((الزائد في الكرم على كل كريم فإنه ينعم بلا غرض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة)) (797).

ثم جاء التركيب القرآني: (الذي علم) في معقد الآية الرابعة ليربطها بالصفة التي هي فاصلة الآية الثالثة؛ وإنما عدل عن الحرف العاطف في الربط هنا لأن الصفات متماثلة؛ وفي ترديد (علم) ملحظ دلالي دقيق؛ إذ نلمح فيه أن الإنسان لا يحقق إنسانيته إلا بالعلم و((يتضمن مفهوم (العلم) في النص القرآني كل الموضوعات الماثلة في العوالم، فهناك عالم الإنسان وهناك عالم الطبيعة الكونية وهناك عالم ما وراء الواقع.. وهكذا والعلم أداة يجاوز الإنسان بها نقص وجوده)) (798). وارتبط معقد الآية السادسة: (كلا) بما قبله من الآيات؛ وهي وعيد لمن كفر بِنِعْمِ اللَّهِ الَّتِي بَيَّنَّتْهَا تِلْكَ الْآيَاتُ؛ وَضُمَّتْ الْآيَةُ السَّابِعَةُ إِلَى السَّادِسَةِ عِبْرَ الضَّمِيرِ فِي (رَأَى) الْعَائِدِ عَلَى الْإِنْسَانِ أَيْ أَنْ رَأَى نَفْسَهُ، وَكَذَلِكَ اِرْتَبَطَتِ الْآيَةُ الثَّامِنَةُ بِمَا قَبْلَهَا عَنْ طَرِيقِ كَافِ الْخَطَابِ فِي (رَبِّكَ) الْمَتَّجِاسَةِ مَعَ (كَافِ الْخَطَابِ) فِي الْآيَتَيْنِ: الْأُولَى، وَالثَّالِثَةِ. وَضُمَّ مَعْقِدُ الْآيَةِ الثَّامِنَةِ: (أَرَأَيْتَ) إِلَى مَا قَبْلَهُ عِبْرَ (التاء) الْعَائِدَةِ عَلَى النَّبِيِّ (5). (799). وارتبط معقد الآية التاسعة (عبداً) بالآية الثامنة لمجيئه مفعولاً به لـ (ينهي) فاصلة الآية الثامنة (800)؛ كما تضمنت الآية أسلوباً للشروط (إذا).

(790) سورة العلق: 1-5.

(791) سورة العلق: 2.

(792) سورة الرحمن: 1-3.

(793) الكشاف: مجلد 270/4.

(794) سورة العلق: 2.

(795) البرهان في علوم القرآن: 470/2.

(796) ينظر: البرهان في إعراب آيات القرآن: مجلد 525/6.

(797) أنوار التنزيل: 804.

(798) النص القرآني من الجملة إلى العالم: 141.

(799) ينظر: إعراب ثلاثين سورة: 149.

(800) ينظر: المصدر نفسه: 149.

وضمت الآية العاشرة إلى التاسعة عبر المعقد (أرأيت) الزائد للتوكيد⁽⁸⁰¹⁾؛ كما تضمنت الآية أيضاً أسلوباً للشرط عبر الأداة، (إن).

وعطفت الآية الحادية عشرة على الآية العاشرة بحرف العطف (أو) الذي يفيد التخيير.⁽⁸⁰²⁾ ثم تكررت (أرأيت) ثلاثة في معقد الآية الثانية عشرة لترابطها بالآية الحادية عشرة؛ وشكل تكرار أسلوب الاستفهام (تظافراً أسلوبياً).

وارتبطت الآية الخامسة عشرة بما قبلها بتكرار (كلا) والتي هي خطاب وعيد لأبي جهل⁽⁸⁰³⁾؛ وساهم ضمير الغائب في (ينته) في ربط الآية بسياق السورة؛ مع اشتغال الآية لأسلوب الشرط ب (إن).

وضمت الآية السادسة عشرة عبر معقدها (ناصية) والتي هي بدل من (الناصية) فاصلة الآية التي قبلها؛ وما بعد ذلك -في الآية السادسة عشرة- صفتان: كاذبة، خاطئة.

وارتبطت الآية السابعة عشرة عبر الضمير العائد على أبي جهل⁽⁸⁰⁴⁾؛ وهو الهاء في (ناديه). ثم فقدت الآية الأخيرة من السورة بما قبلها عبر تكرار أداة الزجر (كلا).

أما سورة الإخلاص > ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا يَأْتِيهِ السُّبْحُ وَلَا اللَّيْلُ يَلْبَسُ الْكِبْرِيَاءَ يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ وَيُؤْتِي مَا يَؤْتِيهِ الْغَيْبُ لَا يَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ بَلْ يُؤْتِيهِ الْغَيْبُ بِقَدَرٍ أَعْلَمُ بِالسَّيِّئَاتِ عَن قَوْلِهِمْ إِنَّهُمْ لَمُنْكَرُونَ بَلْ أَعْلَمُ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾

أسلوبياً بأنه (منبه) أو (مؤثر أسلوبي) يأتي في التركيب ليهدي المتلقي إلى أنّ ما بعده أمر ذو شأن؛ إذ يلي ضمير الشأن جملة (فعلية أو اسمية) هي الجملة المفسرة له؛ ويضفي هذا الضمير على السياق الذي يرد فيه مسحة جمالية تكمن في التنوع والتردد الأسلوبية من الإضمار إلى الإظهار أو من الإبهام -في الضمير- إلى التفسير؛ إذ إن ضمير الشأن لا مرجع له فليس ثمة إسناد فيه، فإنّه في حالات كهذه يؤدي المسند إليه دوره من خلال غيابه ذاته؛ وهو -ضمير الشأن- بطبيعته يُعبر عن ظواهر وقضايا شمولية.⁽⁸⁰⁵⁾

إن ارتباط ضمير الشأن بالجملة المفسرة له ارتباط معنوي وثيق؛ والجملة (الله أحد) لم تشمل على راجع أو عائد إلى ضمير الشأن (هو) لأنها هي هو⁽⁸⁰⁶⁾؛ (وذلك أن قوله -الله أحد- هو الشأن الذي (هو) عبارة عنه).⁽⁸⁰⁷⁾ والآية الثانية عبارة عن صفة وموصوف وقد ارتبطت هذه الآية بالآية الأولى من دون عاطف لأنها كالنتيجة للأولى والدليل عليها.⁽⁸⁰⁸⁾

أما الجمل الثلاث الأخيرة في السورة فقد ارتبطت بالعطف؛ ولعل سبب ذلك أن ((المراد منها نفي أقسام الأمثال فهي كجملة واحدة مُنبه عليها بالجملة))⁽⁸⁰⁹⁾ الثلاث.

أما سورة الناس فإن نسق الصفات الإلهية فيها يتوفر على دقة رائعة:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ اسْمَاءُ السُّمِّيَّاتِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْأَسْمَاءُ﴾

<⁽⁸¹⁰⁾؛ فقد جاء ترتيب الصفات مترقباً إلى الأعلى؛ إذ تصدرت الصفة (رب) ((لأن ربّ الشيء هو القائم بإصلاحه وتديب

(801) ينظر: الكشف: مجلد 4/271.

(802) ينظر: مغني اللبيب: 1/62.

(803) ينظر: الكشف: مجلد 4/271.

(804) ينظر: الكشف: مجلد 4/271.

(805) ينظر: اللغة العليا: 70.

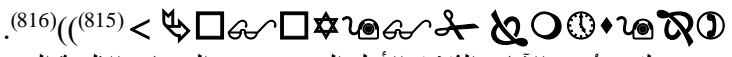
(806) ينظر: أنوار التنزيل: 814.

(807) الكشف: مجلد 4/298.

(808) ينظر: أنوار التنزيل: 814.

(809) المصدر نفسه: 814/30.

(810) سورة الناس: 1-3.

أمره، فنبه بتقديمه على ما ترتب من نعمه على الإنسان لما أنشأه ورباه، وهذا أولى أحواله⁽⁸¹¹⁾. وإنما بدأ تعالى بهذه الصفة لأن الرب قد يطلق على كثير من الناس، كأن يقال: فلان رب الدار⁽⁸¹²⁾ أي أن هذا المعنى مشترك. وجعل تعالى الوصف الثاني: (ملك الناس) لأنه تعالى أنعم على الإنسان بالعقل الذي ثبتت عليه ملكته له، فعلم الإنسان أنه عبد مملوك للمولى، وأن الذي بلغ به تلك الحال من حد الطفولية هو الذي يملكه وأمثاله⁽⁸¹³⁾؛ إضافة إلى ذلك فإن الملك لا يوصف به إلا خاصة الناس وهم الملوكة⁽⁸¹⁴⁾؛ أي أن هذه الصفة ليست مشتركة ولذلك جعلت ثانياً. ((ولما كان بعد ذلك تكليف العبادات التي هي حق الله تعالى على من عرّفه نفسه أنه عبد مملوك، وعرّفه أنه عز وجل خالقه، وتلزمه طاعته ليلتزم غاية التذلل لمن له أكبر الأنعام والتطول، جعل الوصف الثالث >  لقد ضُمت الآيات الثلاث الأولى التي تضمنت الصفات الإلهية إلى بعضها دون عاطف لأنها صفات متماثلة؛ وتعبير أسلوبية إن هذه الصفات تنتمي إلى حقل دلالي واحد هو (حقل الرحمة)؛ ولذلك فإن ارتباطها المعنوي أغنى عن الرباط اللفظي.

⁽⁸¹¹⁾ درة التنزيل وغرة التأويل: 537.
⁽⁸¹²⁾ ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي الكلبلي، محمول على قرص مدمج (D.V.D)، موسوم (مكتبة أهل البيت)، بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول، 1426 هـ، قم-إيران: 226/4.
⁽⁸¹³⁾ ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل: 537.
⁽⁸¹⁴⁾ ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: 226/4.
⁽⁸¹⁵⁾ سورة الناس: 3.
⁽⁸¹⁶⁾ درة التنزيل وغرة التأويل: 537.

خامساً- الاعتراض:

الاعتراض لغة واصطلاحاً

الاعتراض لغة:

يأتي الفعل (اعترض) بمعنى ((انْتَصَبَ وَمَنَعَ وَصَارَ عَارِضاً (...)) ويقال: اعترض الشيء دون الشيء، أي حال دونه))⁽⁸¹⁷⁾؛ فالاعتراض هنا يعني المنع والحيلولة دون الشيء؛ ((ويقال: جَعَلْتُ فلاناً عَرِضَةً لكذا وكذا أي نَصَبْتَهُ له؛ قال الأزهري: وهذا قريب مما قاله النحويون لأنه إذا نُصِبَ فقد صار معترضاً مانعاً))⁽⁸¹⁸⁾.

الاعتراض في الاصطلاح البلاغي:

حدّ الاعتراض ((أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى، بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة، فخرج الاحتراس (..) ومتى خلا عن نكتة سُمي حشواً، فلا يعد حينئذ من البديع، بل هو من المستهجن))⁽⁸¹⁹⁾. وهكذا فإن الدلالة اللغوية للاعتراض تقترب من دلالاته في الاصطلاح البلاغي والنحوي؛ كما ألمع الأزهري- إذ إنه في دلالاته اللغوية يعني الحيلولة دون الشيء؛ وفي دلالاته الاصطلاحية يعني الحيلولة دون إكمال المعنى.

نوعا الاعتراض:

نستفيد من هذا التعريف أنّ الاعتراض ضربان:

أ- الاعتراض البيني:

وفيه يدخل المُعْتَرِض بين عنصرين متلازمين مترابطين؛ وقد أحصى له ابن هشام بضعة عشر موضعاً⁽⁸²⁰⁾، وهو بذلك يعتمد تعريفاً نحوياً للجملة الاعتراضية: ((المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتسديداً أو تحسناً))⁽⁸²¹⁾. وقد جعل ابن هشام للاعتراض وظيفتين:

الأولى- (تقوية الكلام)، ف ((هو جار عند العرب مجرى التوكيد))⁽⁸²²⁾.

الثانية- (تحسين الكلام)؛ وهو -ابن هشام- يلمع هنا إلى الوظيفة الجمالية لأسلوب الاعتراض بفعل (السياق الأسلوبي) الذي يتوفر عليه و(انزياح) التركيب والدلالة من التقريرية والمباشرة إلى الأدبية؛ فالاعتراض بين المتلازمين يعدّ إجراءً أسلوبياً ناجعاً بفعل إيقافه لمدّ التتابع وتحطيمه للمتتابعات المتلازمة⁽⁸²³⁾.

ب- الاعتراض غير البيني:

ولا يُشْتَرَطُ فيه وقوع المُعْتَرِض بين جزئي جملة، ولا بين كلامين، بل يجوز وقوعه في آخر الكلام مطلقاً⁽⁸²⁴⁾؛ وذهب بعض المحدثين إلى أبعد من ذلك؛ إذ أدخل بعض النقاد- في مفهوم الاعتراض- أنماط التنويع في التنظيم النحوي للجملة؛ لاسيما دخول نوع جديد كدخول جملة فعلية ضمن منظومة متوالية من الجمل الاسمية⁽⁸²⁵⁾ مما ينتج عنه توليد سياق أسلوبي.

إنّ التعبير الاعتراضي ضرب من الإطناب؛ والإطناب لا يقدم معلومة؛ بيد أنه يوضح⁽⁸²⁶⁾؛ فالتعبير الاعتراضي إنما هو زيادة على سطح البنية الخارجية لغرض التوكيد الدلالي، ووضع المنجز التركيبي أمام المتلقي بشكل تصويري⁽⁸²⁷⁾.

وقد نبه ابن هشام إلى اختلاف مقاربة النحويين عن مقاربة البلاغيين في الاعتراض لاسيما حدّ الاعتراض

(817) لسان العرب: مادة (عرض).

(818) المصدر نفسه: مادة (عرض).

(819) أنوار الربيع: 136/5.

(820) يُنظر: معني اللبيب: 387/2 والصفحات التالية.

(821) المصدر نفسه: 386/2.

(822) الخصائص: 336.

(823) الشعريّة: 135.

(824) يُنظر: جواهر البلاغة: 230.

(825) يُنظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: 214.

(826) يُنظر: اللغة العليا: 232.

(827) يُنظر: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، د. عبد القادر عبد الجليل، ط1، 2002م-1422هـ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن: 381.

ومصطلحاته؛ وأنكر ابن هشام على أبي حيان الأندلسي سوء فهمه لمقاربات الزمخشري في هذا الباب؛ بل إنه وسمه بالجهل في هذا الفن؛ بسبب رؤيته النحوية الخالصة⁽⁸²⁸⁾؛ فتوهم ((أنه لا اعتراض إلا ما يقوله النحوي وهو الاعتراض بين شيئين متطالبين))⁽⁸²⁹⁾ وفقاً لقواعد النحو.

التعبير الاعتراضي في قصار السور:

ألمع ابن الأثير إلى شيوع التعبير الاعتراضي في القرآن الكريم⁽⁸³⁰⁾؛ ((وذلك في كل موضع يتعلق بنوع من خصوصية المبالغة في المعنى المقصود))⁽⁸³¹⁾. وفي المتن القرآني لدراستنا -قصار السور- نجد التعبيرات الاعتراضية ماثرة في ذلك المتن.

وهنا تبرز إشكالية؛ إذ كيف يمكن التوفيق بين اشتغال قصار السور على مبدأ (الاقتصاد الأسلوبي)؛ وبين اشتغالها على التعبيرات الاعتراضية والتي هي من تقنيات الإطناب في الخطاب الأدبي؟. يمكن توجيه ذلك أسلوبياً بأمرين:

الأول- إن هذه التعبيرات الاعتراضية غالباً ما تكون في غاية التكثيف والاختزال؛ أي أنها هي الأخرى تشتغل على (الاقتصاد الأسلوبي) بامتياز؛ وبالتالي فإن قصر هذه التعبيرات جعلها تشكل لمسات إبداعية رشيقة ماثرة في قصار السور دون أن تتمدد مساحتها بما يؤثر سلباً في سمة الإيجاز والتكثيف التي تتوفر عليها هذه السور.

الثاني- إن درجة هيمنة أسلوب الاعتراض في قصار السور- أقل بكثير من درجة هيمنة أساليب أخرى: كالحذف والتقديم والتأخير.*

تكمُن أهمية أسلوب الاعتراض في الخطاب القرآني في كونه يشكل مع غيره من الأساليب والتقنيات (توليداً وتوزيعاً أسلوبياً) يعث الجدة والحيوية ويكسر الرتابة والنمطية في الخطاب القرآني؛ تلك الرتابة التي ستظهر فيما لو أطرده الخطاب على أسلوب معين دون مزجه بغيره من الأساليب.

إن الخطاب القرآني يستثمر خصائص اللغة العربية الجمالية؛ إذ إنها تسمح عبر بنيتها الإعرابية-التركيبية- بدخول أي تعبير اعتراض في الكلام؛ ويستمر الاتصال-بين المبدع والمتلقي- ويبقى الخطاب مفهوماً لدى الأخير.⁽⁸³²⁾

في سورة الطارق وقع الاعتراض البيني بين القسم وجوابه وذلك في الآيتين الثانية والثالثة: >

﴿قُلْ لَيْسَ بِي كُفْرًا أَنْ أَسْأَلَ اللَّهَ فَرْدًا عَظِيمًا﴾

﴿قُلْ لَيْسَ بِي كُفْرًا أَنْ أَسْأَلَ اللَّهَ فَرْدًا عَظِيمًا﴾ <⁽⁸³³⁾؛ إذ إن جواب القسم⁽⁸³⁴⁾ هو قوله تعالى:

﴿قُلْ لَيْسَ بِي كُفْرًا أَنْ أَسْأَلَ اللَّهَ فَرْدًا عَظِيمًا﴾

<⁽⁸³⁵⁾.

بيد أننا لا ننفق مع أبي حيان الأندلسي الذي مدّ الاعتراض إلى الآية السابعة⁽⁸³⁶⁾؛ لأن ((الشأن في الجملة المعترضة أن تكون مختصرة، لأنها تدخل بين أجزاء الكلام فلا يتشard ولا تتباعد أطرافه بطولها))⁽⁸³⁷⁾؛ لاسيما في سورة الطارق القصيرة ذات السبع عشرة آية.

وقد أفاد هذا التعبير الاعتراضي التفخيم⁽⁸³⁸⁾ -أي تفخيم شأن هذا الطارق-.

(828) مغني اللبيب: 399/2.

(829) المصدر نفسه: 399/2.

(830) يُنظر: المثل السائر: 185/2.

(831) المصدر نفسه: 185/2.

(*) ولذلك فإن الاعتراض لم يشغل مساحة تتناسب مع مساحات بقية المباحث، وإذا كانت المنهجية الصارمة في البحث تقول بضرورة التناسب بين المباحث؛ فإن لخارطة النص الإبداعية؛ تضاريسها وتنوعاتها واشتراطاتها هي الأخرى؛ وعلى الباحث أن يوفق بين الاثنين؛ ولما كان ذلك كذلك فقد جاء مبحث الاعتراض مُعترضاً مقتضياً بين بقية المباحث كاقتراب الاعتراض نفسه.

(832) يُنظر: مقالنا المنشور في جريدة القادسية والموسوم (في جمالية التعبير الاعتراضي)، العدد 5775 في 1999/6/15.

(833) سورة الطارق: 2-3.

(834) يُنظر: إملاء ما من به المنان: 153/2.

(835) سورة الطارق: 4.

(836) يُنظر: البحر المحيط: مجلد 454/8.

(837) نسق الكلام في شعر زهير: 275.

(838) يُنظر: الكشف: مجلد 241/4.

وتكمن القيمة الأسلوبية لهذا الاعتراض في مفاجأته ل (أفق الانتظار) لدى المتلقي وذلك بكسره لبنية القسم المغلقة من خلال أسلوب إنشائي طلبى هو الاستفهام الذي تكرر مرتين مع خروجه في المرة الثانية: (ما الطارق؟) إلى التعجب. وفي سورة الأعلى نجد التعبير الاعتراضي البيني⁽⁸³⁹⁾ وقد جاء بين المتعاطفين:

﴿مَدِينَةٍ كَانَتْ تُعْبَدُ لِأَسْمَاءِ الْغَائِبَاتِ الَّتِي كَانَتْ تُعْبَدُ لِلْأَسْمَاءِ الْغَائِبَاتِ﴾⁽⁸⁴⁰⁾

إنَّ التعبير الاعتراضي هنا بمثابة تكميل للفائدة بين الجملتين المتلازمتين المتعاطفتين؛ ((وكان هذا تعليل لما مر في هذا المقطع من الإقرار والحفظ والاستثناء... فكلها ترجع إلى حكمة يعلمها مَنْ يعلم الجهر وما يخفى؛ ويطلع على الأمر من جوانبه جميعاً، فيقرر ما تقتضيه حكمته المستندة إلى علمه بأطراف الأمر جميعاً)).⁽⁸⁴¹⁾

أما في سورة الغاشية فقد وقع الاعتراض⁽⁸⁴²⁾ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي سُيُوفُ الْمُتَّقِينَ﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِي سُيُوفُ الْمُتَّقِينَ﴾⁽⁸⁴³⁾؛ ومعنى هذا الاعتراض ما عليك - يا رسول الله- إلا التذكير لا الغلبة والقهر⁽⁸⁴⁴⁾، وهو -الاعتراض- يفيد توكيداً للأمر الموجّه للرسول بالتذكير مع إضافة معنى جديد قريب من المعنى الأصلي ومتسق معه؛ فالأمر بالتذكير والتبليغ متنسق مع كون الرسول مبشراً ونذيراً وليس قاهراً غالباً؛ ولذلك جاء التعبير الاعتراضي المكوّن من آيتين مؤكداً بثلاثة توكيدات: الأول- توكيد ب (إنما) وهي أداة قصر تفيد توكيداً أشدّ مما تفيدُه (إن) وحدها.⁽⁸⁴⁵⁾ الثاني- توكيد بتقديم الجار والمجرور (عليهم).⁽⁸⁴⁶⁾ الثالث- توكيد بحرف الجر الزائد (الباء) في (بمسيطر).⁽⁸⁴⁷⁾

وفي سورة الفجر نحن إزاء ضرب رائع من الاعتراض بالرغم من طوله النسبي:

﴿لَيْسَ الْبِرُّ بِالْوَالِدَاتِ إِذَا وَالَيْنَّ وَبِالْوَالِدَاتِ إِذَا وَالَيْنَّ﴾⁽⁸⁴⁸⁾

(839) يُنظر: المصدر نفسه: مجلد 244/4.

(840) سورة الأعلى: 6-8.

(841) في ظلال القرآن: مجلد 8/30: 135.

(842) يُنظر: الكشاف: مجلد 248/4.

(843) سورة الغاشية: 21-22.

(844) يُنظر: تفسير ابن عربي: مجلد 401/3.

(845) يُنظر: دراسات قرآنية في جزء عمّ: 200.

(846) يُنظر: المصدر نفسه: 207.

(847) يُنظر: المصدر نفسه: 207.

الفصل الثالث المستوى الدلالي لقصار السور

- أولاً- الحقل الدلالي للوعيد.
- ثانياً- الاتساع الدلالي في جوامع
الكلم القرآني.
- ثالثاً- موضوعات قصار السور.

إن الفصل بين مستويات النص: الصوتية، التركيبية، الدلالية؛ في الدراسة الأسلوبية إنما هو خطوة إجرائية توضيحية تقتضيها منهجية البحث؛ وإلا فإن التواشج والتداخل بين الصوت والدلالة من جهة؛ والتركيب والدلالة من جهة أخرى من القوة بمكان؛ بحيث تصبح عملية الفصل هذه متعذرة؛ إذ إنَّ الدلالة في الخطاب الأدبي يتم إنتاجها بطريقة إبداعية تعتمد الإيحاء ورسم ظلال المعنى؛ نقيض ما يطرد في الكلام العادي الذي تكون الدلالة فيه تصريحية، مباشرة، تقريرية.

إنَّ الدلالة في النصوص الأدبية تتحدد وفقاً لشرطين:

الأول- داخل النص.

والثاني- خارجه.

فأما الأول- فيتمثل في أنَّ المعنى لا ينتج إلا في نطاق علاقة سياقية؛ أي أنَّ المعنى لا ينتج إلا بعد دخول المفردة في التركيبي؛ عندها تنتقل دلالة المفردة من الدلالة التواضعية الاصطلاحية أو اللغوية-التي يُعنى بها علم المعجم-؛ إلى الدلالة الحاقّة الإيحائية-التي يُعنى بها علم الدلالة-.

وأما الثاني- فهو أنَّ هذا المعنى لا يصبح دلالة إلا عندما يرتبط بالإحالة.

وبناءً على ذلك فإن الوظيفة الدلالية تتم أفقياً على مستوى علائقي سياقي، وعمودياً على مستوى مرجعي؛ وتحليل مثل هذه العلاقة يقتضي تسخير كل مستويات النص: الصوتية، التركيبية، الصرفية وهذا ما يهتم علم الدلالة بدراسته.⁽⁸⁵⁶⁾

ولما كان الجانب الدلالي هو الجانب الذي يهتم الأسلوبية؛ فإنها-الأسلوبية- تستثمر اختصاصات لسانية أخرى كعلم المفردات وهو علم يهتم بوحدة التسمية التي هي الكلمة أو المفردة؛ ويقوم هذا العلم ببحوث هائلة في مسار المرجع والتسمية؛ ومن ثم في مسار المعنى⁽⁸⁵⁷⁾؛ ومن المقولات والمصطلحات التي تستعيرها الأسلوبية من علم المفردات: الحقل الدلالي، والحقل المفرداتي.

والخطاب القرآني بوصفه آدب الخطابات الأدبية مطلقاً؛ ينطبق عليه ما وضحناه أنفاً من آلية إنتاج الدلالة؛ فالدلالة في قصار السور-كما رأينا في الفصلين السابقين- مبنوثة في داخل نصوص تلك السور لذلك طالما تناولنا قضايا دلالية في مقاربتنا للمستويين الصوتي والتركيبية؛ ونؤهنا-هناك- إلى التواشج بين المستويين الصوتي والدلالي؛ والمستويين التركيبية والدلالي.

أما في هذا الفصل فسنتناول ما فاتنا من قضايا الدلالة في الفصلين السابقين؛ فنتناول المباحث الآتية:

1- الحقل الدلالي للوعيد من خلال الحقل الدلالي لدركات النار.

(856) يُنظر: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث: 124-125.

(857) يُنظر: الأسلوبية؛ جورج مولينيه، ترجمه وقدم له د. بسام بركة، ط1، 1420هـ-1999م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت: 112.

2- الاتساع الدلالي في جوامع الكلم القرآني.

3- موضوعات قصار السور وندير البحث فيه على المجاز بوصفه تقنية إبداعية لإنتاج الدلالة.

أولاً- الحقل الدلالي للوعيد:

يهدينا الاستقراء على أن (الحقل الدلالي) المهيمن في قصار السور هو حقل الوعيد؛ ويعرف الحقل أو المجال الدلالي بأنه مجموعة من المفردات المرتبطة فيما بينها دلاليًا؛ بتعبير آخر أنها تنتمي إلى عائلة لغوية واحدة؛ وتوضع عادة تحت لفظ عام؛ ويُعدّ هذا اللفظ القاسم الدلالي المشترك بينها؛ ويتم تمثيل الحقل الدلالي في شكل ترصيعات منظمة، مثال ذلك (الحقل الدلالي) للألوان في العربية فإنه يضم: (أحمر، أزرق، أصفر، أخضر،...) (858)

إنّ الهدف من فكرة الحقل الدلالي هو الكشف عن صلات مفردات الحقل ببعضها أو تحليل التركيبية الدلالية للمفردة (859)؛ سنتناول في المبحث التالي أسماء النار ودركاتها بوصفها (الحقل الدلالي للوعيد) المهيمن في قصار السور.

- أسماء النار ودركاتها:

- النار الكبرى:

جاء ذكر النار الكبرى في سورة الأعلى؛ وذلك في قوله تعالى: >

﴿وَالنَّارُ الْكُبْرَىٰ ۖ وَسُورَةُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: >
 ﴿وَالنَّارُ الْكُبْرَىٰ ۖ وَسُورَةُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: >
 ﴿وَالنَّارُ الْكُبْرَىٰ ۖ وَسُورَةُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: >
 ﴿وَالنَّارُ الْكُبْرَىٰ ۖ وَسُورَةُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: >
 ﴿وَالنَّارُ الْكُبْرَىٰ ۖ وَسُورَةُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: >

فما هي الدلالات المشعة لتركيب المتساندين: (النار الكبرى)؟ لنوضح أولاً بعض دلالات الآيات: > ((أي سيذكر ويتعظ بالقرآن مَنْ في قلبه شيء من خشية الله وخوف عقابه)) (861)؛ والضمير في قوله تعالى: > والمراد بالأشقى -بقرينة المقابلة- من ليس في قلبه شيء من خشية الله (862)؛ ف ((الأشقى المبالغ في الشقاوة لأن الكافر بالرسول [5] هو أشقى الكفار كما أن المؤمن به وبما جاء به هو أفضل ممّن آمن برسول قبله)) (863).

أما الدلالات المشعة للتركيب القرآني: > فتكمن في:

(858) يُنظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط1، 1402هـ-1982م، مكتبة العروبة للنشر والتوزيع، الكويت: 79. والأسلوبية: 114-115.
 (859) ينظر: المرجع نفسه: 115.
 (860) سورة الأعلى: 10-13.
 (861) تفسير الميزان: 269/20.
 (862) ينظر: المرجع نفسه: 279/20.
 (863) البحر المحيط: مجلد 459/8.

أ- التعبير بـ (الكبرى) والتي هي على زنة فُعلَى؛ ((قال الفراء: الكبرى السفلى من أطباق النار، وقيل نار الآخرة تتفاضل ففيها شيء أكبر من شيء))⁽⁸⁶⁴⁾، فإذا كانت النار دركات فإن (النار الكبرى) هي الدرك الأسفل منها؛ وهي أشدها عذاباً.

وهذه النار (كبرى) من وجوه: منها: أنه ليس هناك نار أكبر منها فقد جاء عن الرسول (7) قوله: ((ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم أو ما في الدرك الأسفل منها))⁽⁸⁶⁵⁾؛ ولللفظ الكبرى في هذا السياق القرآني الزاجر دلالات مشعة فـ ((النار الكبرى هي نار جهنم. الكبرى بشدتها، والكبرى بمدتها، والكبرى بضخامتها... حيث يمتد بقاؤه [الأشقى] فيها ويطول، فلا هو يموت فيجد طعم الراحة، ولا هو يحيا في أمن وراحة؛ إنما هو العذاب الخالد، الذي يتطلع صاحبه إلى الموت كما يتطلع إلى الأمانة الكبرى))⁽⁸⁶⁶⁾.

ب- إن هذا التركيب القرآني: (النار الكبرى) قد ورد قبله الفعل: (يصلى) ((يقال: صَلِي فلان النارَ يَصِلِي صَلِيًا وَصَلِيًّا فهو صَلَالٍ، والمفعول به مَصَلِيًّا. وَأَتَى النَّبِيَّ [5] بِشَاةٍ مَصَلِيَّةٍ أَيْ مَشْوِيَّةٍ))⁽⁸⁶⁷⁾؛ فالفعل (يصلى) فيه دلالة الشّيِّ والإنضاج. فما أصبر الأشقى على هذه النار الكبرى! كما تكمن الدلالات المشعة لهذا التركيب: (النار الكبرى)، في إسناد صفة (الكبرى) إلى (النار)، إذ أضفى هذا الإسناد دلالة مفتوحة على التعبير القرآني تجعل المتلقي يطلق العنان لخياله في تصور هذه النار الكبرى؛ فهي نار كبرى سجّرها جبار السموات والأرض لهذا الأشقى التعيس؛ وقد استقرأت المواضع القرآنية التي ورد فيها ذكر النار فلم أجد الاستعمال القرآني يسند للنار صفة (الكبرى) إلا في سورة الأعلى⁽⁸⁶⁸⁾؛ وهذا الملحظ يجعل دلالة (النار الكبرى) دلالة متسعة؛ فهي كبرى بخلودها، بضخامتها، بأوارها ولهبها؛ وهي سفلى فهي أسفل دركات النار إنها هُوّةٌ سحيقة، وغير خافٍ أن سفلية المكان فيها دلالة الإهانة والتحقير والنبذ؛ بينما تحمل علوية المكان دلالة التكريم ولذلك فإن القرآن غالباً ما يعبر عن راحة المؤمنين ودعتهم بأنهم في (الغرفات) آمنين، والغُرْفَةُ لا تطلق في العربية إلا على الحجرة التي في الطبقات العليا التي تلي الطبقة الأولى وهي عُليّة البناء⁽⁸⁶⁹⁾ فتأمل رفعة درجات الجنة وشرفها ووضاعة دركات النار وهوانها.

- النار الحامية:

يرد ذكر النار الحامية في استهلال سورة الغاشية:

◀ ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ▶

① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

تَكَادُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةَ: < ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ >

(864) ينظر: المصدر نفسه: مجلد 459/8.

(865) أنوار التنزيل: 795.

(866) في ظلال القرآن: مجلد 8/ج30: 141.

(867) إعراب ثلاثين سورة: 70.

(868) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (نور).

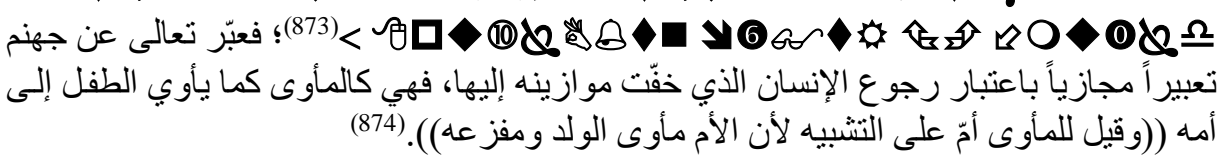
(869) ينظر: المفردات: مادة (غرف).

(870) سورة الغاشية: 4-1.

تكون المحور الأساس الذي ارتكز عليه العنصران السابقان: (وجوه يومئذ خاشعة) و(عاملة ناصبة)، وذلك إنه من الجدير أن يكون مَنْ في النار ذا وجه ذليل، ويكون منهكاً متعباً.⁽⁸⁷¹⁾

إنّ التعبير القرآني يتدرج في الوعيد إذ ذكر أولاً خشوع وخنوع هذه الوجوه، ثم ذكر (نارا) بعد تصلى لزيادة التهويل وليجري على (نارا) وصف (حامية).⁽⁸⁷²⁾

إنّ وصفه تعالى للنار بأنها حامية يفيد دلالة شدة حرّها وتوقدها، إذ إن الحمي من صفات النار؛ بيد أن علاقة الإسناد في تركيب المتساندين (ناراً حامية)، أفادت شدة توقد هذه النار فهي في غاية الحرارة؛ وهكذا فالتعبير بصيغة المتساندين -الموصوف وصفته- أبلغ في الدلالة على شدة حرارة النار؛ وأكثر وقعاً في نفس المتلقي وذلك لما تتضمنه من وعيد ضمني.

وجاء ذكر النار الحامية ثانية في سورة القارعة: >  وجاء ذكر النار الحامية ثانية في سورة القارعة: >  تعبيراً مجازياً باعتبار رجوع الإنسان الذي خفّت موازينه إليها، فهي كالمأوى كما يأوي الطفل إلى أمه ((وقيل للمأوى أمّ على التشبيه لأن الأم مأوى الولد ومفرعه)).⁽⁸⁷⁴⁾

وإذا كانت النار لا تكون إلا حامية؛ فما النكته في إسناد (حامية) إلى (نار)؛ وما هو الملحظ الدلالي في استعمال تركيب المتساندين في هذا السياق المتوعد؟ إنّ الحامية الحارّة. حَمَيْتْ تَحْمَى حَمِيًا فهي حامية. قال الله تعالى: >  حَمِيًا فهي حامية. قال الله تعالى: > 

- النار المؤصدة:

لقد جاءت النار نكرة في خاتمة سورة البلد: >  والتعظيم؛ ((و(عليهم) متعلق بـ (مؤصدة) وقدم على عامله للاهتمام بتعلق الغلق عليهم تعجيلاً للترهيب)).⁽⁸⁷⁸⁾

وفي هذا التعبير القرآني المتوعد نجد إن إسناد الإيصاد والإطباق إلى النار في تركيب المتساندين: (نار مؤصدة)؛ قد أفاد دلالة التضييق في المكان فالنار زلزانة قد أوصدت أبوابها؛ وهذه المفارقة بين انفتاح فضاء الجنة التي عرضها السموات والأرض؛ وانقباض النار وضيقها هي إحدى الفروق الشاسعة بينهما. وقد جاء ذكر النار المؤصدة في خاتمة سورة الهمزة:

(871) ينظر: دراسة بعنوان الإجمال والتفصيل في القرآن: 22.

(872) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، 1984، تونس: 296/30.

(873) سورة القارعة: 8-11.

(874) الكشاف: مجلد 280/4.

(875) سورة الكهف: 86.

(876) ينظر: إعراب ثلاثين سورة: 177.

(877) سورة البلد: 19-20.

(878) التحرير والتنوير: 363/30.

> ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ < (879)

- النار المتظلية:

أما النار المتظلية فقد ورد ذكرها في سياق الوعيد والندير في سورة الليل:

> ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ < (880)

اللظى في العربية اللهب الخالص⁽⁸⁸¹⁾، أما الصلّي فأصله لإيقاد النار ((ويقال صلّي بالنار وبكذا أي يُلّي بها وصلّيْتُ الشاة، شَوَيْتُها وهي مَصْلِيَّةٌ))⁽⁸⁸²⁾.

ويختص الصلي والتصلية، في التعذيب بالنار ومقاساة حرها ولهيبها ((وبهذا كله نستأنس في فهم (لا يصلها إلا الأشقى)، فلا يكون بمعنى الاصطلاء الذي يحمل دلالة الاستدفاء وإنما هو الصلي بمعنى الشّي والتعذيب باللهب المُستعِر في الجحيم))⁽⁸⁸³⁾. وقد استعمل التعبير القرآني صيغة الفعل المضارع (تَلْظِي) وفيها دلالة التجدد.

- نار جهنم:

جاء ذكر (نار جهنم) في سورة البينة وذلك في قوله تعالى:

> ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊊ ㊋ ㊌ ㊍ ㊎ ㊏ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ < (884)

جاء في لسان العرب نقلاً عن الجوهري: ((جهنم من أسماء النار التي يعذب الله بها عباده (...)) ويقال: هو فارسي معرّب. الأزهري: في جهنم قولان: قال يونس بن حبيب: وأكثر النحويين: جهنم اسم النار التي يعذب الله بها في الآخرة، وهي أعجمية لا تُجرى للتعريف والعجمة، وقال آخرون جهنم عربيّ سمّيت نار الآخرة بها لبُعْد قَعْرِها. وإنما لم تُجر [أي منعت من الصرف] لِثَقَلِ التعريف وثقل التأنيث))⁽⁸⁸⁵⁾. وقال ابن خالويه: ((يقال في أسماء جهنم سَقْرٌ، وجَهَنَمٌ، والجحيمُ ولَظْيٌ، نعوذ بالله منها. وهذه الأسماء معارف لا تنصرف للتأنيث والتعريف (...)) قال ابن دريد: جهنم اسم أعجمي، وكان الأصل جَهَنَام. فأما الجَهَنم فإنه الغليظ يقال: وَجَهُ جَهَنم))⁽⁸⁸⁶⁾.

(879) سورة الهمزة: 8-9.

(880) سورة الليل: 14-15.

(881) ينظر: المفردات: مادة (لظي).

(882) المصدر نفسه: مادة (صلي).

(883) التفسير البياني: 113/2-114.

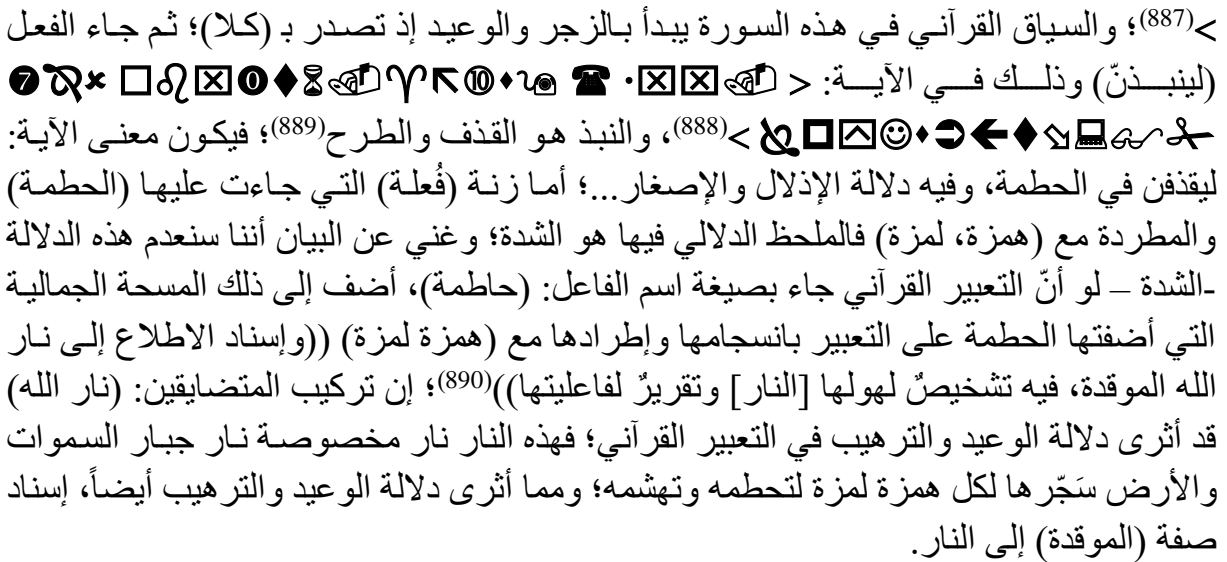
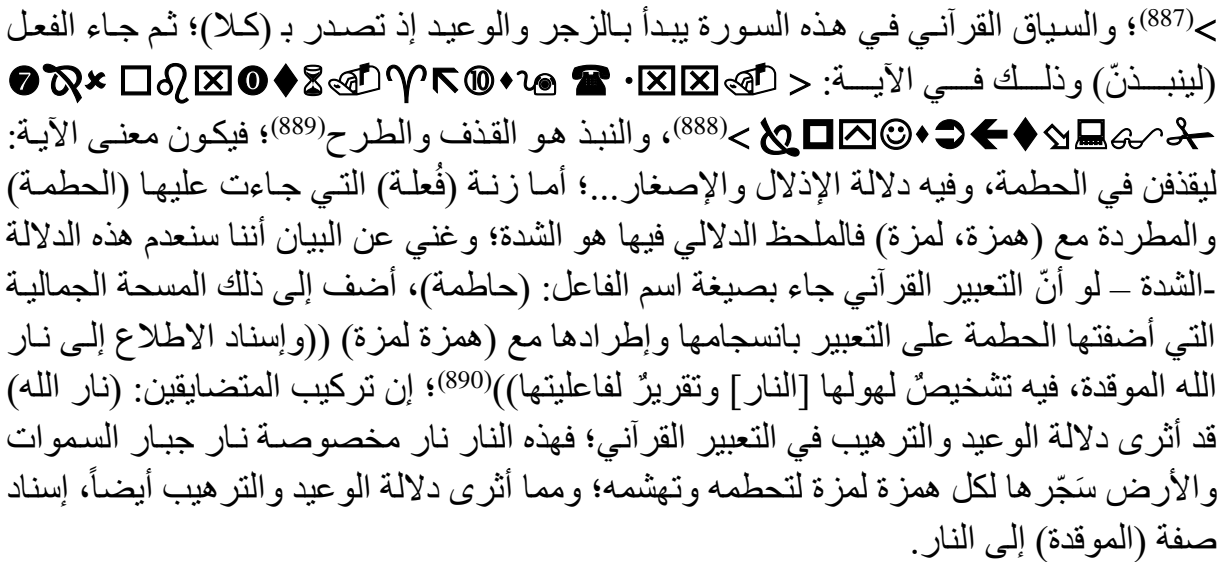
(884) سورة البينة: 6.

(885) لسان العرب: مادة (جهنم).

(886) إعراب ثلاثين سورة: 122-123.

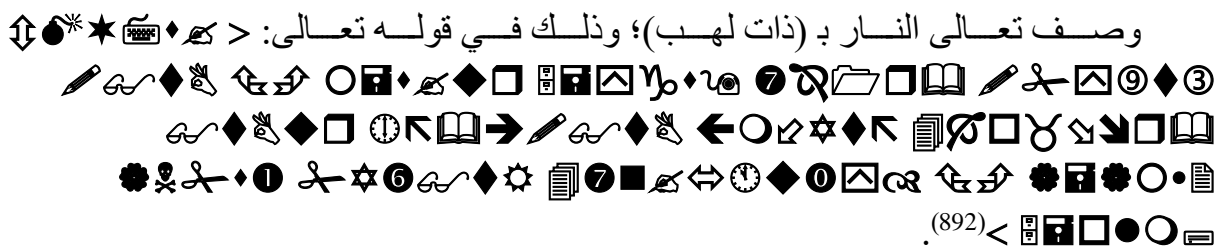
- نار الله الموقدة:

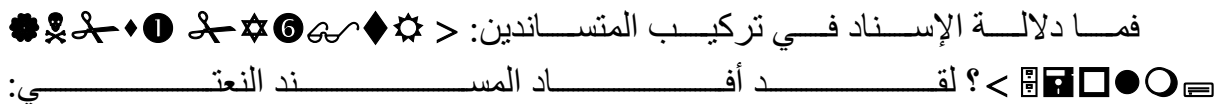
جاء ذكر النار الموقدة في سورة الهمزة؛ وذلك في قوله تعالى: > 

<(887)؛ والسياق القرآني في هذه السورة يبدأ بالزجر والوعيد إذ تصدر بـ (كلا)؛ ثم جاء الفعل (لينبذن) وذلك في الآية: >  (لينبذن) وذلك في الآية: > ، والنبذ هو القذف والطرح(889)؛ فيكون معنى الآية: ليقذفن في الحطمة، وفيه دلالة الإذلال والإصغار...؛ أما زنة (فُعلة) التي جاءت عليها (الحطمة) والمطرده مع (همزة، لمزة) فالملحظ الدلالي فيها هو الشدة؛ وغني عن البيان أننا سنقدم هذه الدلالة -الشدة - لو أنّ التعبير القرآني جاء بصيغة اسم الفاعل: (حاطمة)، أضف إلى ذلك المسحة الجمالية التي أضفتها الحطمة على التعبير بانسجامها وإطرادها مع (همزة لمزة) ((وإسناد الاطلاع إلى نار الله الموقدة، فيه تشخيصٌ لهولها [النار] وتقريرٌ لفاعليتها)) (890)؛ إن تركيب المتضايقين: (نار الله) قد أثرى دلالة الوعيد والترهيب في التعبير القرآني؛ فهذه النار نار مخصوصة نار جبار السموات والأرض سجّرها لكل همزة لمزة لتحطمه وتهشمه؛ ومما أثرى دلالة الوعيد والترهيب أيضاً، إسناد صفة (الموقدة) إلى النار.

ومن الدلالات المشعة التي أفادها إسناد صفة (الموقدة) إلى النار؛ شدة توقدها وتوهجها، بحيث يكون ضم غيرها إليها كضم النزر إلى الوفير الكثير؛ ((والموقدة وزنها مُفَعلة من أَوْقَدْتُ أَوْقَدُ إيقاداً. فأنا مُوقِدٌ والنارُ مُوقِدةٌ، وقد وَقَدتِ النارُ نفسها تَقْدُ وَقْداً وُوقُوداً)). (891)

- النار ذات اللهب:

وصف تعالى النار بـ (ذات لهب)؛ وذلك في قوله تعالى: > 

فما دلالة الإسناد في تركيب المتساندين: >  لعد أقساد المسند ند النعت ي:

(887) سورة الهمزة: 5-9.

(888) سورة الهمزة: 4.

(889) ينظر: المفردات: مادة (نبذ).

(890) التفسير البياني: 178/2.

(891) إعراب ثلاثين سورة: 198.

(892) سورة اللهب: 1-3.

< ① ◆ ♠ ♣ ♤ ♥ ♦ ♧ ♨ ♩ ♪ ♫ ♬ ♭ ♭♭ ♭♯ ♭♭♭ ♭♭♭♯ ♭♭♭♭ ♭♭♭♭♯ ♭♭♭♭♭ ♭♭♭♭♭♯ ♭♭♭♭♭♭ ♭♭♭♭♭♭♯ ♭♭♭♭♭♭♭ ♭♭♭♭♭♭♭♯ ♭♭♭♭♭♭♭♯ ♭♭♭♭♭♭♭♭ ♭♭♭♭♭♭♭♭♯ ♭♭♭♭♭♭♭♭♯ ♭♭♭♭♭♭♭♭♯ >

درجات جهنم وهي التي يصلها هذا المشترك -أبو لهب-؛ وقد ورد وصفها في سورة أخرى: >

① ◆ ♠ ♣ ♤ ♥ ♦ ♧ ♨ ♩ ♪ ♫ ♬ ♭ ♭♭ ♭♯ ♭♭♭ ♭♭♭♯ ♭♭♭♭ ♭♭♭♭♯ ♭♭♭♭♭ ♭♭♭♭♭♯ ♭♭♭♭♭♭ ♭♭♭♭♭♭♯ ♭♭♭♭♭♭♭ ♭♭♭♭♭♭♭♯ ♭♭♭♭♭♭♭♯ ♭♭♭♭♭♭♭♭ ♭♭♭♭♭♭♭♭♯ ♭♭♭♭♭♭♭♭♯ ♭♭♭♭♭♭♭♭♯

الذي؛ فوهم في توجيه الصفة: (ذات لهب) إلى الموصوف: (نارا)؛ إذ يقول: ((ووصف النار ب

(ذات لهب) لزيادة تقرير المناسبة بين اسمه وبين كفره إذ هو أبو لهب والنار ذات لهب)).⁽⁸⁹⁴⁾

وغني عن البيان؛ إننا لو أسقطنا المسند من التعبير القرآني لعدمتنا تلك الدلالة؛ -دلالة شدة توقد النار وشدة سجرها-؛ فالنار ذات اللهب هي نار لم يخب جمرها ولم تنطفئ جذوتها؛ وبالتأكيد فإنّ التعبير بالنار ذات اللهب أقوى من التعبير بالنار مجردة. إذ أوحى هذا التعبير القرآني بأن هذه النار متوقدة متوهجة ملتهبية؛ كما أفاد تنكير (لهب) أفاد تفخيماً وتهويلاً.

وهكذا أجاد القرآن الكريم في تصوير النار عبر دلالات أسمائها وظلال المعاني التي أثارها هذه الأسماء بما يبعث الرهبة في نفس المتلقي؛ والخوف من أن يكون المصير إليها؛ فيتهاها بالعمل الصالح وبخشية الله وتقواه.

لقد جاءت أسماء النار ودرجاتها في سياقات وعيد ونذير، ولجأ الأسلوب القرآني غير مرة إلى تركيب الموصوف -النار- وصفته؛ فقد وصف النار بأوصاف تملأ النفس خوفاً وهلعاً من هذه النار التي وصفها مرة بأنها كبرى...، ووصفها مرة بأنها حامية؛ ووصفها مرة أخرى بأنها مؤصدة لكي يؤكد بأن ساكنها في ضيق وشدة.

((وكانى بأهل النار يرسّ بعضهم رساً إلى جوار بعض، ولا يكادون يجدون متسعاً للحركة ولا الانتقال، ويزيد من ضيقهم أنهم مقيدون في السلاسل، مقرونون في الأغلال، يسحبون على وجوههم ويلقون في النار...) وليس ذلك لضيق في النار، ولكن للتضييق على ساكنيها، أما النار فتنسج لأكثر من داخلها)).⁽⁸⁹⁵⁾

(893) سورة المرسلات: 32.

(894) التحرير والتنوير: 605/30.

(895) من بلاغة القرآن: 305.

المذموم من المقال، فما دعا إلى الملل، وجاوز المقدار، واشتمل على الإكثار، وخرج من مجرى العادة (...) وإلى هذا ذهب من عدّ الإكثار عيا، والإيجاز بلاغة))⁽⁹⁰⁴⁾.

ويُقسم ابن الأثير جوامع الكلم على ضربين:

الأول- ألفاظ تتضمن من المعنى ما لا تتضمنه أخواتها مما يجوز أن يستعمل بديلاً عنها⁽⁹⁰⁵⁾.

الثاني- ويتمثل بجوامع الكلم، المراد به الإيجاز الذي يُدلّ به بألفاظ قليلة على معانٍ كثيرة⁽⁹⁰⁶⁾.

ويُفرق ابن الأثير بين الضربين بأن الضرب الأول ذا ألفاظ أفراد في حسنها ولا نظير لها ((فتارة تكون موجزة، وتارة لا تكون موجزة، وليس الغرض منها الإيجاز، وإنما الغرض مكانها من الحسن الذي لا نظير لها فيه))⁽⁹⁰⁷⁾.

وباستعمال المصطلحات الأسلوبية نقول: إن جوامع الكلم ألفاظ أو تراكيب مأسلية وذلك إذا تبيننا تعريف الأسلوب باعتبار مقولة الاختيار -حسب رومان جاكوبسون-⁽⁹⁰⁸⁾.

إنّ جوامع الكلم هي شفرات مشحونة بالدلالات المتسعة المعبّرة؛ وإذا كان المبدع يتولى عملية التشفير؛ فإن على المتلقي فك ذلك التشفير. وقد صنف البلاغيون القدامى جوامع الكلم ضمن إيجاز القصر؛ وأسلوب الإيجاز يعتمد ((في بنائه الخارجي، والداخلي على قدرة المنشئ في التعامل مع الوحدات اللغوية دون الإخلال في توازن النواتج الدلالية، على المستويين السطحي، والعميق عن طريق ثنائية عدم التوازي (النقص والزيادة) في سياق النص المنتج، وتجاوز حالات السلب في الصياغات التقريرية النمطية، وتوجيهها إلى المتلقي، الذي يتميز في دائرة الإيجاز بالتمكن والذكاء))⁽⁹⁰⁹⁾.

وفي نوع بديعي أسمّاه ابن معصوم (الاتساع) يعقد مبحثاً على (جوامع الكلم) وهو وإن لم يُصرح بهذا المصطلح في هذا المبحث فإنّ تعريفه له ينطبق عليه؛ إذ عرّف الاتساع بقوله: ((هذا النوع عبارة أن يأتي المتكلم في كلامه نثراً كان أو نظماً بلفظ فأكثر يتسع فيه التأويل بحسب ما يحتمله من المعاني))⁽⁹¹⁰⁾، ويورد ابن معصوم نماذجاً قرآنية وشعرية في هذا الباب⁽⁹¹¹⁾.

ومن المهم أن نشير إلى أننا لا نعني بالاتساع هنا المصطلح الأسلوبي الذي يُعبر عنه بمرادفات من قبيل: (الانحراف، الانزياح، الانتهاك، الانعطاف، التجاوز)؛ والمقابل للمصطلح الأجنبي (Deviation)؛ وإنّ لنا تحفظنا على اختيار هذه المفردة لمعادلة المصطلح الأجنبي لأنّ مرجعياتها البلاغية وتعالقاتها لا تعني ما يعنيه المصطلح الأجنبي.*

(904) رسائل الجاحظ (5)، رسالته في البلاغة والإيجاز، ط 1، 2005، دار نوبليس: 936.

(905) يُنظر: المثل السائر: 51/1.

(906) يُنظر: المصدر نفسه: 51/1.

(907) المصدر نفسه: 52/1.

(908) يُنظر: الأسلوبية والأسلوب: 62.

(909) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: 360.

(910) أنوار الربيع: 53/6.

(911) يُنظر: المصدر نفسه: 56/6-57.

(* ثمة باحثون يستعملون مفردة (الاتساع) لمعادلة مصطلح الانزياح؛ منهم على سبيل المثال: توفيق الزبيدي، ود.علي كريم الكواز.

يُنظر على التوالي: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث: 86؛ والأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: 355.

تقوم مقاربتنا لجوامع الكلم القرآني على منهج التأويل الأدبي لهذا الكلم-النصوص؛ وذلك بالاعتماد على نظرية التلقي التي تمنح المتلقي أهمية خاصة في التلقيب عن المعنى مستندة في ذلك إلى الفلسفة الظاهرانية التي ترى بأن للمدرك أهمية كبيرة في إدراك أية ظاهرة بما في ذلك الأدب بوصفه ظاهرة لغوية.

إن سياقات جوامع الكلم القرآني سياقات أدبية عالية ولذلك فمعيار قراءتها يجب أن يراعي ذلك؛ أي أن معيار قراءتنا لهذه التقنية الأسلوبية ينبغي أن يكون معياراً نقدياً يسمح بتحليلها ومقاربتها وسبر أسرارها وخبايها الجمالية والدلالية.

إن هذه التقنية تُحيل النص القرآني إلى نص أو أثر (مفتوح) إذا استعملنا مصطلح إيكو⁽⁹¹²⁾؛ إذ يفتح النص القرآني على قراءات متعددة ومتنوعة تمنحه الخصب والثراء الدلالي.

وعدم تحديد الدلالة -في جوامع الكلم القرآني- وترك المتلقي هو الذي يعثر عليها يجعل النص القرآني نصاً مكتنزاً بالدلالات المتسعة المتجددة؛ وبذلك يكون القرآن الكريم فعلاً المعجزة الخالدة للرسالة الخالدة؛ وينبغي أن لا يفهم من كلامنا أننا ندعو إلى فتح النص القرآني على لانهاية من القراءات لكل من هب ودب.

إن مقاربتنا لـ (جوامع الكلم القرآني) هي مقارنة موضوعية ومنهجية؛ تستثمر مبادئ ومقولات نظرية التلقي والتأويل الحديثة؛ كما تستثمر مقولات علم النص فالمؤول -بحسب هذا العلم- يُعنى بالتحليل الدلالي لكشف الأبنية الدلالية الكامنة في أعماق النص.

إن مقاربتنا غير مُنبئة عن مرجعياتنا التراثية إذ إنها تعتمد التفسير الإشاري ذلك التفسير الـ ((مرتبط بإشارة النص وهي الدلالة التي يمكن استنباطها من نسج النص أو اشتقاقه لبعض كلماته))⁽⁹¹³⁾؛ إن التفسير الإشاري وثيق الصلة بالنص القرآني مشدود إليه؛ وقد اعتمده المفسرون القدامى منهجاً في تفسير النص القرآني.

ولرب سائل يسأل: ما بالك تجرؤن على فتح النص القرآني على قراءات كثيرة؟؛ والجواب على ذلك: إن لدينا ما يسوغ فتح النص القرآني؛ إذ إن للنص مستويات متعددة، تعدد قراءاته⁽⁹¹⁴⁾ كما أن جوامع الكلم القرآني التي نتناولها بالقراءة التأويلية لا يترتب عليها أمر عقيدة أو عمل -شأنها شأن الاستهلالات القرآنية المعجمة- إذ لم ترد في سياق خطاب للمكلفين حيث لم ترو في القرآن الكريم آيات من قبيل: يا أيها الناس والعصر؛ أو يا أيها المؤمنون والفجر⁽⁹¹⁵⁾.

ومن مسوغاتنا أيضاً في اعتماد القراءة التأويلية أن هذه القراءة هي الوحيدة القادرة على اختراق سطح النص والنفوذ إلى عمقه لاستخراج وجوه الدلالية؛ وقد وصف أمير المؤمنين علي (B) القرآن بأنه حَمَل ذو وجوه⁽⁹¹⁶⁾.

إن القرآن خليق وجدير بمنهج التأويل الأدبي فالمؤول الأسلوبية يتناول نصاً جديراً بالتحليل الأسلوبية الذي يكشف المدلولات الجمالية في النص، وذلك عن طريق النفاذ في مضمونه⁽⁹¹⁷⁾؛ إن

⁽⁹¹²⁾ يُنظر: الأثر المفتوح، أمبرطو إيكو، ترجمة عبد الرحمن بو علي، ط2، 2001، الناشر، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية-سوريا: 16.

⁽⁹¹³⁾ دراسات في القرآن: 131.

⁽⁹¹⁴⁾ يُنظر: النص القرآني وأفاق الكتابة: 38.

⁽⁹¹⁵⁾ يُنظر: الحروف المقطعة في القرآن الكريم، د. عبد الجبار حمد شرارة، ط2، 1414هـ، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، قم: 91.

⁽⁹¹⁶⁾ يُنظر: الإتقان: مجلد 1/ج2: 103.

تعددية الدلالة تمنح النص القرآني خصوبة وقوة ((فقوة النص تكمن بالتحديد في هذا الغموض الدائم، وفي هذا الرنين المتواصل لعدد كبير من المعاني التي تسمح كلها بالانتقاء دون أن تكون تحت سيطرتها))⁽⁹¹⁸⁾.

إنَّ مهمة القراءة التأويلية ليست الكشف عن دلالة وحيدة قارة، وإنما مهمتها تكمن في الكشف عن تعدد الدلالة في النص؛ وهو إقرار بلا محدودية النص وقابليته للانفتاح الدلالي.⁽⁹¹⁹⁾

إنَّ أسلوب الإيجاز في القرآن يتجنب الحشو وفضول الكلام؛ إذ ينتقي الألفاظ الجامعة التي هي بطبيعتها اللغوية- أتم لتحديد الغرض وأكثر اتساعاً لمعانيه المناسبة.

لقد شككت (جوامع الكلم) مهيمناً أسلوبياً في قصار السور حيث سياقات التكتيف والاختزال والشحن؛ شحن الألفاظ والتراكيب الجامعة بالدلالات المتسعة؛ إذ إنَّ المعنى في جوامع الكلم يتشكل من طبقات مترابطة (طبقات المعنى)؛ وتصبح الدلالة فيها احتمالية وليست تأكيدية؛ وتعددية وليست أحادية؛ إنَّ جوامع الكلم هي (ثغرات) أو (فجوات)؛ وهكذا تكون الفجوات أو اللاتحديدات في النص هي المحرض الأول للتفاعل بين المتلقي والنص⁽⁹²⁰⁾.

وقد أدرك المفسرون القدامى ما تتوفر عليه قصار السور من اكتناز دلالي؛ فخصوا السورة الواحدة بمصنف كامل كما في سورة الفاتحة التي خصها القدامى ببضعة مصنفات⁽⁹²¹⁾؛ وصنف آخرون في سورة الكوثر⁽⁹²²⁾؛ وآخرون في سورة العصر⁽⁹²³⁾؛ وغير ذلك مما لا يتسع المقام لبسط الكلام فيه.

وخلاصة القول: إن جوامع الكلم القرآني تقنية أسلوبية لتضييق العبارة وتوسيع الدلالة.

- الطارق:

يورد ابن منظور للطارق معان عدة؛ فالطرق ((الضرب بالحصى، وهو ضرب من التكهّن. والخط في التراب: الكهانةُ والطَّرَاقُ المُتَكَهِّنُونَ والطوارق المتكهنات (...)) والطرُق: الماء المجتمع الذي خيض فيه وبيل وبِعِرَ فِكْدِر (...)) وأطرّقه فحلاً: أعطاه إياه يضرب في إبله (...)) وكل أتٍ بالليل طارقٌ، وقيل: أصل الطُّرُوق من الطَّرْق وهو الدق، وسمي الآتي بالليل طارقاً لحاجته إلى دق الباب. وَطَرَقَ الْقَوْمَ يَطْرُقُهُمْ طَرْقاً وَطُرُوقاً: جاءهم ليلاً، فهو طارقٌ))⁽⁹²⁴⁾.

وبصدد الآية: (والسمااء والطارق)⁽⁹²⁵⁾؛ يقول ابن منظور: ((والطارقُ: النجم، وقيل كل نجم طارق، لأن طلوعه بالليل: وكل ما أتى ليلاً فهو طارق))⁽⁹²⁶⁾.

(917) يُنظر: الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية): 53.

(918) الأثر المفتوح: 166.

(919) ينظر: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث: 136.

(920) يُنظر: الإبهام في شعر الحدائث، د. عبد الرحمن محمد القعود، عالم المعرفة، عد (279)، 2002م، الكويت: 334.

(921) يُنظر: مُعْجَمُ الدَّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، د. ابتسام مرهون الصفار، 1984، مطابع جامعة الموصل: 140، 149، 150.

(922) يُنظر: المصدر نفسه: 150.

(923) ينظر: المصدر نفسه: 151، 152.

(924) لسان العرب: مادة (طرق)

(925) سورة الطارق: 1

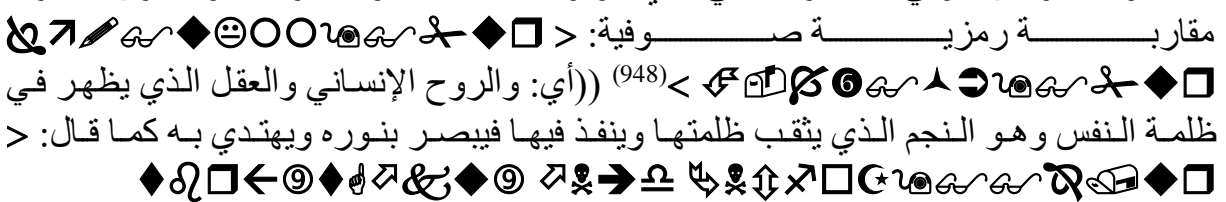
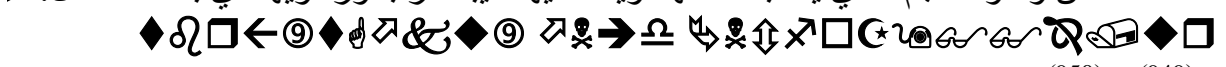
فالطارق إذن هو كل من -أو ما- أتى بليل، قد يكون بشراً، أو نجماً، أو مخلوقاً أو حدثاً من الأحداث؛ جاء في الدعاء المأثور: ((بِكَ أَسْتَجِيرُ يَا ذَا الْعَفْوِ وَالرِّضْوَانِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَمِنْ غَيْرِ الزَّمَانِ، وَتَوَاتُرِ الْأَحْزَانِ، وَطَوَارِقِ الْحَدَثَانِ)).⁽⁹⁴⁰⁾

وقد حطَّ ابن خالويه قول العامة: نعوذ بالله من طوارق الليل والنهار؛ لأن الطروق لا يكون إلا بالليل؛ وصَوَّبَهُ بأن يقال: نعوذُ بالله من طوارق الليل وجوارح النهار⁽⁹⁴¹⁾؛ ((لأن العرب تقول طرقة إذا أتاه ليلاً وجرحه إذا أتاه نهاراً)).⁽⁹⁴²⁾


وقد استثمر المفسرون القدامى قرائن نصية لتأويل الطارق على نحو متسع؛ ومن هذه القرائن أنّ الألف واللام المحلى بها الطارق إنما هي للجنس؛ قال الزمخشري: ((ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل (...)) والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرجم بها)).⁽⁹⁴³⁾

وقال ابن عطية فيما نقله أبو حيان الأندلسي: ((معنى الآية والسماء وجميع ما يطرق فيه من الأمور والمخلوقات ثم ذكر بعد ذلك -على جهة التنبيه- أجل الطارقات قدراً وهو النجم الثاقب (...)) فعلى هذا يكون النجم الثاقب بعضاً مما دل عليه والطارق إذ هو اسم يراد به جميع الطوارق)).⁽⁹⁴⁴⁾ في حين ينقل أبو حيان عن آخرين تحديدهم للنجم الثاقب بنجم بعينه: الجدي مرة، وزحل مرة ثانية، والثريا مرة الثالثة.⁽⁹⁴⁵⁾

ونرى أن الطارق هو النجم الثاقب كما فسره الفراء⁽⁹⁴⁶⁾ معتمداً التفسير الإشاري فيكون النجم الثاقب واحداً من مصاديق الطارق، دون إبعاد مصاديق أخرى له؛ و(النجم الثاقب) هو النجم ((الذي يتقب الظلام بشعاعه النافذ وهذا الوصف ينطبق على جنس النجم، ولا سبيل إلى تحديد نجم بذاته من هذا النص، ولا ضرورة لهذا التحديد، بل إن الإطلاق أولى. ليكون المعنى: والسماء ونجومها الثاقبة للظلام. (...)) ويكون لهذه الإشارة إيماؤها حول حقائق السورة ومشاهدها الأخرى)).⁽⁹⁴⁷⁾

ويستثمر ابن عربي الاكتناز الدلالي الذي تتوفر عليه هذه الأيقونة القرآنية -الطارق- ليقاربه مقاربة رمزية صوفية: >  < ⁽⁹⁴⁸⁾ ((أي: والروح الإنساني والعقل الذي يظهر في ظلمة النفس وهو النجم الذي يتقب ظلمتها وينفذ فيها فيبصر بنوره ويهتدي به كما قال: >  < ⁽⁹⁴⁹⁾)).⁽⁹⁵⁰⁾

⁽⁹⁴⁰⁾ مفاتيح الجنان والباقيات الصالحات، عباس بن محمد رضا القمي، ط9، 1427هـ-2006م، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم-إيران: 67.
⁽⁹⁴¹⁾ يُنظر: إعراب ثلاثين سورة: 49-50.
⁽⁹⁴²⁾ المصدر نفسه: 50.
⁽⁹⁴³⁾ الكشف: مجلد 241/4.
⁽⁹⁴⁴⁾ البحر المحيط: مجلد 454/8.
⁽⁹⁴⁵⁾ ينظر: المصدر نفسه: مجلد 454/8.
⁽⁹⁴⁶⁾ يُنظر: لسان العرب: مادة (طرق).
⁽⁹⁴⁷⁾ في ظلال القرآن: مجلد 8/ج30: 118.
⁽⁹⁴⁸⁾ سورة الطارق: 1.
⁽⁹⁴⁹⁾ سورة النحل: 16.
⁽⁹⁵⁰⁾ تفسير ابن عربي، أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي، ضبطه وصححه وقدم له الشيخ عبد الوارث محمد علي، ط1، 1422هـ-2001م، دار الكتب العالمية، بيروت-لبنان: مجلد 396/3.

آخر (961)؛ أو تأويل >  (962) بالمخلوقات كلها (963) مما يترتب عليه القسم بالصالح والطالح؛ وهذا مما لا يقول به عاقل. (ولكي نقرأ النصوص بوصفها أدباً يجب أن نمثلها ((كفاءة أدبية)) مثلما نحتاج إلى ((كفاءة لغوية)) أكثر عمومية لإضفاء المعنى على الأقوال اللغوية الاعتيادية التي نواجهها)). (964) إنَّ هذه الأقسام القرآنية الخمسة تشكل أنموذجاً للجملة-النص (965). ورأس الخيط الذي ينبغي الإمساك به لإكمال دائرة التأويل هو اكتشاف (المناسبة) بين هذه الأقسام؛ إنَّ توفر النص على هذه المناسبة ضروري لتحقيق شروط النص وهي: التعبير، والتحديد، والخاصية البنيوية (966)، وتراتبية العناصر الداخلة في التعبير.

هذه المناسبة تكاد تكون واضحة بين: (الفجر، ليل عشر، الليل إذا يسير):

الفجر: الصبح، النور، الظهور، التجلي.

ليال عشر: الحَفَاء، الظلام.

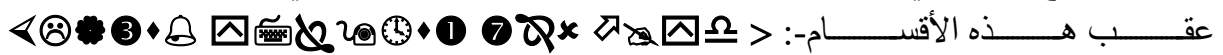
الليل إذا يسر: سرى الليل ما بين إدبار النهار وانبثاق الفجر.

إذن كل من هذه الأقسام: (الفجر، ليل عشر، الليل إذا يسر) تنتمي إلى حقل دلالي واحد هو

الحقل الدلالي للزمن.

بيد أنَّ (المناسبة) بين هذه الأقسام وبين (الشفع والوتر) غير متوفرة، وقد ألمع البيضاوي إليها. (967)

كما ألمع ابن عربي إلى أنَّ هذه المناسبة ذات أهمية قصوى وذلك في تفسيره لقوله تعالى -

عقب هذه الأقسام:- > 

إلى الأقسام بهذه الأشياء ووجه تعظيمها بالقسم بها وحكمة انتظامها في قسم واحد وتناسبها فإن

عقول أهل الدنيا المشوبة لا تهتدي إلى ذلك)). (969)

بيد أنَّ إسراف ابن عربي في التأويل الرمزي جعله يؤولها على هذا النحو:

الفجر: نور الروح على مادة البدن.

وليال عشر: ومجال الحواس العشرة.

والوتر: أي الروح المجرد إذا فارق.

والليل إذا يسر: ظلمة البدن إذا ذهب وزالت بالموت. (970)

إنَّ المناسبة بين (الشفع والوتر) وبقيّة الأقسام يُمكن قراءتها على هذا النحو:

(961) ينظر: إعراب ثلاثين سورة: 83.

(962) سورة الفجر: 3.

(963) يُنظر: المفردات: مادة (شفع)، والكشاف: مجلد 4/249، وأنوار التنزيل: 797.

(964) النظرية الأدبية المعاصرة، رمان سلدن، ترجمة سعيد الغانمي، ط1، 1996، المؤسسة العربية للدراسات

والنشر: بيروت-لبنان، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمّان-الأردن: 178-179.

(965) يُنظر: اللغة العليا: 217.

(966) يُنظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: 233-234.

(967) يُنظر: أنوار التنزيل: 797.

(968) سورة الفجر: 5.

(969) تفسير ابن عربي: مجلد 3/402.

(970) ينظر: المصدر نفسه: مجلد 3/402.

الفجر: انفجار، انفلاق، تحول، انتهاء.

ليال عشر: انتهاء؛ و((العشرة هو العدد الكامل)).(971)

وبين الشفع والوتر طباق إيجاب ومن بين التأويلات ((الشفع الأيام والليالي. الوتر: اليوم الذي لا ليل بعده وهو القيامة)) (972)؛ وهذا تأويل وجيه من عدة وجوه: فتأويل الوتر بيوم القيامة جدير بالتأمل فيوم القيامة يوم فريد أوحده لا يتكرر ولا يأتي إلا مرة واحدة وهو يوم الفصل فهو وتر. ومن جهة أخرى فإن التأويل الأخير يحقق المناسبة المنشودة بين الأقسام القرآنية: الفجر: هو الفجر المعهود عند بزوغ الشمس ((وَفَجَّرَ اللَّهُ الْفَجْرَ أَظْهَرَهُ فَانْفَجَرَ)) (973)؛ وفيه دلالة الانبثاق والانبعاث والظهور والجلاء.

ليال عشر: وتتكبير ليال عشر إطلاقاً قد يُراد به كل ليالي عشر من أواخر شهر رمضان؛ وفي التعبير بها لفت إلى نزول القرآن فيها هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان؛ وعلى هذا الوجه تظهر مناسبة ليال عشر لما قبلها ولما بعدها من الفجر الصادق البازغ، نور ينسخ ظلمة الليل إذا يسري. (974)

إنّ النص القرآني ينبض بالحركة والتوتر؛ الفجر بحضوره والليل بانسحابه صراع وحركة؛ فالليل سَكَنٌ ولباس وظلام؛ والفجر وما يليه حركة وحياة وسعي؛ توقد الفجر أيضاً حركة وحياة أساسها التضاد بين لونين ورمزين هما الليل والنهار. (975)

كما أنّ الطباق بين الشفع والوتر يمثل فجوة التوتر والأدبية في النص؛ إذ إن (الشفع) الذي أوّل بالأيام والليالي إنما هو (الدنيا) في حين أنّ (الوتر) الذي أوّل بيوم القيامة إنما هو (الآخرة)؛ إذن الطباق إنما هو بين (الحياة الدنيا) و(الآخرة) فهو صراع الأضداد. ((فالطباق يساهم مساهمة كبيرة في إبراز المعنى وترسيخه في الذهن، لأنه يحمل علامة مثبتة لا تتوفر في كل التراكيب، ومن هذه الفجوة الحاصلة من الاختلاف يتولد الإيقاع النفسي الذي يمتد إلى المعاني، ولا يكتفي بالألفاظ، فهو أذن ذو أثر عظيم لأنه غير تقليدي، ولا يقوم على المشاكلة بل على الاختلاف، والاختلاف أساس هام لأي نص أدبي يدّعي لنفسه شيئاً من الشعرية)) (976) والأدبية؛ إنّ هذا الاختلاف لا يقتصر على تركيب (والشفع والوتر) بل ينتظم النص بأسره ليمتد بين الفجر والليل.

- الصمد:

(971) المفردات: مادة (عشر).

(972) مجمع البيان: 619/10.

(973) أساس البلاغة: مادة (فجر).

(974) يُنظر: التفسير البياني: 129/2.

(975) يُنظر: الشعرية: 64.

(976) المصدر نفسه: 134.

(الصمد): ((وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير لفظ الله للإشعار بأنَّ مَنْ لم يتصف به [الصمد] لم يستحق الإلوهية)).⁽⁹⁹²⁾

إنَّ السياق الخارجي أو المقام التداولي للسورة يسعفنا بما يعزز هذا التأويل وذلك استناداً إلى سبب نزولها؛ إذ نزلت -فيما ينقل ابن عباس- بعد أن قالت قريش: يا محمد صِفْ لنا ربَّك الذي تدعونا إليه، بمعنى: إنَّ الذي سألتموني وصفه هو الله.⁽⁹⁹³⁾

وبلغ الاكتناز الدلالي الذي تتوفر عليه هذه الكلمة القرآنية الجامعة -الصمد- حداً أتاح للعرفانيين تأويل حروفها تأويلاً رمزياً إذ إنَّ دلالة الحروف وكذلك دلالة اللغة دلالة نامية متنوعة وليست دلالة ثابتة ساكنة.⁽⁹⁹⁴⁾

كما ((أنَّ المرتكز الذي تستند عليه القيمة التمييزية للحروف ولأجزائها، هو موقع وهيئة الجسد المتلقي، التي تعتبر في الوقت ذاته مرجعية للشكل الذي يتم رصده على فضاء معين))⁽⁹⁹⁵⁾؛ بتعبير آخر: نتحدث هنا عن إحياءات الأشكال الهندسية التي تشكلها هذه الحروف؛ وجوهر هذه الفكرة يستند إلى مبدأ مهم في الفلسفة الظاهرانية وهو أنَّ للمتلقي دوراً مهماً في إدراك أية ظاهرة.

وغني عن البيان أن إحياءات الحروف وظلال المعنى التي ترسمها تعد ظاهرة سيميائية خصبة يشتغل عليها التأويل.

إنَّ الخطاب العرفاني تجربة فينومينولوجية بامتياز⁽⁹⁹⁶⁾؛ والعارف -حسب دووساتو- ((هو القارئ الذي يؤوّل ويؤجّل المعنى والحضور ويشتت الدلالات والتعبيرات))⁽⁹⁹⁷⁾؛ وقد قارب العرفانيون القدامى حروف (الصمد) على النحو الآتي:

الألف: بانتصابها واعتدالها؛ وبشكلها البصري الممتد عمودياً والذي يوحي بالرقم واحد؛ يؤهلها لتكون إيقونة للذات الإلهية المقدسة⁽⁹⁹⁸⁾؛ فالألف من حروف المرتبة السبعية (مرتبة الحضرة الإلهية المقدسة)⁽⁹⁹⁹⁾؛ ((ولهذا كانت الألف في الوضع الإلهي بالخط العربي إذا تقدمت في الكلمة

⁽⁹⁹²⁾ أنوار التنزيل: 814.

⁽⁹⁹³⁾ يُنظر: الكشاف: مجلد 4/298.

⁽⁹⁹⁴⁾ ينظر: فلسفة التأويل (دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي)، نصر حامد أبو زيد، ط5، 2003، الناشر، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء/بيروت: 315-316.

⁽⁹⁹⁵⁾ الشكل والخطاب: 108

⁽⁹⁹⁶⁾ يُنظر: تأويلات وتفكيكات: (فصول في الفكر العربي المعاصر)، محمّد شوقي الزين، ط1، 2002، الناشر، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء/بيروت: 95.

⁽⁹⁹⁷⁾ المصدر نفسه: 109.

⁽⁹⁹⁸⁾ ينظر: الفتوحات المكية، ابن عربي أبو بكر محي الدين، د.ت. دار صادر، بيروت: مجلد 1/106.

⁽⁹⁹⁹⁾ ينظر: فلسفة التأويل: 307.

[كما هو الأمر في الصمد] لا تتصل ولا يتصل بها⁽¹⁰⁰⁰⁾؛ والألف من الحروف النورانية^(*) كما يصطلح عليها العرفاء.⁽¹⁰⁰¹⁾

فالألف ((دليل على أنيته وهو قوله عزّ وجل (شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ) وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس)).⁽¹⁰⁰²⁾

اللام: وهي من حروف المرتبة السبعية⁽¹⁰⁰³⁾؛ وهي دليل على إلهيته بأنه هو الله.⁽¹⁰⁰⁴⁾
الصاد: من حروف العالم الوسيط أو عالم الجبروت⁽¹⁰⁰⁵⁾ وهي من حروف الرحمة والألطف والسكون والتواضع⁽¹⁰⁰⁶⁾؛ فهي دليل على أنه سبحانه صادق وقوله صدق وكلامه صدق ودعا عباده إلى إتباع الصدق؛ ووعدنا بالصدق.⁽¹⁰⁰⁷⁾

الميم: من حروف عالم الملك والشهادة⁽¹⁰⁰⁸⁾؛ فهي دليل على ملكه وأنه الملك الحق المبين لم يزل ولا يزال ولا يزول ملكه⁽¹⁰⁰⁹⁾؛ ((لافتقار كل ممكن إليه وكونه به فهو الغني المطلق المحتاج إليه كل شيء)).⁽¹⁰¹⁰⁾

الذال: من حروف العالم الوسيط أو عالم الجبروت⁽¹⁰¹¹⁾؛ وهي ((دليل على دوام ملكه وأنه دائم تعالى عن الكون والزوال بل هو الله عز وجل مكّون الكائنات الذي كان بتكوين كل كائن)).⁽¹⁰¹²⁾

- الكوثر:

تقترح قراءتنا التأويلية فتح هذه الكلمة القرآنية الجامعة (الشفرة) على الدلالات كلها التي تنتجها بنيتها المعجمية، وبنيتها الصرفية، مع استثمار السياق الداخلي أو السياق اللغوي وهو ((كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة (بنية النص) وما يحتويه من قرائن تساعد على سبل كشف دلالة الوحدة اللغوية وهي تسبح في نطاق التركيب)).⁽¹⁰¹³⁾

(1000) الفتوحات المكية: مجلد 551/2.

(*) الحروف النورانية: هي الحروف المقطعة في فواتح السور أو ما يصطلح عليه بالاستهلالات القرآنية المعجمة. يُنظر: شرح الأسماء الحسنى، الملا هادي السبزواري، محمول على قرص مدمج (D.V.D)، موسوم (مكتبة أهل البيت)، بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول، 1426 هـ، قم-إيران: 5/1.

(1001) يُنظر: شرح الأسماء الحسنى: 5/1.

(1002) مجمع البيان: 724/10.

(1003) يُنظر: فلسفة التأويل: 307.

(1004) يُنظر: مجمع البيان: 725/10.

(1005) يُنظر: فلسفة التأويل: 306.

(1006) يُنظر: الفتوحات المكية: 80-79/1.

(1007) يُنظر: مجمع البيان: 725/10.

(1008) يُنظر: فلسفة التأويل: 306.

(1009) يُنظر: مجمع البيان: 725/10.

(1010) تفسير ابن عربي: مجلد 438/3.

(1011) يُنظر: فلسفة التأويل: 306.

(1012) مجمع البيان: 725/10.

(1013) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: 213.

وكذلك يمكن الاستفادة من السياق الخارجي -السياق غير اللغوي- أو ما يسمى بسياق الحال أو المقام أي سياق الموقف.⁽¹⁰¹⁴⁾
 إن الإيجاز في جوامع الكلم القرآني هو ((أسلوب خاص، يتميز بشدة الكثافة، وعدم التسطح، والانتشار، ويعتمد على البنية العميقة في رسم حدود الدلالة))⁽¹⁰¹⁵⁾؛ فالإيجاز ينأى بالتعبير الأدبي عن الابتذال والتداول المستهلك.
 الكوثر في اللغة: ((الكثير من كل شيء (...)) ورجل كوثر: كثير العطاء والخير. والكوثر: السيد الكثير الخير)⁽¹⁰¹⁶⁾؛ والبنية الصرفية للكوثر هي (فَوَعَل) من الكثرة والواو زائدة؛ مثل كوسَج ونوفل.⁽¹⁰¹⁷⁾

لقد اختلف في معنى الكوثر > ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊪ ㊫ ㊬ ㊭ ㊮ ㊯ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۱۰ ۱۱ ۱۲ ۱۳ ۱۴ ۱۵ ۱۶ ۱۷ ۱۸ ۱۹ ۲۰ ۲۱ ۲۲ ۲۳ ۲۴ ۲۵ ۲۶ ۲۷ ۲۸ ۲۹ ۳۰ ۳۱ ۳۲ ۳۳ ۳۴ ۳۵ ۳۶ ۳۷ ۳۸ ۳۹ ۴۰ ۴۱ ۴۲ ۴۳ ۴۴ ۴۵ ۴۶ ۴۷ ۴۸ ۴۹ ۵۰ ۵۱ ۵۲ ۵۳ ۵۴ ۵۵ ۵۶ ۵۷ ۵۸ ۵۹ ۶۰ ۶۱ ۶۲ ۶۳ ۶۴ ۶۵ ۶۶ ۶۷ ۶۸ ۶۹ ۷۰ ۷۱ ۷۲ ۷۳ ۷۴ ۷۵ ۷۶ ۷۷ ۷۸ ۷۹ ۸۰ ۸۱ ۸۲ ۸۳ ۸۴ ۸۵ ۸۶ ۸۷ ۸۸ ۸۹ ۹۰ ۹۱ ۹۲ ۹۳ ۹۴ ۹۵ ۹۶ ۹۷ ۹۸ ۹۹ ۱۰۰ ۱۰۱ ۱۰۲ ۱۰۳ ۱۰۴ ۱۰۵ ۱۰۶ ۱۰۷ ۱۰۸ ۱۰۹ ۱۱۰ ۱۱۱ ۱۱۲ ۱۱۳ ۱۱۴ ۱۱۵ ۱۱۶ ۱۱۷ ۱۱۸ ۱۱۹ ۱۲۰ ۱۲۱ ۱۲۲ ۱۲۳ ۱۲۴ ۱۲۵ ۱۲۶ ۱۲۷ ۱۲۸ ۱۲۹ ۱۳۰ ۱۳۱ ۱۳۲ ۱۳۳ ۱۳۴ ۱۳۵ ۱۳۶ ۱۳۷ ۱۳۸ ۱۳۹ ۱۴۰ ۱۴۱ ۱۴۲ ۱۴۳ ۱۴۴ ۱۴۵ ۱۴۶ ۱۴۷ ۱۴۸ ۱۴۹ ۱۵۰ ۱۵۱ ۱۵۲ ۱۵۳ ۱۵۴ ۱۵۵ ۱۵۶ ۱۵۷ ۱۵۸ ۱۵۹ ۱۶۰ ۱۶۱ ۱۶۲ ۱۶۳ ۱۶۴ ۱۶۵ ۱۶۶ ۱۶۷ ۱۶۸ ۱۶۹ ۱۷۰ ۱۷۱ ۱۷۲ ۱۷۳ ۱۷۴ ۱۷۵ ۱۷۶ ۱۷۷ ۱۷۸ ۱۷۹ ۱۸۰ ۱۸۱ ۱۸۲ ۱۸۳ ۱۸۴ ۱۸۵ ۱۸۶ ۱۸۷ ۱۸۸ ۱۸۹ ۱۹۰ ۱۹۱ ۱۹۲ ۱۹۳ ۱۹۴ ۱۹۵ ۱۹۶ ۱۹۷ ۱۹۸ ۱۹۹ ۲۰۰ ۲۰۱ ۲۰۲ ۲۰۳ ۲۰۴ ۲۰۵ ۲۰۶ ۲۰۷ ۲۰۸ ۲۰۹ ۲۱۰ ۲۱۱ ۲۱۲ ۲۱۳ ۲۱۴ ۲۱۵ ۲۱۶ ۲۱۷ ۲۱۸ ۲۱۹ ۲۲۰ ۲۲۱ ۲۲۲ ۲۲۳ ۲۲۴ ۲۲۵ ۲۲۶ ۲۲۷ ۲۲۸ ۲۲۹ ۲۳۰ ۲۳۱ ۲۳۲ ۲۳۳ ۲۳۴ ۲۳۵ ۲۳۶ ۲۳۷ ۲۳۸ ۲۳۹ ۲۴۰ ۲۴۱ ۲۴۲ ۲۴۳ ۲۴۴ ۲۴۵ ۲۴۶ ۲۴۷ ۲۴۸ ۲۴۹ ۲۵۰ ۲۵۱ ۲۵۲ ۲۵۳ ۲۵۴ ۲۵۵ ۲۵۶ ۲۵۷ ۲۵۸ ۲۵۹ ۲۶۰ ۲۶۱ ۲۶۲ ۲۶۳ ۲۶۴ ۲۶۵ ۲۶۶ ۲۶۷ ۲۶۸ ۲۶۹ ۲۷۰ ۲۷۱ ۲۷۲ ۲۷۳ ۲۷۴ ۲۷۵ ۲۷۶ ۲۷۷ ۲۷۸ ۲۷۹ ۲۸۰ ۲۸۱ ۲۸۲ ۲۸۳ ۲۸۴ ۲۸۵ ۲۸۶ ۲۸۷ ۲۸۸ ۲۸۹ ۲۹۰ ۲۹۱ ۲۹۲ ۲۹۳ ۲۹۴ ۲۹۵ ۲۹۶ ۲۹۷ ۲۹۸ ۲۹۹ ۳۰۰ ۳۰۱ ۳۰۲ ۳۰۳ ۳۰۴ ۳۰۵ ۳۰۶ ۳۰۷ ۳۰۸ ۳۰۹ ۳۱۰ ۳۱۱ ۳۱۲ ۳۱۳ ۳۱۴ ۳۱۵ ۳۱۶ ۳۱۷ ۳۱۸ ۳۱۹ ۳۲۰ ۳۲۱ ۳۲۲ ۳۲۳ ۳۲۴ ۳۲۵ ۳۲۶ ۳۲۷ ۳۲۸ ۳۲۹ ۳۳۰ ۳۳۱ ۳۳۲ ۳۳۳ ۳۳۴ ۳۳۵ ۳۳۶ ۳۳۷ ۳۳۸ ۳۳۹ ۳۴۰ ۳۴۱ ۳۴۲ ۳۴۳ ۳۴۴ ۳۴۵ ۳۴۶ ۳۴۷ ۳۴۸ ۳۴۹ ۳۵۰ ۳۵۱ ۳۵۲ ۳۵۳ ۳۵۴ ۳۵۵ ۳۵۶ ۳۵۷ ۳۵۸ ۳۵۹ ۳۶۰ ۳۶۱ ۳۶۲ ۳۶۳ ۳۶۴ ۳۶۵ ۳۶۶ ۳۶۷ ۳۶۸ ۳۶۹ ۳۷۰ ۳۷۱ ۳۷۲ ۳۷۳ ۳۷۴ ۳۷۵ ۳۷۶ ۳۷۷ ۳۷۸ ۳۷۹ ۳۸۰ ۳۸۱ ۳۸۲ ۳۸۳ ۳۸۴ ۳۸۵ ۳۸۶ ۳۸۷ ۳۸۸ ۳۸۹ ۳۹۰ ۳۹۱ ۳۹۲ ۳۹۳ ۳۹۴ ۳۹۵ ۳۹۶ ۳۹۷ ۳۹۸ ۳۹۹ ۴۰۰ ۴۰۱ ۴۰۲ ۴۰۳ ۴۰۴ ۴۰۵ ۴۰۶ ۴۰۷ ۴۰۸ ۴۰۹ ۴۱۰ ۴۱۱ ۴۱۲ ۴۱۳ ۴۱۴ ۴۱۵ ۴۱۶ ۴۱۷ ۴۱۸ ۴۱۹ ۴۲۰ ۴۲۱ ۴۲۲ ۴۲۳ ۴۲۴ ۴۲۵ ۴۲۶ ۴۲۷ ۴۲۸ ۴۲۹ ۴۳۰ ۴۳۱ ۴۳۲ ۴۳۳ ۴۳۴ ۴۳۵ ۴۳۶ ۴۳۷ ۴۳۸ ۴۳۹ ۴۴۰ ۴۴۱ ۴۴۲ ۴۴۳ ۴۴۴ ۴۴۵ ۴۴۶ ۴۴۷ ۴۴۸ ۴۴۹ ۴۵۰ ۴۵۱ ۴۵۲ ۴۵۳ ۴۵۴ ۴۵۵ ۴۵۶ ۴۵۷ ۴۵۸ ۴۵۹ ۴۶۰ ۴۶۱ ۴۶۲ ۴۶۳ ۴۶۴ ۴۶۵ ۴۶۶ ۴۶۷ ۴۶۸ ۴۶۹ ۴۷۰ ۴۷۱ ۴۷۲ ۴۷۳ ۴۷۴ ۴۷۵ ۴۷۶ ۴۷۷ ۴۷۸ ۴۷۹ ۴۸۰ ۴۸۱ ۴۸۲ ۴۸۳ ۴۸۴ ۴۸۵ ۴۸۶ ۴۸۷ ۴۸۸ ۴۸۹ ۴۹۰ ۴۹۱ ۴۹۲ ۴۹۳ ۴۹۴ ۴۹۵ ۴۹۶ ۴۹۷ ۴۹۸ ۴۹۹ ۵۰۰ ۵۰۱ ۵۰۲ ۵۰۳ ۵۰۴ ۵۰۵ ۵۰۶ ۵۰۷ ۵۰۸ ۵۰۹ ۵۱۰ ۵۱۱ ۵۱۲ ۵۱۳ ۵۱۴ ۵۱۵ ۵۱۶ ۵۱۷ ۵۱۸ ۵۱۹ ۵۲۰ ۵۲۱ ۵۲۲ ۵۲۳ ۵۲۴ ۵۲۵ ۵۲۶ ۵۲۷ ۵۲۸ ۵۲۹ ۵۳۰ ۵۳۱ ۵۳۲ ۵۳۳ ۵۳۴ ۵۳۵ ۵۳۶ ۵۳۷ ۵۳۸ ۵۳۹ ۵۴۰ ۵۴۱ ۵۴۲ ۵۴۳ ۵۴۴ ۵۴۵ ۵۴۶ ۵۴۷ ۵۴۸ ۵۴۹ ۵۵۰ ۵۵۱ ۵۵۲ ۵۵۳ ۵۵۴ ۵۵۵ ۵۵۶ ۵۵۷ ۵۵۸ ۵۵۹ ۵۶۰ ۵۶۱ ۵۶۲ ۵۶۳ ۵۶۴ ۵۶۵ ۵۶۶ ۵۶۷ ۵۶۸ ۵۶۹ ۵۷۰ ۵۷۱ ۵۷۲ ۵۷۳ ۵۷۴ ۵۷۵ ۵۷۶ ۵۷۷ ۵۷۸ ۵۷۹ ۵۸۰ ۵۸۱ ۵۸۲ ۵۸۳ ۵۸۴ ۵۸۵ ۵۸۶ ۵۸۷ ۵۸۸ ۵۸۹ ۵۹۰ ۵۹۱ ۵۹۲ ۵۹۳ ۵۹۴ ۵۹۵ ۵۹۶ ۵۹۷ ۵۹۸ ۵۹۹ ۶۰۰ ۶۰۱ ۶۰۲ ۶۰۳ ۶۰۴ ۶۰۵ ۶۰۶ ۶۰۷ ۶۰۸ ۶۰۹ ۶۱۰ ۶۱۱ ۶۱۲ ۶۱۳ ۶۱۴ ۶۱۵ ۶۱۶ ۶۱۷ ۶۱۸ ۶۱۹ ۶۲۰ ۶۲۱ ۶۲۲ ۶۲۳ ۶۲۴ ۶۲۵ ۶۲۶ ۶۲۷ ۶۲۸ ۶۲۹ ۶۳۰ ۶۳۱ ۶۳۲ ۶۳۳ ۶۳۴ ۶۳۵ ۶۳۶ ۶۳۷ ۶۳۸ ۶۳۹ ۶۴۰ ۶۴۱ ۶۴۲ ۶۴۳ ۶۴۴ ۶۴۵ ۶۴۶ ۶۴۷ ۶۴۸ ۶۴۹ ۶۵۰ ۶۵۱ ۶۵۲ ۶۵۳ ۶۵۴ ۶۵۵ ۶۵۶ ۶۵۷ ۶۵۸ ۶۵۹ ۶۶۰ ۶۶۱ ۶۶۲ ۶۶۳ ۶۶۴ ۶۶۵ ۶۶۶ ۶۶۷ ۶۶۸ ۶۶۹ ۶۷۰ ۶۷۱ ۶۷۲ ۶۷۳ ۶۷۴ ۶۷۵ ۶۷۶ ۶۷۷ ۶۷۸ ۶۷۹ ۶۸۰ ۶۸۱ ۶۸۲ ۶۸۳ ۶۸۴ ۶۸۵ ۶۸۶ ۶۸۷ ۶۸۸ ۶۸۹ ۶۹۰ ۶۹۱ ۶۹۲ ۶۹۳ ۶۹۴ ۶۹۵ ۶۹۶ ۶۹۷ ۶۹۸ ۶۹۹ ۷۰۰ ۷۰۱ ۷۰۲ ۷۰۳ ۷۰۴ ۷۰۵ ۷۰۶ ۷۰۷ ۷۰۸ ۷۰۹ ۷۱۰ ۷۱۱ ۷۱۲ ۷۱۳ ۷۱۴ ۷۱۵ ۷۱۶ ۷۱۷ ۷۱۸ ۷۱۹ ۷۲۰ ۷۲۱ ۷۲۲ ۷۲۳ ۷۲۴ ۷۲۵ ۷۲۶ ۷۲۷ ۷۲۸ ۷۲۹ ۷۳۰ ۷۳۱ ۷۳۲ ۷۳۳ ۷۳۴ ۷۳۵ ۷۳۶ ۷۳۷ ۷۳۸ ۷۳۹ ۷۴۰ ۷۴۱ ۷۴۲ ۷۴۳ ۷۴۴ ۷۴۵ ۷۴۶ ۷۴۷ ۷۴۸ ۷۴۹ ۷۵۰ ۷۵۱ ۷۵۲ ۷۵۳ ۷۵۴ ۷۵۵ ۷۵۶ ۷۵۷ ۷۵۸ ۷۵۹ ۷۶۰ ۷۶۱ ۷۶۲ ۷۶۳ ۷۶۴ ۷۶۵ ۷۶۶ ۷۶۷ ۷۶۸ ۷۶۹ ۷۷۰ ۷۷۱ ۷۷۲ ۷۷۳ ۷۷۴ ۷۷۵ ۷۷۶ ۷۷۷ ۷۷۸ ۷۷۹ ۷۸۰ ۷۸۱ ۷۸۲ ۷۸۳ ۷۸۴ ۷۸۵ ۷۸۶ ۷۸۷ ۷۸۸ ۷۸۹ ۷۹۰ ۷۹۱ ۷۹۲ ۷۹۳ ۷۹۴ ۷۹۵ ۷۹۶ ۷۹۷ ۷۹۸ ۷۹۹ ۸۰۰ ۸۰۱ ۸۰۲ ۸۰۳ ۸۰۴ ۸۰۵ ۸۰۶ ۸۰۷ ۸۰۸ ۸۰۹ ۸۱۰ ۸۱۱ ۸۱۲ ۸۱۳ ۸۱۴ ۸۱۵ ۸۱۶ ۸۱۷ ۸۱۸ ۸۱۹ ۸۲۰ ۸۲۱ ۸۲۲ ۸۲۳ ۸۲۴ ۸۲۵ ۸۲۶ ۸۲۷ ۸۲۸ ۸۲۹ ۸۳۰ ۸۳۱ ۸۳۲ ۸۳۳ ۸۳۴ ۸۳۵ ۸۳۶ ۸۳۷ ۸۳۸ ۸۳۹ ۸۴۰ ۸۴۱ ۸۴۲ ۸۴۳ ۸۴۴ ۸۴۵ ۸۴۶ ۸۴۷ ۸۴۸ ۸۴۹ ۸۵۰ ۸۵۱ ۸۵۲ ۸۵۳ ۸۵۴ ۸۵۵ ۸۵۶ ۸۵۷ ۸۵۸ ۸۵۹ ۸۶۰ ۸۶۱ ۸۶۲ ۸۶۳ ۸۶۴ ۸۶۵ ۸۶۶ ۸۶۷ ۸۶۸ ۸۶۹ ۸۷۰ ۸۷۱ ۸۷۲ ۸۷۳ ۸۷۴ ۸۷۵ ۸۷۶ ۸۷۷ ۸۷۸ ۸۷۹ ۸۸۰ ۸۸۱ ۸۸۲ ۸۸۳ ۸۸۴ ۸۸۵ ۸۸۶ ۸۸۷ ۸۸۸ ۸۸۹ ۸۹۰ ۸۹۱ ۸۹۲ ۸۹۳ ۸۹۴ ۸۹۵ ۸۹۶ ۸۹۷ ۸۹۸ ۸۹۹ ۹۰۰ ۹۰۱ ۹۰۲ ۹۰۳ ۹۰۴ ۹۰۵ ۹۰۶ ۹۰۷ ۹۰۸ ۹۰۹ ۹۱۰ ۹۱۱ ۹۱۲ ۹۱۳ ۹۱۴ ۹۱۵ ۹۱۶ ۹۱۷ ۹۱۸ ۹۱۹ ۹۲۰ ۹۲۱ ۹۲۲ ۹۲۳ ۹۲۴ ۹۲۵ ۹۲۶ ۹۲۷ ۹۲۸ ۹۲۹ ۹۳۰ ۹۳۱ ۹۳۲ ۹۳۳ ۹۳۴ ۹۳۵ ۹۳۶ ۹۳۷ ۹۳۸ ۹۳۹ ۹۴۰ ۹۴۱ ۹۴۲ ۹۴۳ ۹۴۴ ۹۴۵ ۹۴۶ ۹۴۷ ۹۴۸ ۹۴۹ ۹۵۰ ۹۵۱ ۹۵۲ ۹۵۳ ۹۵۴ ۹۵۵ ۹۵۶ ۹۵۷ ۹۵۸ ۹۵۹ ۹۶۰ ۹۶۱ ۹۶۲ ۹۶۳ ۹۶۴ ۹۶۵ ۹۶۶ ۹۶۷ ۹۶۸ ۹۶۹ ۹۷۰ ۹۷۱ ۹۷۲ ۹۷۳ ۹۷۴ ۹۷۵ ۹۷۶ ۹۷۷ ۹۷۸ ۹۷۹ ۹۸۰ ۹۸۱ ۹۸۲ ۹۸۳ ۹۸۴ ۹۸۵ ۹۸۶ ۹۸۷ ۹۸۸ ۹۸۹ ۹۹۰ ۹۹۱ ۹۹۲ ۹۹۳ ۹۹۴ ۹۹۵ ۹۹۶ ۹۹۷ ۹۹۸ ۹۹۹ ۱۰۰۰

أ- **الحقل الدلالي المعنوي -العقدي-**: (القرآن، تيسير القرآن، تحقيق الشرائع، الإسلام، التوحيد، العلم، الحكمة).⁽¹⁰²⁰⁾
 ب- **الحقل الدلالي للنبوة**: (فضائل النبي، المقام المحمود، نور قلب النبي).⁽¹⁰²¹⁾
 ج- **الحقل الدلالي لآل النبي وأتباعه**: (أولاد النبي، أتباعه، علماء أمته).⁽¹⁰²²⁾

وهكذا فإنّ المعنى -كما تدل عليه هذه التأويلات-: ((أعطيناك ما لا غاية لكثرتك من خير الدارين الذي لم يعطه غيرك))⁽¹⁰²³⁾؛ فالكوثر هو الخير المفرط الكثرة سواء كان دنيوياً أم آخروياً. ونحن في مقاربتنا التأويلية هذه لن نتبنى تأويلاً أحادياً من هذه التأويلات فنحصر المعنى فيه؛ أو نفرض تأويلاً بعينه؛ كما فعل أبو حيان الأندلسي في تبنيه لتأويل أوحده للكوثر بأنه نهر في الجنة⁽¹⁰²⁴⁾؛ فالواجب في مثل هذه الحالات أن نتجنب فرض تأويل وحيد على المتلقي.⁽¹⁰²⁵⁾

(1014) يُنظر: المصدر نفسه: 214.

(1015) المصدر نفسه: 360.

(1016) لسان العرب: مادة (كثر).

(1017) يُنظر المصدر نفسه، مادة (كثر)، وإعراب ثلاثين سورة: 224.

(1018) سورة الكوثر: 1.

(1019) يُنظر: البحر المحيط: مجلد 519/8.

(1020) ينظر: البحر المحيط: مجلد 519/8. وأنوار التنزيل: 813، ولسان العرب: مادة (كثر).

(1021) المصادر السابقة نفسها والصفحات نفسها.

(1022) يُنظر: رسالة في إعجاز سورة الكوثر، جار الله الزمخشري، تحقيق حامد الخفاف، مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت عدد 13، محمول على قرص مدمج (D.V.D)، موسوم (مكتبة أهل البيت)، بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول، 1426 هـ، قم-إيران: 233. والبحر المحيط: 519/8. وتفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي، محمول على قرص مدمج (D.V.D)، موسوم (مكتبة أهل البيت)، بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول، 1426 هـ، قم-إيران: 856/3.

(1023) الكشف: مجلد 291/4.

(1024) يُنظر: البحر المحيط: مجلد 519/8.

(1025) يُنظر: الأثر المفتوح: 22.

بيد أننا سنقوم بضرب هذه التأويلات ببعضها ليتضح وجه الصواب؛ وسنضرب آيات القرآن ببعضها؛ إذ ((إنَّ الآيات المتماثلات تماثلاً جزئياً، يدل تماثلها على وجود علاقات تفسيرية، قائمة بينها، ورد الآيات المتماثلات إلى بعضها، يؤدي إلى تصريف وجوهها تصريفاً واسع النطاق))⁽¹⁰²⁶⁾.

لقد وصف المولى تعالى إتيان الحكمة بإتيان الخير الكثير:

﴿قَدْ وَصَفَ الْمَوْلَى تَعَالَى إِيْتِيَانَ الْحِكْمَةِ بِإِيْتِيَانِ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ:

﴿لَقَدْ وَصَفَ الْمَوْلَى تَعَالَى إِيْتِيَانَ الْحِكْمَةِ بِإِيْتِيَانِ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ: ﴿١٠٢٦﴾﴾⁽¹⁰²⁷⁾؛ فتأويل الكوثر بالحكمة أو العلم متنسق مع الآية الكريمة فهو من مصاديق الكوثر.

كما وصف المولى تعالى الوحي المُنزل بالخير ﴿قَدْ وَصَفَ الْمَوْلَى تَعَالَى الْوَحْيَ الْمُنْزَلَ بِالْخَيْرِ: ﴿١٠٢٧﴾﴾⁽¹⁰²⁸⁾؛ والمُنزل هو القرآن وقد وصف بالخير وهو متنسق مع تأويل الكوثر بالقرآن في الحقل الدلالي العقدي؛ ويمكن القول: إنَّ تأويل الكوثر بتيسير القرآن هو تقرُّيع على تأويل الكوثر بالقرآن؛ وكذلك تأويل الكوثر بالإسلام؛ فالقرآن هو دستور الإسلام وهما متلازمان لا ينفكان. أما تأويل الكوثر بالتوحيد فهو الآخر تقرُّيع؛ لأن القرآن -لاسيما في سورة الإخلاص أو التوحيد- قد تضمن أصل الإسلام الأول وهو التوحيد. وهذه المعاني والتأويلات -كما ترى- متواطئة.

وتأويل الكوثر بالخير العظيم يتسق مع الآية الكريمة:

﴿قَدْ وَصَفَ الْمَوْلَى تَعَالَى الْوَحْيَ الْمُنْزَلَ بِالْخَيْرِ الْعَظِيمِ: ﴿١٠٢٨﴾﴾⁽¹⁰²⁹⁾

﴿قَدْ وَصَفَ الْمَوْلَى تَعَالَى الْوَحْيَ الْمُنْزَلَ بِالْخَيْرِ الْعَظِيمِ: ﴿١٠٢٨﴾﴾⁽¹⁰²⁹⁾

﴿قَدْ وَصَفَ الْمَوْلَى تَعَالَى الْوَحْيَ الْمُنْزَلَ بِالْخَيْرِ الْعَظِيمِ: ﴿١٠٢٨﴾﴾⁽¹⁰²⁹⁾

ومن التأويلات الوجيها تأويل الكوثر بأولاد النبي من نسل فاطمة وهما الحسن والحسين وعقبهما.⁽¹⁰³⁰⁾

وإذا كان من حق المؤول استثمار معطيات السياق الخارجي بوصفها إضاءات ومفاتيح للمقاربة التأويلية يُمكن أن تُيسر الولوج إلى جوانية النص؛ فإنَّ علم أسباب النزول يهديننا إلى أن سورة الكوثر نزلت في العاص بن وائل وكان يُسمى الرسول بالأبتر الصنوبر زاعماً أن الرسول رجل أبتَر لا عقب له لو هلك انقطع ذكره.⁽¹⁰³¹⁾

ولدينا قرينتان نصيتان:

الأولى- طباق الإيجاب بين: الكوثر والأبتر.

⁽¹⁰²⁶⁾ التأويل (منهج الاستنباط في الإسلام)، الشيخ أحمد البحراني، ط2 (منقحة ومزيدة)، 1999، دار التأويل للطباعة والنشر: 368.
⁽¹⁰²⁷⁾ سورة البقرة: 269.
⁽¹⁰²⁸⁾ سورة النحل: 30.
⁽¹⁰²⁹⁾ سورة الحجر: 87.
⁽¹⁰³⁰⁾ يُنظر: التفسير الكبير: مجلد 16/32: 117، وتفسير جوامع الجامع: 856/3.
⁽¹⁰³¹⁾ يُنظر: الكشف: مجلد 4/291.

الثانية- إن تحلية كلمة (الكوثر) بالألف واللام يجعل معناها معهودا عند السامعين وإن لم يعهدوا وصفها بأنها الخير المفرط الكثرة.

وكل ما تقدم يسوّغ لنا القول: إنّ الكوثر ها هنا هم أولاد النبي (7) من نسل فاطمة؛ ومما يتسق مع هذا التأويل تفسير ابن عباس لأية المباهلة(*) : فكان أبناءنا الحسن والحسين وكان نساءنا فاطمة وكان أنفسنا النبي وعلي. (1032)

لقد أتاح الاكتناز أو التكتيف الدلالي الذي تتوفر عليه هذه الكلمة الجامعة (الكوثر) أتاح لكل مؤول للأخذ بطرف أو طبقة من طبقات المعنى؛ وإذا كان للغة القرآن ((ظاهر وباطن. الدلالة في ظاهر اللغة وضعية، عرفية، اتقاقية. والدلالة في باطنها، ذاتية. فهناك تعارض بينهما يزيله الإنسان الكامل، ذلك أنه البرزخ الجامع بين الظاهر (اللغة الإنسانية) والباطن (اللغة الإلهية)) (1033)؛ فإن المؤول العرفاني يؤول (إنا اعطيناك الكوثر) (1034) ب ((معرفة الكثرة بالوحدة وعلم التوحيد التفصيلي وشهود الوحدة في عين الكثرة بتجلي الواحد الكثير والكثير الواحد)) (1035).

- العصر:

العصر لغة:

العصر لغة الدهر وكذا العُصر والعَصْرُ. (1036)

العصر في الاستعمال القرآني:

قال الأصفهاني: ((العَصْرُ مصدر عَصَرْتُ والمَعَصُورُ الشيء العَصِير، والعُصَارَةُ نُقَايَةُ ما

يُعَصَّر، قال > ﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1037) وقال: (وفيه يعصرون) أي يَسْتَنْبِطُونَ منه الخَيْرَ وفُرَىءَ يُعَصَّرُونَ أي

يُمَطُّونَ (...) < ﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

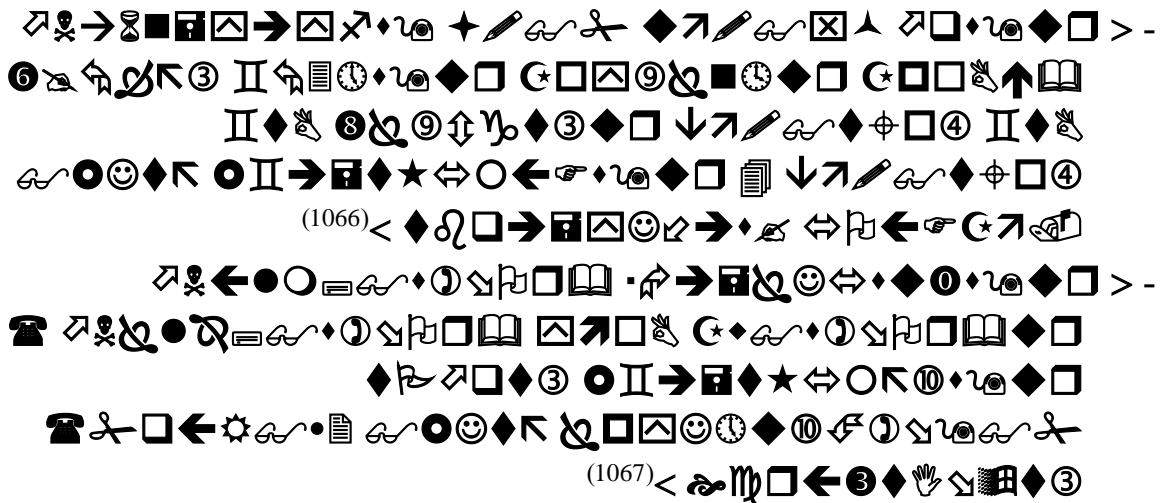
﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ

﴿عَصْرًا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ﴾ (1038) أي السحاب التي تَعْتَصِرُ بالمطر أي تصبُّ، وقيل التي تأتي بالإعصار؛ (..) والاعتصارُ



الخطاب -في الآية الأولى- للمشركين، والسؤال سؤال توبيخ⁽¹⁰⁶⁸⁾؛ والسؤال عن قضية الشرك بالله وقد أكد الخطاب بمؤكدين لأنه موجه إلى مخاطبين منكرين هم المشركون. أما السؤال -في الآية الثانية- فهو سؤال تبيكت⁽¹⁰⁶⁹⁾، وهو عن اختلاف الناس؛ وقد أكد الخطاب بمؤكدين.

وفي الآية الأخيرة -آية العنكبوت- الخطاب للكافرين والسؤال سؤال تقرّيع⁽¹⁰⁷⁰⁾؛ وطبيعة السؤال: عما يختلفون من الأكاذيب والأباطيل. وقد أكد الخطاب بمؤكدين. ويهدينا التأمل إلى ملحظ دلالي ذي بال عن طبيعة القضايا التي يُسأل عنها؛ إنها قضايا عقدية أي أنها معنوية وليست أموراً مادية حسية. فهي قضايا عقدية خلافية.

كما أن (التمائل التركيبي) بين هذه الآيات واضح جلي فهي تشتغل وفقاً لنظام نحوي واحد: قسم ظاهر أو مقدر+لام القسم+تسئلن أو يسئلن+عما (إدغام عن بما) أو عن+الشيء المسؤول عنه:

- تالله	لتسئلنَّ	عما	كنتم تفترون
-	ولتسئلنَّ	عما	كنتم تعلمون
-	وليسئلنَّ	عما	كانوا يفترون

وقد اضطرب المفسرون القدامى في تحديد مَنْ يوجه إليه السؤال في آية التكاثر؛ فقال أبو حيان: ((فالمؤمن يسأل سؤال إكرام وتشريف والكافر سؤال توبيخ وتقرّيع))⁽¹⁰⁷¹⁾؛ والتناقض في

⁽¹⁰⁶⁶⁾ سورة النحل: 93.

⁽¹⁰⁶⁷⁾ سورة العنكبوت: 13.

⁽¹⁰⁶⁸⁾ يُنظر: تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، د.ت. دار المعرفة، بيروت-لبنان: 385.

⁽¹⁰⁶⁹⁾ ينظر: المصدر نفسه: 365.

⁽¹⁰⁷⁰⁾ يُنظر: الكشف: مجلد 200/3.

⁽¹⁰⁷¹⁾ البحر المحيط: مجلد 508/8.

ثالثاً- موضوعات قصار السور:

إضاءة:

1- المجاز والدلالة:

((العرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف والتكرير (..) وبكل هذه المذاهب نزل القرآن)).(1078)

إن المبدع مسكون بالبحث عن الجدة في تشكيل اللغة واستعمالها وتوليد المعاني الجديدة وذلك بتكسير المواضع الدلالية أو النموذج الدلالي وخلق علاقات جديدة تتيح له التعبير عن معاني ورؤى تضيق المواضع الدلالية أو الاستخدام الحقيقي للغة عن التعبير عنها.

وتكمن القيمة الأسلوبية للمجاز حسب نظرية جاكوبسون في كونه يُكمل الوظيفة الإشارية العادية للغة في الوقت نفسه يُبرز الجوهر الشكلي للرسالة؛ مضيفاً إلى تسمية الواقع الموصوف بياناً عن الشكل الخاص الذي يتصور به المبدع هذا الواقع.(1079)

كأن المجاز معبر أو جسر ينقلنا من ضفة إلى ضفة أخرى، وإذا كانت (المواضع الدلالية) للشيء بمثابة رؤيتنا لهذا الشيء فإن تحطيم هذه المواضع فعل يجاوز الرؤية إلى الرؤيا؛ المجاز - إذن- معبر إلى حيث نرى وننطلق من داخلنا؛ وهو بذلك ليس ضداً للحقيقة أو مقابلاً لها بل هو رمزها الأصيل الذي يكشف عن بُغديها(1080).

وهكذا باستعمال المبدع للمجاز تنتقل الدلالة من (الدلالة المركزية) إلى (الدلالة الهامشية) والدلالة الأخيرة هي مجال الإبداع الفني، ومناطق الفضيلة في الكلام.(1081)

((إنّ (الإبدال) و(التوحيد) و(التكافؤ) في عمل (الاستعارة) و(التشبيه البليغ) و(التشبيه) و(المجاز المرسل) آليات تجعل من المجاز نموذجاً لتفكيك الواقع المألوف للوعي وإعادة تركيبه من جديد وفقاً لمنطق آخر وهذا المنطق هو منطق الرؤيا التي تنجز -عبر حيوية تنويعها- هدفين أصليين: خلق العوالم المحتملة، ورؤية ما ليس مرئياً في واقع الأشياء والوجود. وقد يحقق المجاز بوصفه رؤياً هدفاً ثالثاً: -وإن لم يكن ذلك رهيناً بالمجاز وحده- هو التنبؤ بالآتي أو المصير)).(1082)

2- الصورة:

تتميز اللغة الأدبية عن اللغة العادية بتقنيات التعبير، وإذا كانت وظيفة اللغة عموماً التواصل والتفاهم؛ فإن اللغة الأدبية وظيفية أخرى هي الوظيفة الجمالية فالأدب فن استعمال اللغة. وعلى حين تتسم اللغة العادية بالتقريرية والتصريح؛ تتسم اللغة الأدبية بالتلميح والإملاء؛ إذ إنّ السياقات الأدبية هي سياقات التكثيف والاختزال.

(1078) تأويل مشكل القرآن: 63.

(1079) يُنظر: علمُ الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، ط1، 1419هـ-1998م، دار الشروق، القاهرة:

295.

(1080) يُنظر: النص القرآني من الجملة إلى العالم : 100.

(1081) يُنظر: البلاغة والأسلوبية: 64.

(1082) النص القرآني من الجملة إلى العالم : 100.

ومن التقنيات الأسلوبية في اللغة الأدبية: الصورة؛ فيكون هناك صورة في مقطع من الخطاب أو في الخطاب كله عندما لا يقتصر المعنى الكامن الذي ينتجه ذلك الخطاب على المعنى في الترتيب المفرداتي-النحوي وحده. (1083)

إنَّ الفنون أو الأشكال البلاغية: المجاز المرسل والاستعارة والتشبيه ترسم خطوط الصورة؛ ففي الصور المجازية ((التي تقوم بنيتها النوويّة على ما يلي: هناك دالّ يقع في خطاب، لكنّه لا يتطابق مع مدلوله العاديّ، وإنما مع مدلول ثانٍ لا يوجد دالّه العادي في الخطاب، بحيث يوجد نوع من العلاقة الدلالية بين المدلول الأول والمدلول الثاني. في المجاز المرسل، تعمل هذه العلاقة على منظومة الدلالة الذاتية (وفيه يندرج مجاز الكلية). وفي الاستعارة تعمل هذه العلاقة على دلالة التشبيه-الصورة)). (1084)

أما بخصوص البواعث الدلالية وقيمتها الأسلوبية فيلاحظ أن جميع الأشكال المجازية تكمن خلفها بواعث تتصل بالعلاقات القائمة بين المعنى الحرفي أو الحقيقي والمعنى المجازي؛ إن هذا التفاعل بين المعنيين هو الدلالة. (1085)

وتكمن أهمية الصورة أسلوبياً فيما تتيحه من حرية مطلقة للمبدع في الاختيار؛ بعكس الإمكانيات المحدودة المتاحة للمبدع في المستويين النحوي والمعجمي؛ فالمجال الذي لا يخضع فيه اختيار المبدع لأية حدود وتنطلق فيه الحرية الخلاقة إلى مداها هو الصورة. (1086)

وكثيراً ما يُناط ببعض أشكال المجاز المرسل تحديد وجهة نظر المبدع ورؤيته. (1087)

آلية تحليل المجاز:

((إن هدف التحليل الأسلوبي الحديث للأشكال البلاغية المختلفة لا يمكن أن يقتصر على مجرد حصرها وتعدادها في النص الأدبي، بل لا بد أن يبين أوضاعها المحددة ويكشف علائقها المتناغمة أو المتنافرة بالتركيز على مظهرين: أحدهما معرفة التوظيف البلاغي لهذه الأشكال وقياس مداه ووصفه، والآخر محاولة اكتشاف الأهمية النسبية لبعض هذه الأشكال في نص معين على ما سواها ودورها في تكوين بنيته)). (1088)

وعلى المحلل الأسلوبي أن لا يقف عند مجرد التصنيف الأولي لتعبيرات المجاز المرسل، بل عليه أن يحاول التقاط رأس الخيط الموصل إلى وحدة تأثيرية شاملة لكل الفنون أو الأشكال البلاغية المستعملة مما لا يعزى لأحدها بمفرده. (1089)

إنَّ المقاربة الأسلوبية للأشكال البلاغية ينبغي أن تتوجه لدراسة آلية إنتاج الدلالة الأدبية عبر هذه الأشكال. ويجب الانتقال من السؤال: ماذا يقول النص؟ إلى السؤال: كيف يقول النص؟ فالنص مكان يحدث فيه شيء ما: يتم فيه إنتاج معنى وقيمة. (1090)

(1083) ينظر: الأسلوبية: 210.

(1084) المصدر نفسه: 212

(1085) يُنظر: علمُ الأسلوب: 323.

(1086) يُنظر: علمُ الأسلوب: 324.

(1087) المصدر نفسه: 301.

(1088) المصدر نفسه: 294.

(1089) ينظر: المصدر نفسه: 300.

إنَّ السمة الأسلوبية المهيمنة في قصار السور هي الاقتصاد الأسلوبي فهي سور في غاية التكثيف والاقتضاب؛ وبناءً على ذلك فإنَّ معظم هذه السور -في المتن القرآني لدراستنا- يتناول غرضاً أو موضوعاً واحداً و إن استتبع ذلك نظرات جانبية⁽¹⁰⁹¹⁾؛ ولما تتناول السور القصيرة غرضين أو موضوعين كما في سورة العلق.⁽¹⁰⁹²⁾

إنَّ قصار السور تُعدُّ وبامتياز أنموذجاً رائعاً لوحدة الموضوع؛ فالسورة القصيرة سبباً متماسكة متجانسة تبدأ باستهلال بارع يُمهّد لموضوعها؛ فواسطة تتضمن عرضاً سريعاً لذلك الموضوع؛ فخاتمة تطابق موضوع السورة وقصدها، وتؤدي معناها، قد تكون دعاء، أو وعيد، أو موعظة، أو تحميد أو غير ذلك من الخواتيم الرائعة⁽¹⁰⁹³⁾. وقد تخدم السورة بأسلوب إنشائي طلبى كما في سورة الضحى إذ ختمت بالنهي عن قهر اليتيم وانتهاز السائل والأمر بالتحدث بالنعيم.

وكما في سورة الانشراح إذ ختمت بأمر الرسول بالرغبة إلى ربه، وفي خاتمة سورة العلق أمر للرسول (7) بالسجود والاقترب؛ والخطاب هنا وإن توجه للرسول؛ فإنه يتوجه كذلك من خلاله إلى كل متلق للنص القرآني؛ وهذه الأساليب الإنشائية الطلبية تجعل النص القرآني مفتوحاً وتضمن الاستجابة الفاعلة من المتلقي فهي أساليب أدبية عالية..

وفي بعض قصار السور يكون الموضوع أو الغرض واحداً ومع ذلك تتباين هذه السور تبايناً تاماً؛ كما في سورتي الكافرين والنصر؛ فكليهما في غرض واحد؛ فالأولى مكية وهي أنموذج في المسالمة والموادعة؛ والثانية مدنية تشتم منها رائحة العز والنصر لله ولرسوله وللمؤمنين.⁽¹⁰⁹⁴⁾

- إنَّ السور المكية تزخر بأساليب القسم الصريح إذ ورد في ثلاث وستين آية مكية؛ في حين ورد في ثماني عشرة آية مدنية.⁽¹⁰⁹⁵⁾

- كثرة أساليب الزجر والوعيد في السور المكية بحكم كون الخطاب القرآني المكي يتوجه إلى المشركين المكيين الجاحدين؛ فالحقل المفرداتي لتلك السور يزخر بمفردة (كلا)؛ فقد تكررت في المتن القرآني لدراستنا تسع مرات؛ وأحياناً تكرر ثلاث مرات في السورة القصيرة الواحدة كما في سورتي: العلق والتكاثر⁽¹⁰⁹⁶⁾؛ في حين اختفت تلك المفردة من جميع السور المدنية؛ وذلك في النصف القرآني الأعلى.⁽¹⁰⁹⁷⁾

- كما تكثر أساليب القسم بمظاهر كونية في السور المكية؛ في حين اختفت تلك الأساليب من السور المدنية⁽¹⁰⁹⁸⁾. والوحي المكي يحدد أصول العقيدة؛ فهو يتصل بالقلب ودعوته إلى الإيمان.⁽¹⁰⁹⁹⁾

(1090) يُنظر: الأسلوبية: 214.

(1091) يُنظر: الوحدة الموضوعية في القرآن، د.محمد محمود حجازي، 1970، مطبعة المدني-القاهرة: 41.

(1092) يُنظر: المصدر نفسه: 41.

(1093) يُنظر: الطراز: 184/3.

(1094) يُنظر: الوحدة الموضوعية في القرآن: 41.

(1095) يُنظر: دراسات في القرآن والحديث، د.يوسف خليل، د.ت. مكتبة غريب: 95.

(1096) يُنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: مادة (كلا).

(1097) يُنظر: الإتقان: مجلد 1/ج1: 54.

(1098) دراسات في القرآن والحديث: 99.

(1099) يُنظر: دراسات في القرآن، د.السيد أحمد خليل، د.ت. دار المعارف بمصر: 21.

أ- من أهم الموضوعات التي تناولتها قصار السور الميعاد أو يوم القيامة؛ وهذه السور هي: (الغاشية، الزلزلة، العاديات، القارعة، التكاثر)؛ وليوم القيامة في القرآن أسماء كثيرة تطلق عليه في المواضع المختلفة، لتوحي هذه الأسماء في مواضعها بالمعاني التي يستدعيها المقام؛ ف ((يدعى بيوم القيامة مثيراً في النفس هذه الحركة المائجة المضطربة، التي ينبعث فيها الأموات من أجدانهم كالجراد المبتوث؛ وبيوم الدين ملحوظاً فيه أنه اليوم الذي يجزى فيه كل إنسان بعمله خيراً أو شراً، ولما كان المثيب والمعاقب يومئذ هو الله وحده كان جميلاً رائعاً قوله: < ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾﴾)). (1100)

لقد وسمت سورتان -في المتن القرآني لدراستنا- باسمين من أسماء القيامة هما: الغاشية، والقارعة؛ على حين وسمت سورة أخرى بحدث كوني من أحداث القيامة وهي سورة الزلزلة؛ وهذه الأسماء عنوانات أدبية لتلك السور؛ وللعنوان دور ((العنصر الموسوم سيمولوجيا في النص بل لعله أشد العناصر وسماء)). (1101)

إنّ العنوان من منظور بعض محلي الخطاب نقطة انطلاق كل تأويل للنص؛ فمن العنوان أي من القمة ينطلق المتلقي في عملية تأويلية إلى القاعدة؛ ففي العنوان إلماعة وتحريك لأفق التوقع للتكهن بالمعنى أو باحتمالات ذلك المعنى. (1102)

إنّ الغاشية في اللغة هي ((غاشية السرج، وقيل غطاؤه والغاشية ما البس جفن السيف من الجلود، وقيل ما يتغشى قوائم السيف الأسفان وقال جعفر بن عليّة الحارثي [الطويل]:
نُقَاسِمُهُمْ أَسِيافَنَا شَرَّ قِسْمَةٍ فَفَيْنَا غَوَاشِيَهَا، وفيهم صدورُها

والغاشية داء يأخذ في الجوف، وكله من التغطية. يقال: رماه الله بغاشية. وقد أطلق هذا اللفظ على القيامة، لأنها تغشى الخلق بإفزازها وتعمهم)). (1103)

فكلّ ما يغطي الشيء يسمى غاشية؛ وقيل الغاشية في الأصل محمودة وإنما استعير لفظها في سورة الغاشية كناية عن القيامة وجمعها غواش (1104)؛ ويُقال: غشيت غاشية وهي الداهية (1105)؛ فهذا الاسم من أسماء القيامة ملحوظ فيه دلالة الإحاطة والعمومية والاستغراق والتهويل؛ إنها تستغرق الخلق بأجمعهم.

وأما دلالة (الزلزلة) عنوان سورة الزلزلة فهي الاضطراب، وتكريرُ حروف لفظه تنبيهٌ على تكرر معنى الزلّ فيه (1106)؛ و(الحقل المفرداتي) (*) للسورة يزخر بمعنى الاضطراب والحركة: (زلزل، زلزال، أخرجت، أُنْقَال، يصدر، أشتاتاً)؛ إن هذا المعنى -الاضطراب- ينتظم السورة بأسرها فهي من السور ذات الموضوع الواحد.

(1100) من بلاغة القرآن: 289.

(1101) بلاغة الخطاب وعلم النص: 236.

(1102) الشكل والخطاب: 253.

(1103) لسان العرب: مادة (غشي).

(1104) يُنظر: المفردات: مادة (غشي).

(1105) ينظر: أساس البلاغة: مادة (غشي).

(1106) يُنظر: المفردات: مادة (زل).

(*) الحقل المفرداتي: هو شبكة يتوزع في خاناتها -بطريقة منظمة وتراتبية- مجموع مفردات النص وذلك استناداً إلى مرجع تلك المفردات وإلى قيمتها الدلالية. يُنظر: الأسلوبية: 115-116.

ودلالة مفردة (القارعة) عنوان سورة القارعة البارعة الضرب الشديد؛ فالقرع في اللغة: الضرب، ((الأصمعي: يُقال: العصا فُرَعَتْ لذي الحلم أي إذا نُبِّهَ انْتَبَهَ. (...)) وأما القِرَاع والمقارعة: المضاربة بالسيوف (...)

ومعنى القارعة في اللغة النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم ولذلك قيل ليوم القيامة (القارعة)). (1107)

وفي استعمال صيغة اسم الفاعلة (القارعة) دلالة استمرار القرع وثباته؛ لقد عبّر الأسلوب القرآني عن يوم القيامة بالقارعة لشدة هولها وما فيها من مصائب وأهوال تفرع القلوب بالفزع وتفرع أعداء الله بالعذاب. (1108)

((ومن المجاز: فلان قريع قومه: لسيدهم وأصابته قارعة من قوارع الدهر، وتقول: فلان يخوض الوقائع ويروض القوارع. وفي الحديث: ((شيبّيتني قوارع القرآن)))). (1109)

والسورة كلها عن هذه القارعة؛ عن حقيقتها؛ وما يقع فيها، وما تنتهي إليه؛ فهي تعرض مشهداً من مشاهد القيامة. (1110)

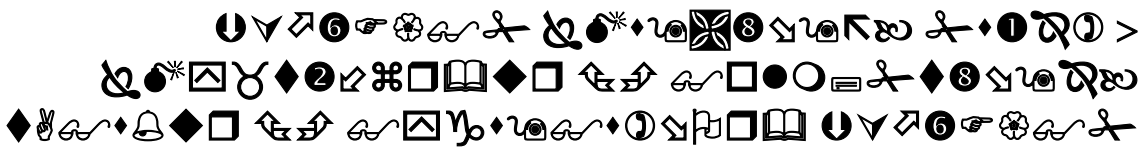
في هذه المقاربة الأسلوبية للأشكال البلاغية لن نهتم كثيراً بالتنظير والتقنين والتفريع لضروب الاستعارة والتشبيه؛ بل سنعد كل هذه الضروب مجازاً؛ فالاستعارة إنما هي جعل الشيء للشيء للمبالغة في التشبيه كقولك: لقيتُ أسداً، وأنت تعني أنك لقيت شجاعاً؛ ولا خلاف بين القدامى على أن الاستعارة على اختلاف أقسامها مجاز. (1111)

إنّ الدراسات الحديثة للأسلوب تميل إلى إحلال النموذج الدلالي محل (النموذج المنطقي) وهو يعتمد على أساس مخالف له، إذ يركز على كيفية أداء العبارة لدلالاتها بوصفها رسالة يبثها مرسل ويتلقاها متلق ويفك شفرتها لإدراك دلالاتها. (1112)

ولكي نلتقط الدلالة في التعبيرات المجازية ينبغي مجاوزة الدلالة الوضعية أو المركزية إلى الدلالة الهامشية أو الحاقّة ف ((المجاز مفعّل من جاز الشيء يجوزه، إذا تعداه، فإذا عدل باللفظ عمّا يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز)). (1113)

وحدّ المجاز: في المفردة: هو كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها الأول لملاحظة بين الأول والثاني.

وحده في الجملة: كل جملة أخرجت الحكم المستفاد بها عن موضعه لضرب من التأويل. (1114)



(1107) لسان العرب: مادة (قرع).

(1108) يُنظر: مجمع البيان: 679/10.

(1109) أساس البلاغة: مادة (قرع).

(1110) يُنظر: في ظلال القرآن: مجلد 8/ج30: 230.

(1111) يُنظر: بديع القرآن: 176.

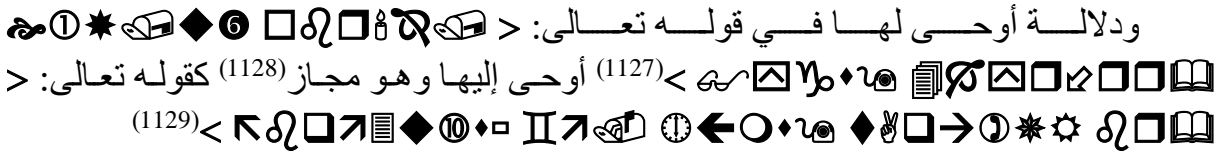

(1112) علم الأسلوب: 303.

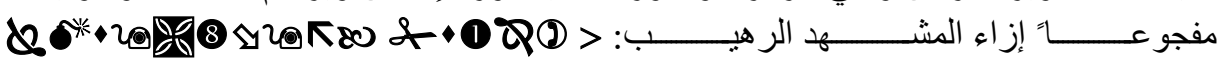
(1113) بديع القرآن: 175.


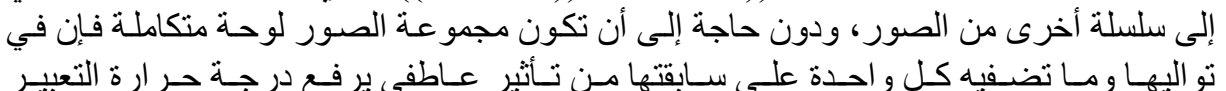
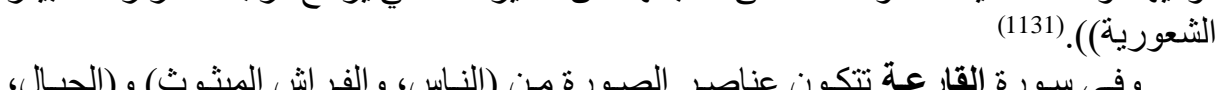
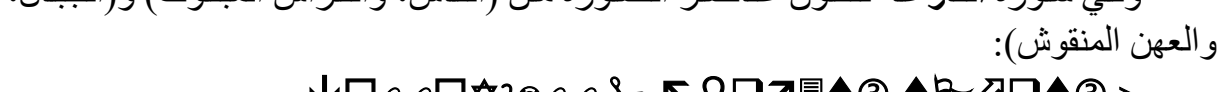


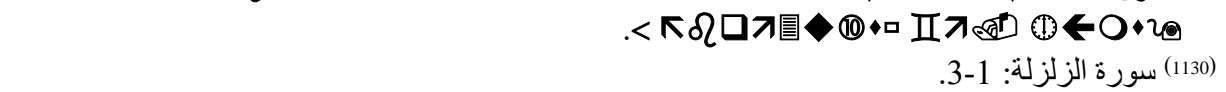

(1114) يُنظر: المصدر نفسه: 178.

الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر مَنْ يقول: ما لها؟ إلى تلك الأحوال فيعلم لماذا زلزلت ولماذا لَفَظَتِ الأموات. (1125)

إن التعبير المجازي في هذه الآية أفاد تقرير فاعلية الأرض بحيث تستغني عن فاعل؛ وفيه أيضاً ((تأكيد للظاهرة الأسلوبية المطردة في صرف النظر عمداً عن الفاعل الأصلي لأحداث البعث والقيامة. ثم لا يغيب عنا ما لهذا الصنيع من قوة وإيحاء)). (1126)

ودلالة أوحى لها في قوله تعالى: >  < (1127) أوحى إليها وهو مجاز (1128) كقوله تعالى: >  < (1129)

وتكمن جمالية التصوير القرآني في كونه لا يقتصر على تصوير العناصر الطبيعية في مشاهد القيامة كتصوير الأرض وهي تنزل وتمور، بل يصور الإنسان ويرسم انفعالاته وهو يقف مفجوعاً إزاء المشهد الرهيب: > 

وفي سورة القارعة تتكون عناصر الصورة من (الناس، والفراش المبتوث) و(الجبال، والعهن المنقوش):

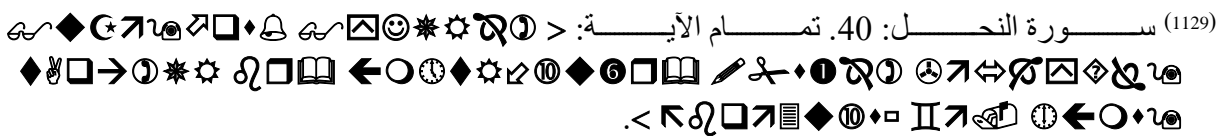
>  <           

(1125) يُنظر: الكشف: مجلد 276/4

(1126) التفسير البياني: 88/1.

(1127) سورة الزلزلة: 5.

(1128) يُنظر: الكشف: مجلد 276/4

(1129) سورة النحل: 40. تمام الآية: >  <

(1130) سورة الزلزلة: 1-3.

(1131) علم الأسلوب: 306.

(1132) سورة القارعة: 4-5.

(1133) الكشف: مجلد 279/4.

منها، إذ لا تلبث إلا قليلاً لتلاقي حتفها؛ وقد عمد الأسلوب القرآني في هذه الآية إلى فن التلميح وذلك بإشارته البارعة إلى مثل من أمثال العرب وهو قولهم: أعظمُ تهوُّراً من قَرَاشة. (1134)

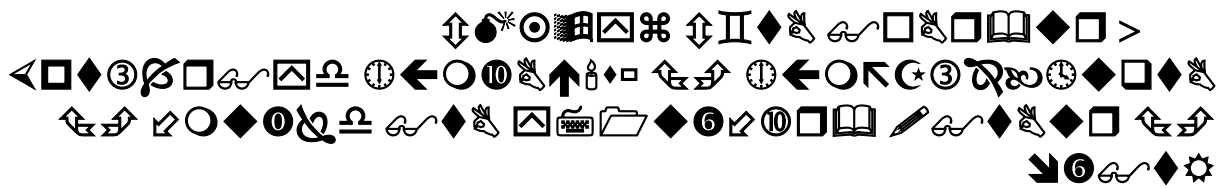
وإذا كان الناس في يوم القيامة كالفراش المبتوث فإن الجبال تكون كالعهن المنفوش: >



الجامع بينهما: اللون؛ إذ إنَّ العهن هو الصوف المصبوغ وتخصيص العهن لما فيه من اللون (1136)؛ وإنما شبه الجبال بالعهن لأنها -كما العهن- ألوان (1137). أما على مستوى الصورة فالجامع بينهما تفرق الأجزاء وتشنتها (1138)؛ والمقصود بالنفش نشر الصوف (1139).

فالمشهد المعروض في سورة القارعة ((مشهد تتناول آثاره الناس والجبال فيبدو الناس في ظله صغاراً ضئلاً على كثرتهم: فهم ((كالفراش المبتوث)) مستطارون مستخفون في حيرة الفراش الذي يتهافت على الهلاك، وهو لا يملك لنفسه وجهة، ولا يعرف له هدفاً! وتبدو الجبال التي كانت ثابتة راسخة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح وتعبث به حتى الأنسام! فمن تناسق التصوير أن تسمى القيامة بالقارعة)). (1140)

وتختم سورة القارعة بوصف جهنم التي تحيط بالكافر:



الولد وغازيته، ومفرعه، ومأواه وبيته، وكانت النار للكافر كذلك جعلها أمه (1142)؛ ودلالة ذلك التعبير المجازي أو التشبيه: أن النار مقر الكافر الذي لا يبرحه؛ وفي مفردة (الهاوية) ملحظ الانحدار والعمق السحيق كما روي يهوى فيها سبعين خريفاً (1143)؛ فالهُويّ سقوط من علُوٍ إلى أسفل (1144)؛ وكل شيء من قريب يُقال أهوى، وكل شيء من بعيد يُقال هوى. (1145)

(1134) يُنظر: الطراز: 171/3.

(1135) سورة القارعة: 5.

(1136) يُنظر: المفردات: مادة (عهن).

(1137) يُنظر: الكشاف: مجلد 4/279.

(1138) ينظر: المصدر نفسه: 279/4.

(1139) يُنظر: المفردات: مادة (نفش).

(1140) في ظلال القرآن: مجلد 8/ج30: 230.

(1141) سورة القارعة: 8-11.

(1142) تأويل مشكل القرآن: 77.

(1143) ينظر: الكشاف: مجلد 4/280.

(1144) يُنظر: المفردات: مادة (هوى).

(1145) يُنظر: إعراب ثلاثين سورة: 176.

أما سورة الغاشية فتستهل بالاستفهام: > ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَمَاوَاتٌ مَّوَدَّانًا﴾ (1146)؛ إن الاستفهام في مثل هذه المواضع القرآنية يفيد التقرير والتحقيق؛ ولكننا لا نعدم أن نجد في (هل) شيئاً آخر: هو إثارة المتلقي وتشويقه..

وبعد أسلوب الاستفهام يعمد الأسلوب القرآني إلى التعبير الاستعاري لتصوير مشهد من مشاهد القيامة:

> ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَمَاوَاتٌ مَّوَدَّانًا﴾ (1147)؛ والمراد بالوجه هنا أرباب

الوجوه (1148)؛ وربما عُبر عن الذات بالوجه لأن الوجه أول ما يستقبلك، وأشرف ما في ظاهر البدن (1149)؛ وهو مرآة الإنسان ففي ملامحه وتعابيره يتجلى فرح الإنسان وحزنه وسعادته وشقائه وعزته وذلته.

وتنهض الاستعارة بدور كبير في الوظيفة الشعرية أو (الوظيفة الأدبية) المتصلة بجوهر الرسالة؛ والبواعث الجوهرية للرسالة إنما تأتي من الوظيفة الندائية الموجهة إلى المتلقي؛ فالاستعارة تُعبر عن انفعال أو شعور وتجعلها موضوعاً للمشاركة (1150).

إن المتلقي ينبهر أمام هذه الصورة أو حديث الغاشية: وجوه ذليلة؛ تجر السلاسل والأغلال، وتخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل، وارتقاؤها في صعودها من النار؛ وهبوطها في حذر منها (1151)؛ طعام هؤلاء الضريع (*) وهو يبيس الشبرق.

في تلك النار الحامية الحارّة؛ يطلب المعذبون الماء فيسقون من عين أنية: حارّة بالغة الحرارة (1152).

ثم ينتقل التعبير القرآني الاستعاري ليصور مشهداً آخر:

> ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَمَاوَاتٌ مَّوَدَّانًا﴾ (1153)؛ إن الرضا والسخط إنما يوصف به

أصحاب الوجوه (1154)؛ إذ إن الوجه يُطلق ويراد به جميع البدن (1155)؛ فالآيات ترسم مشهداً لأهل

(1146) سورة الغاشية: 1.

(1147) سورة الغاشية: 2-3.

(1148) يُنظر: تلخيص البيان: 364.

(1149) يُنظر: المفردات: مادة (وجه).

(1150) يُنظر: علم الأسلوب: 307.

(1151) ينظر: الكشف: مجلد 4/246.

(*) الضريع: نوع من الشوك يكون بالحجاز؛ ترعاه الإبل ما دام رطباً، ويقال لرطبه: الشبرق لا يسمن ولا يشبع؛ فإذا يبس تحامته الإبل وهو سم قاتل. يُنظر: الكشف: مجلد 4/246، وتأويل مشكل القرآن: 48.

(1152) يُنظر: المفردات: مادة (أنى)؛ الكشف: مجلد 4/246.

(1153) سورة الغاشية: 8-11.

(1154) يُنظر: تلخيص البيان: 365.

(1155) يُنظر: حل مشكلات القرآن: 148/2.

﴿ وَصَفَتِ السَّمَاوَاتُ بِأَنْهَاءِ مَا يَدْعُونَ بِهَا الْمَاءَ ﴾ (1168)؛ وفي التعبير الاسمي تعاري: >
 ﴿ وَصَفَتِ السَّمَاوَاتُ بِأَنْهَاءِ مَا يَدْعُونَ بِهَا الْمَاءَ ﴾ (1169)

ترجع بדרور الأمطار، وتعاقب الأنواء، مرة بعد مرة، وتعطي الخير حالة بعد حالة (1170).
 ويتوفر هذان القسمان القرآنيان على مناسبة لطيفة؛ فالرجع: المطر - وإنما سُمِّيَ رَجْعًا لِرَدِّ
 الهواء ما تناولهُ من الماء- (1171)؛ ولذلك يقال: ورزقنا الله رَجْعَ السماء وهو المطر (1172)؛ والصدع
 ما تتشقق عنه الأرض من النبات كالعشب (1173).

وثمة مناسبة رائعة أخرى بين دلالة هذا القسم وظلال المعنى فيه وبين ما تختتم به السورة من
 أمر الرسول بإمهال الكافرين قليلاً وعدم الاستعجال عليهم بالدعاء بهلاكهم؛ لأن مرجعهم وإيابهم
 إلى الله: > ﴿ وَصَفَتِ السَّمَاوَاتُ بِأَنْهَاءِ مَا يَدْعُونَ بِهَا الْمَاءَ ﴾ (1174)؛ وإنما كرر وخالف بين
 اللفظين: (فمهل، أمهلهم) لزيادة التسكين عن النبي والتصبير له (1175).

أما سورة البلد فتتناول معاناة النفس الإنسانية؛ إذ نجد بؤرة الدلالة في الآية: >
 ﴿ وَالْكَبِدَ أَصْلَهُ مِنْ قَوْلِكَ كَيْدِ الرَّجُلِ كَبِدًا فَهُوَ أَكْبَدُ إِذَا وَجَعَتْ كَبِدُهُ
 وَانْتَفَخَتْ فَاتَسَعَّ فِيهِ حَتَّى اسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ، وَمِنْهُ اشْتَقَّتْ الْمَكَابِدَةُ ﴾ (1177)؛ فالإنسان في
 تعب ومشقة بدءً بظلمة الرحم وضيقة وانتهاءً بظلمة القبر ووحشته والموت وما بعده (1178)؛ فنبهت
 الآية أن الله تعالى خلق الإنسان على حالة لا يَنفَكُ مِنَ الْمَشَاقِّ مَا لَمْ يَقْتَحِمِ الْعُقْبَةَ وَيَسْتَقِرَّ بِهِ
 القرار (1179).

وقد تواترت الاستعارات التي تُعبّر عن هذا المعنى:

> ﴿ وَالْكَبِدَ أَصْلَهُ مِنْ قَوْلِكَ كَيْدِ الرَّجُلِ كَبِدًا فَهُوَ أَكْبَدُ إِذَا وَجَعَتْ كَبِدُهُ
 وَانْتَفَخَتْ فَاتَسَعَّ فِيهِ حَتَّى اسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ، وَمِنْهُ اشْتَقَّتْ الْمَكَابِدَةُ ﴾ (1180)؛ إن استعمال الفعل (هلك) في هذا التعبير القرآني استعمال مجازي؛ كالمجاز في قولنا:
 ((مفازةٌ تَهْلِكُ فِيهَا الْأَرْوَاحُ)) (1181)؛ وإهلاك المال يكون بانفاقه حتى ينفد أو يكاد.

(1168) سورة الطارق: 11-12.

(1169) سورة الطارق: 11.

(1170) ينظر: تلخيص البيان: 364.

(1171) يُنظر: المفردات: مادة (رجع).

(1172) يُنظر: أساس البلاغة: مادة (رجع).

(1173) يُنظر: الكشف: مجلد 4/242، وتلخيص البيان: 364.

(1174) سورة الطارق: 17.

(1175) يُنظر: الكشف: مجلد 4/242.

(1176) سورة البلد: 4.

(1177) الكشف: مجلد 4/255.

(1178) يُنظر: أنوار التنزيل: 799.

(1179) يُنظر: المفردات: مادة (كبد).

(1180) سورة البلد: 6.

(1181) يُنظر: أساس البلاغة: مادة (هلك).

إن دلالة الهلاك في هذا التعبير الاستعاري هي كثرة إنفاق المال من قبل هذا الصنديد القرشي فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها مفاخر؛ وهذا الصنديد كان يستضعف المؤمنين؛ وقوله هذا إنما يكون يوم القيامة وهو يتحسر على ما أنفق في غير مرضاة الله. إن كثرة الإنفاق التي أفادتها الآية تستفاد من جهتين:

- من جهة التعبير الاستعاري: (أهلكت).

- ومن جهة نعت المال باللبد إذ ((المراد باللبد ههنا المال الكثير الذي قد تراكب بعضه على بعض كما تلبدت طرائق الشعر، وسبائخ القطن)). (1182)

أما الاستعارة الثانية فنجدها في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي السُّعْيُ وَالْجِدُّ﴾ (1183)؛ والتجد المكان الغليظ العالي (1184)؛ والمراد بالنجدين ههنا الطريقان المفضيان إلى الخير والشر؛ وإنما عبّر عن هذين الطريقين بالنجدين لأنه تعالى بيّنهما للمكلفين بياناً واضحاً ليَتَّبِعُوا سَبِيلَ الْخَيْرِ، وَيَجْتَنِبُوا سَبِيلَ الشَّرِّ؛ فكأنه تعالى بفرط البيان لهما قد رفعهما للعيون، ونصّبهما للناظرين (1185). فدلالة التعبير الاستعاري هنا: شدة وضوح طريقي الخير والشر بما لا يدع مجالاً للمقصرين والعاصين للتحجج بعدم وضوحهما.

ثم تأتي استعارة قرآنية ثالثة: ﴿وَالْجِبَلُ رُكُودٌ﴾ (1186)؛ والاقترام الدخول والمجازة بمشقة وشدة مخيفة (1187)؛ ((واقترح العقبة أو وهدة أو نهراً: رمى بنفسه فيها على شدة ومشقة، وأقحم دابته النهر (...)) ومن المجاز: قحم نفسه في الأمور: دخل فيها بغير روية)). (1188)

أما العقبة فهي طريق وعرة في الجبل، والجمع عُقبٌ وعقبٌ وعقابٌ (1189)؛ فشبه سبحانه وتعالى فعل الفك والإطعام - لو فعله الإنسان - ((باقتحام العقبة، أي صعودها أو قطعها، لأن الإنسان ينجو بذلك كالناجي من الطريق الشاق، إذا اقتحم عقبته، وتجاوز مخافته، وحسن تمثيل هذا الفعل ههنا بالعقبة لما شبّه سبحانه سبيل الخير والشر بالنجدين اللذين هما الطريقان الواضحان، والعقاب إنما تكون في طريق السالكين، وسبيل المسافرين. وعليها يكون بهر الأنفاس، وشدة الضغط والمراس)) (1190)؛ فدلالة هذه الاستعارة: النجاة بمكابدة ومشقة؛ فيكون معنى الآية: ﴿وَالْجِبَلُ رُكُودٌ﴾ (1191) ((فلم يشكر تلك الأيادي باقتحام العقبة وهو الدخول في أمر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والإطعام)). (1192)

(1182) تلخيص البيان: 366.

(1183) سورة البلد: 10

(1184) يُنظر: المفردات: مادة (نجد)؛ وتلخيص البيان: 366.

(1185) يُنظر: تلخيص البيان: 366.

(1186) سورة البلد: 11.

(1187) يُنظر: الكشاف: مجلد 4/256، والمفردات: مادة (قحم).

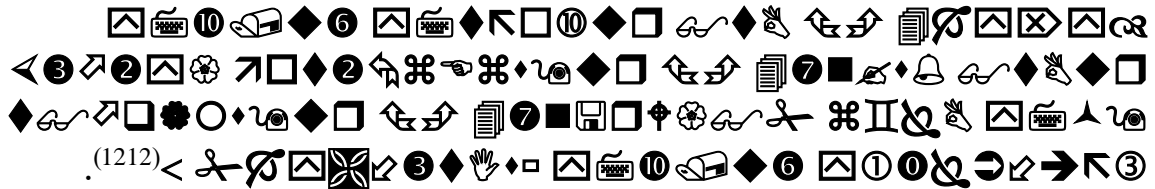
(1188) أساس البلاغة: مادة (قحم).

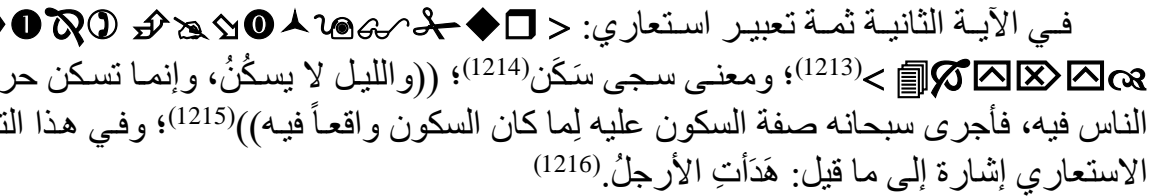
(1189) يُنظر: المفردات: مادة (عقب).

(1190) تلخيص البيان: 367.

(1191) سورة البلد: 11.

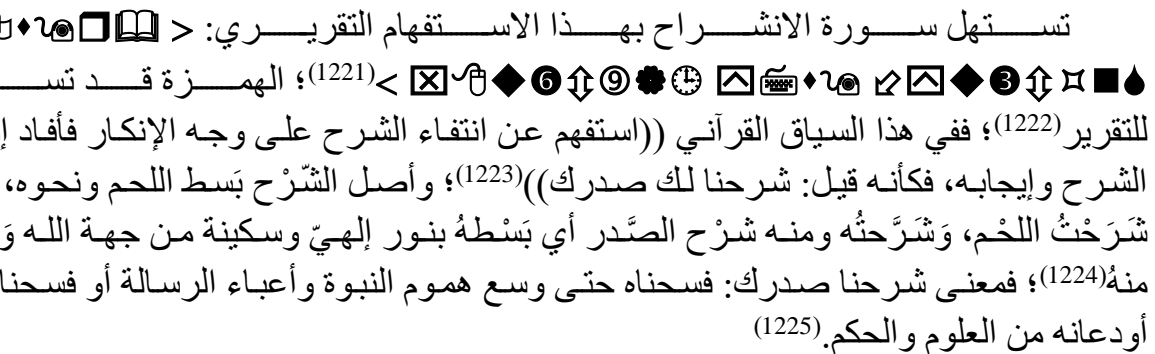
(1192) أنوار التنزيل: 799.



في الآية الثانية ثمة تعبير استعاري: >  < (1213)؛ ومعنى سجي سَكَنَ (1214)؛ ((والليل لا يسكُنُ، وإنما تسكن حركات الناس فيه، فأجرى سبحانه صفة السكون عليه لما كان السكون واقعاً فيه)) (1215)؛ وفي هذا التعبير الاستعاري إشارة إلى ما قيل: هَدَاتِ الأرجلُ. (1216)

يتضمن جواب القسم منفيين بعد أن تضمن القسم مثبتين (1217): >  < (1218)؛ وحقيقة أن الله تعالى مع رسوله الكريم فما ودعه وما قلاه حقيقة كبرى تهدينا إلى درجة الرسول الرفيعة التي حباه الله بها في الدنيا والآخرة.

وبين سورتي الضحى والانشراح ثمة علاقة وثيقة؛ ففي ترتيب النزول تأتي سورة الانشراح كالتمتة للضحى؛ إذ بالإضافة إلى توفرهما على الموضوع نفسه؛ ثمة تناسب بينهما في الجمل، ولهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما (1219)؛ ((وفي حديث الإسراء، أن الله قال له: يا محمد!! ألم أجدك يتيماً فأويت، وضالاً فهديت، وعائلاً فأغنيت، وشرحت لك صدرك، وحططت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت)) (1220).

تستهل سورة الانشراح بهذا الاستفهام التقريبي: >  < (1221)؛ الهمزة قد تستعمل للتقرير (1222)؛ ففي هذا السياق القرآني ((استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح وإيجابه، فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك)) (1223)؛ وأصل الشرح بَسَطَ اللحم ونحوه، يُقال شَرَحْتُ اللحم، وَشَرَحْتُهُ ومنه شَرَحَ الصِّدْرُ أي بَسَطَهُ بنور إلهي وسكينة من جهة الله وَرَوَّحَ مِنْهُ (1224)؛ فمعنى شرحنا صدرك: فسحناه حتى وسع هموم النبوة وأعباء الرسالة أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم. (1225)

(1212) سورة الضحى: 1-5.

(1213) سورة الضحى: 2.

(1214) يُنظر: المفردات: مادة (سجا)، والكشاف: مجلد 4/263، وأساس البلاغة: مادة (سجا).

(1215) تلخيص البيان: 367.

(1216) يُنظر: المفردات: مادة (سجا).

(1217) يُنظر: تفسير الجلالين: 802.

(1218) سورة الضحى: 3.

(1219) يُنظر: تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي، تح عبد الله محمد الدرويش، ط1، 1983م، دون ذكر مكان الطبع: 97.

(1220) المصدر نفسه: 98.

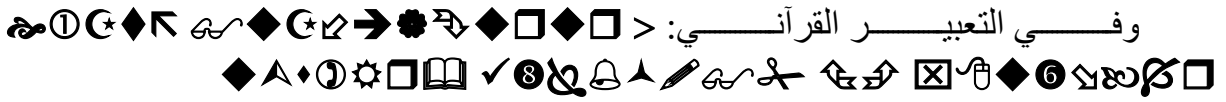
(1221) سورة الانشراح: 1.

(1222) يُنظر: الطراز: 190/3.

(1223) يُنظر: الكشاف: مجلد 4/266.

(1224) يُنظر: المفردات: مادة (شرح).

(1225) يُنظر: الكشاف: مجلد 4/266.

وفي التعبير القرآني: >  وفي التعبير القرآني: >


إلى حال إنقاض الظهر، وهو صوت تقعع العظام من ثقل الحمل. لأن هذا القول لا يكون إلا كناية عن الذنوب العظيمة، والأفعال القبيحة وذلك غير جائز على الأنبياء (E)). (1227)

وليس المراد بوضع الوزر -هنا- كناية عن الذنوب، وإنما المراد ما كان يعانيه النبي (7) ويكابه من مكر قومه؛ وكل ذلك حرج في صدره، وثقل على ظهره؛ فنصره الله وأيده بأن أذهب عنه المخاوف كلها، وحطّ عن ظهره الأعباء بأسرها، وقدّم ذكره على كل ذكر، ورفع قدره على كل قدر، حتى أمن بعد الخيفة، وأطمأن بعد القلق (1228)

هـ -ثمة أربع سور تتسم بالوعيد والزجر الشديد: ((الهمزة، الفيل، الماعون، تبت)).

تتضمن سورة الهمزة وعيداً أو نذيراً عاماً لكل همزة لمزة، فإنها -السورة- وإن نزلت في شخص بعينه، فإنه يجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه فإن ذلك أجزر له وأنكى فيه (1229)؛ إنَّ الحقل المفرداتي للسورة مسخر لتأكيد الوعيد والزجر الشديد: (ويل، يحسب، كلا، لينبذن، الحطمة، نار، الموقدة، تطلع، مؤصدة).

تستهل السورة بمفردة عذاب وسخط وانتقام: (ويل) وقد أضفى المجيء بها نكرة مزيداً من التهويل ولعل ذلك هو الذي سوّغ الابتداء بها. (1230)

أما سورة الفيل فتستهل بهذا الاستفهام التعجبي: >  أما سورة الفيل فتستهل بهذا الاستفهام التعجبي: >

خطاب لكل متلقٍ كما في هذه الآية ((وأصل الخطاب وارداً على جهة التعيين، وقد يعدل به إلى غير ذلك ليعم كل مخاطب)). (1232)

ونرصد في آية الاستهلال ملحظاً دلاليّاً وهو إضافة المفردة الشريفة: (ربّ) إلى كاف الخطاب التي تخص الرسول (7)؛ وفي ذلك ((تشريف له [7] وإشادة من ذكره كأنه قال ربك ومعبودك هو الذي فعل ذلك لا أصنام قريش أسافة ونائلة)). (1233)

وتختتم سورة الفيل بهذا التشبيه المركب: >  وتختتم سورة الفيل بهذا التشبيه المركب: >

(1226) سورة الانشراح: 2-3.

(1227) تلخيص البيان: 367-368.

(1228) يُنظر: المصدر نفسه: 368.

(1229) يُنظر: الكشاف: مجلد 4/283.

(1230) يُنظر: مقالنا الموسوم: (قراءة في سورة الهمزة) المنشور في جريدة الدعوة الإسلامية (ليبيا)، عد 787 في 17 من شهر ذي القعدة الموافق 30 من شهر (1) أي النار 1370 من وفاة الرسول.

(1231) سورة الفيل: 1.

(1232) الطراز: 261/3.

(1233) البحر المحيط: مجلد 8/512.

(1234) سورة الفيل: 5.

وإنما خصَّ هذه الأشياء الثلاثة بالذكر تعظيماً لسرها وهو من قبيل عطف الخاص على العام
تعظيماً لشرفه وفضله. (1245)
أما الاستعاذة في سورة الناس فمن الشيطان فقط.

(1245) يُنظر: حل مشكلات القرآن: 160/2.

الخاتمة

على الرغم من صعوبة اختصار الدراسة التطبيقية إلى بضع نتائج؛ إنَّ الدراسة بأجمعها تصبح نتيجة؛ وتذوب النتائج في زوايا التحليل وفي تفاصيله الدقيقة؛ على الرغم من ذلك واستجابة للمتطلبات المنهجية نشير إلى النتائج الآتية:

- تنهض الفواصل في قصار السور بدور كبير على المستوى الصوتي؛ إذ تتقارب الفواصل بسبب قصر الآيات؛ ويكمن مفعولها الأسلوبية في التكرار المنتظم للقلب الصوتي نفسه أو لقالبين متقاربين في تخوم الآيات وذلك باستعمال الفواصل المتوازية أو المتوازنة.

- لغرض إضفاء المزيد من التماثل والتشاكل الصوتي بين فواصل الآيات في قصار السور يلجأ الأسلوب القرآني إلى تشغيل تقنية صوتية أخرى هي (لزوم ما لا يلزم)؛ كما في سور: (الضحى، الانشراح، العلق، الفلق).

- خلصت الدراسة إلى أنَّ الفواصل في قصار السور من حيث حروف الروي ثلاثة أنواع: متماثلة الروي، شبه متماثلة الروي، ذات روي متقارب.

- كشف الإحصاء أن الفواصل المهيمنة في قصار السور هي الفواصل المجهورة الروي؛ خصوصاً أصوات: الألف، النون، الدال، الراء؛ وهذه الأصوات بفعل توفرها على الإثارة الجهورية تتناغم مع سياق الوعيد في هذه السور.

- من الظواهر الأسلوبية اللافتة في قصار السور ظاهرة المخالفة والعدول في الفاصلة الختامية من السورة كما في سور: (الضحى، الفجر، العلق)؛ إن الإيقاع الناتج من السياق الأسلوبية في هذه السور عنصر أساس في إنتاج الدلالة.

- كشف الإحصاء أنَّ تكرار أو ترديد الصوت المفرد من التقنيات الصوتية المستعملة في قصار السور؛ إذ ينتقي الأسلوب القرآني المعجز الأصوات المعبرة عن طبيعة الفكرة أو المعنى أو المشهد؛ ويوظفها للإيحاء بالمعنى ورسم ظلاله؛ كما في انتقاء صوت الياء الذي يشكل مهيمناً صوتياً في سورة البينة.

- وجَّهت الدراسة تواتر صوت اللام في قصار السور توجيهاً أسلوبياً؛ بكونه يخضع لقانون الجهد الأدنى.

- كشف التحليل الأسلوبية الصوتية؛ أنَّ صوت الميم من المهيمنات الصوتية في قصار السور وذلك لأنه صوت شفوي المخرج؛ فلا يُبذل في تقطيعه إلا جهد هين؛ فهو خاضع إلى قانون المجهود الأدنى؛ وبسبب توفره على صفة الذلاقة يضيف مسحة جمالية على المفردة التي يرد فيها.

- كشف الإحصاء أن الأسلوب القرآني في قصار السور مقل في استعمال بعض الأصوات كالثاء والذال والخاء والشين والصاد والطاء والظاء والغين ففي بقية الأصوات مندوحة عن هذه الأصوات.

- كشفت الدراسة أن التجانس التركيبي من الظواهر الأسلوبية المهيمنة في قصار السور؛ وهو يستثمر المستويات الثلاثة: الصوتية، التركيبية، الدلالية؛ وينهض بتحقيق الإيقاع الداخلي على المحور الأفقي؛ كما كشفت الدراسة أن الظاهرة الأسلوبية (الشكل - المعنى) من المهيمنات الأسلوبية في قصار السور.

- كشف التحليل الأسلوبي أنّ البنية الأسلوبية الجناسية في قصار السور تحقق تماثلاً فونيمياً كلياً أو جزئياً مما يساهم في تحقيق الإيقاع الداخلي؛ وقد هدانا التأمل في الأنماط التجنيسية إلى أن الأسلوب القرآني في قصار السور غالباً ما يستعمل هذه البنية الأسلوبية في الفواصل؛ ولما كانت الفواصل تمثل وقفة صوتية فإنّ هذه البنية الأسلوبية تحقق أثراً أسلوبياً فعالاً لدى المتلقي؛ ويكمن الإعجاز الأسلوبي القرآني في استعمال هذه البنية في كون هذا الاستعمال غالباً ما يصور مفارقة؛ إذ بينما تتوفر هذه البنية الأسلوبية على بنية إيقاعية فإنّها في الوقت عينه تصور مفارقة دلالية.
- من تجليات الإعجاز الأسلوبي القرآني؛ تواسج المستويين الصوتي والدلالي؛ ولذلك فإن الأسلوب في قصار السور يتلون بألوان وأنواع الإيقاعات تبعاً لتغير المعاني؛ كما في سورة الفجر التي اشتملت على عدة مشاهد؛ فتعدد الإيقاع إذ تعدد نظام الفواصل وتغيّرت حروف الروي بحسب تنوع تلك المشاهد؛ وكما في سورة العاديات التي هي أنموذج للإيقاع السريع.
- كشف التحليل الأسلوبي الصوتي: أنّ بعض قصار السور: (الليل، الضحى، الانشراح) تستمد إيقاعها من اشتغالها على نظام صوتي خاص اصطلاحاً عليه بالنظام الرباعي وهو نظام إيقاعي يتسق مع طبيعة السورة القصيرة ذات الدفقة المكثفة.
- يكمن المفعول الأسلوبي للتقديم في مفاجأته لـ (أفق توقع) المتلقي؛ وقد كشف الإحصاء أنّ تقديم (شبه الجملة) هو أكثر الأنماط شيوعاً في قصار السور إذ تكرر في بضعة وثلاثين موضعاً؛ وكشف التحليل الأسلوبي أن هذا النمط من التقديم يرتبط بالمستوى الدلالي ارتباطاً وثيقاً؛ إذ غالباً ما يرد في سياقات مؤكدة بقوة.
- كشف التحليل الأسلوبي أن تقديم شبه الجملة المخبر بها عن تاليها نوعان: الأول - يفيد الاختصاص؛ والثاني - يراعي فيه حسن النظم لا الاختصاص.
- كشفت الدراسة أنّ (الحذف) من المهيمات الأسلوبية في قصار السور؛ بحكم كون معظم هذه السور مكية يتوجه الخطاب فيها إلى المشركين الجاحدين المعاندين؛ وهذا المقام من مقامات الإيجاز.
- تمخض التحليل الأسلوبي عن أنّ حذف المبتدأ ظاهرة أسلوبية وذلك في كل موضع سبق باستفهام تهويلي عن النار كما في سورتي الهزرة والقارعة.
- يتوفر حذف المفعول به في قصار السور على مفعول أسلوبي كما في حذف المفعولات في سورة الضحى.
- يفيد حذف المفعول به في سور: (العلق، التكاثر، الكوثر) الاقتصار على إثبات المعاني التي اشتقت منها الأفعال لفاعليها.
- يهدينا الاستقراء إلى أنّ الحذف في الصيغ وهو نمط من حذف الحروف مهيمن أسلوبياً في قصار السور ويؤدي وظيفة صوتية: كما في حذف تاء المضارعة: (تلظى) في سورة الليل؛ وحذف التاء من (تنزل) في سورة القدر؛ وحذف الحرف الأخير في الفاصلتين: (يسر، وإد) في سورة الفجر.
- من الإجراءات الأسلوبية في قصار السور (الذكر)؛ كما في ذكر متعلق الفعل (قدر) في سورة الفجر؛ لينتج من التركيب القرآني: (قدر عليه) دلالة التضييق؛ وكما في ذكر (لك، عنك) في سورة الانشراح وذلك لإفادة التقرير وتأكيد الاختصاص.

- كشف التحليل الأسلوبي عن وجود (تظافر أسلوبي) بين أسلوبي الاستفهام التعجبي وأسلوب الإظهار في قصار السور: (البلد، القدر، القارعة، الهمزة)؛ وهذا التظافر الأسلوبي يثري التعبير القرآني بدلالات التعظيم والتهويل والتفخيم.

- أشارت الدراسة إلى أن بعض الباحثين يخلطون أسلوب الإظهار بأسلوب الذكر وهذا العمل يخالف منهجية البحث العلمي.

- لأسلوب الإظهار وظيفتان: صوتية ودلالية؛ وتتجلى الوظيفة الصوتية جيداً حينما يتم هذا الأسلوب في الفواصل ليحقق التماثل الصوتي فيها؛ وتعد سورة الناس أنموذجاً لذلك.

- كشف التحليل الأسلوبي أن قصار السور تتوفر على نسق أسلوبي رائع؛ وقد قاربت الدراسة قصار السور مقارنة شمولية وذلك بالنظر للنص بوصفه بنية واحدة؛ وهذه المقاربة توجه التحليل إلى تعاقب الجمل، أي إلى الخطاب القرآني؛ وقد كشف التحليل عن عناية الأسلوب القرآني بترتيب العناصر اللغوية، وعن دقة أسلوبية في انتقاء حروف المعاني، وعن استعمال رائع للضمائر، وأسلوب التكرار، وأدوات الاتساق اللغوي: أسماء الإشارة، النعوت، كما توفرت قصار السور على تقنيات أخرى للنسق الحسن: الإجمال والتفصيل، الإبهام والتفسير، التخصص والتعميم.

- توفرت بنية القسم في قصار السور على مناسبات لطيفة كما في سورتي: البلد، الشمس .

- كشف التحليل الأسلوبي لسورة الليل عن توفرها على مناسبة بين المقسم به والمقسم عليه من خلال نسق المفارقة.

- استعمال بنية الشرط للربط كما في سورتي: الزلزال، النصر.

- الربط بالاستفهام وجوابه كما في سورة الغاشية.

- الربط بالصفات فالصفات من الروابط التي تساهم في إضفاء التماسك والانسجام بين تراكييب وجمل النص في قصار السور؛ كما أن ترتيب هذه الصفات يتوفر على نسق أسلوبي؛ كما في ترتيب الصفات الإلهية في سورتي الحمد والأعلى.

- كشف التحليل الأسلوبي أنَّ خلو معاهد الآيات في سورة الحمد من حروف العطف – لا سيما بين الصفات – يعزى إلى أنَّ هذه الصفات تنتمي إلى حقل دلالي واحد هو (حقل الرحمة)؛ فالرابط بينها رابط معنوي والرابط المعنوي أقوى من الرابط اللفظي.

- كشف التحليل الأسلوبي أنَّ السياق القرآني في سورة الأعلى في الآيات التي تضمنت الصفات بصدد تقرير وتعدد صفات المولى بعد الأمر بتنزيه اسمه عزَّ وجلَّ؛ وبؤرة هذا المعنى هو المجيء بالواو:

﴿ وَوَجَّهْنَا وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْمُشْتَرِكِ لَا تَكْفُرُ بِهِ الدِّينُ لِقَوْلِ الرَّسُولِ إِنَّ الدِّينَ لَمَعَ لَكُمْ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّكَ وَتَكُونُوا صَادِقِينَ ﴾

﴿ وَتَكُونُوا صَادِقِينَ ﴾

﴿ وَتَكُونُوا صَادِقِينَ ﴾

- قرأنا الأمر في مستهل سورة الأعلى: (اقرأ) بمستويين: أحدهما – قراءة الآيات القرآنية المكتوبة؛ والآخر - قراءة الآيات الكونية.

- علَّت الدراسة أهمية أسلوب الاعتراض في قصار السور بكونه يشكل مع غيره من الأساليب (تلويناً وتنويعاً أسلوبياً) يبعث الجِدَّة والحَيوية ويكسر الرتابة؛ تلك الرتابة التي ستظهر فيما لو اقتصر الخطاب القرآني على أسلوب معين دون مزجه ببقية الأساليب؛ وقد صنفت الدراسة

- الاعتراض صنفين: أحدهما - اعتراض بيني: سورة الطارق، سورة الأعلى؛ والآخر - اعتراض غير بيني: سورة الفجر.
- تمخض الاستقراء عن أن (الحقل الدلالي) المهيمن في قصار السور هو (حقل الوعيد)؛ ووقفت الدراسة عند أسماء النار ودركاتها لتحليلها دلاليًا؛ إذ إنَّ نار الآخرة تتفاوت في دركاتهما: فهناك النار الكبرى وهي الدرك الأسفل، وهناك النار المتلظية.
- اعتمدت الدراسة مقارنة (جوامع الكلم القرآني) في قصار السور مقارنة تأويلية؛ فهذه التقنية الأسلوبية تُضيق العبارة وتوسع الدلالة؛ وتجعل النص القرآني نصاً مفتوحاً؛ كما استثمرت الدراسة بعض معطيات التفسير الإشاري.
- إنَّ القراءة التأويلية هي وحدها القادرة على اختراق سطح النص القرآني والنفوذ إلى عمقه لاستخراج وجوهه الدلالية؛ لقد أثبتت هذه المقاربة نجاعتها من خلال الكشف عن تعدد الدلالات التي تتوفر عليها جوامع الكلم القرآني في قصار السور.
- فتحت المقاربة التأويلية الكلمة القرآنية الجامعة (الكوثر) على كل الدلالات التي تنتجها بنيتها المعجمية والصرفية، دون تبني تأويل أحادي؛ إذ ضربت هذه التأويلات ببعضها؛ وأوردت المقاربة في جملة ما أوردت تأويل الكوثر بنسل النبي (7) من فاطمة.
- وفي مقارنة (العصر) تبين أنَّ تأويل العصر بصلاة العصر لا يتوفر على ملاحظة التعالق والترابط بين أجزاء السورة؛ وفي تأويل (النعيم) استبعدت المقاربة التأويلية؛ تأويل (النعيم) بالنعيلين وبالنورة في الحمام من دائرة التأويل؛ كما طبقت الدراسة مبدأ (القياس التمثيلي) لتخلص إلى إمكانية توسيع الدائرة التأويلية للنعيم؛ فيكون النعيم هو رسول الله (7)؛ وإذ إنَّ علياً -B- نفس الرسول فإن ذلك يتيح تأويل النعيم بولاية علي -B-.
- بسبب اشتغال قصار السور على مبدأ (الاقتصاد الأسلوبي) فإنها غالباً ما تتناول غرضاً أو موضوعاً واحداً وإنَّ تطرقت إلى نظرات جانبية، فهذه السور تتوفر على وحدة الموضوع؛ فالسورة القصيرة سببقة نقية تبدأ باستهلال بارع يتضمن تمهيداً لموضوعها؛ فواسطة تتضمن عرضاً لذلك الموضوع؛ فخاتمة تطابق موضوع السورة؛ وفي بعض قصار السور يكون الموضوع واحداً ومع ذلك تتباين هذه السور كما في سورتي الكافرين والنصر.
- من أهم الموضوعات التي تناولتها قصار السور الميعاد أو يوم القيامة: (الغاشية، الزلزال، العاديات، القارعة، التكاثر)؛ ويستعين الأسلوب القرآني المعجز بالمجازات لرسم أبعاد مشاهد القيامة.
- تتناول طائفة من قصار السور التي تنصدر بالقسم الحقائق المتعلقة بالنفس الإنسانية وأحوالها وصفاتها: (الطارق، البلد، الشمس، الليل، النين، العاديات، العصر).
- تختص سورتا الحمد والإخلاص بموضوع عقدي؛ وأوضحت الدراسة أنَّ لسورة الحمد أهمية استثنائية -وكل القرآن مهم- فقد أحصت لها نيفاً وعشرين اسماً.

ثبت المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الإبهام في شعر الحدائث، د. عبد الرحمن محمد القعود، عالم المعرفة، عد (279)، 1422هـ - 2002م، الكويت.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1380هـ، الناشر، فخر الدين.
- أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، توفيق الزبيدي، 1984، دار العربية للكتاب، تونس.
- الأثر المفتوح، أمبرطو إيكو، ترجمة عبد الرحمن بو علي، ط2، 2001، الناشر، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية - سوريا.
- أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تح علي محمد البجاوي، 1968م، دون ذكر لمكان الطبع.
- أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، 1420هـ - 2000م، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- أسباب النزول (بهامش تفسير الجلالين)، جلال الدين السيوطي، د. ت. دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- أسباب نزول الآيات، الواحدي النيسابوري؛ محمول على قرص مدمج (D.V.D.)؛ موسوم (مكتبة أهل البيت - عليهم السلام-)؛ بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول في 1426هـ، قم - إيران.
- الأسلوبية، جورج مولينييه، ترجمه وقدم له بسام بركة، ط1، 1420هـ - 1999م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، د. محمد كريم الكواز، ط1، 1426هـ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.
- الأسلوبية في الخطاب العربي، د. عبد العاطي كيوان، ط1، 1420هـ - 2000م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، د. فتح الله أحمد سليمان، (طبعة مزيدة ومنقحة)، 1425هـ - 2004م، الناشر، مكتبة الآداب، القاهرة.

- الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب، عبد السلام المسدي، 1977، الدار العربية للكتاب، تونس.
- الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، د. عبد القادر عبد الجليل، ط1، 2002م - 1422هـ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن.
- أصوات اللغة العربية، د. عبد الغفار حامد هلال، ط3، 1416هـ - 1996م، الناشر، مكتبة وهبة، القاهرة.
- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تح السيد أحمد صقر، ط3، د. ت. دار المعارف بمصر.
- إعجاز القرآن وعلم المعاني، د. عمر الملا حويش، ط1، 1407هـ - 1986م، مكتبة الفلاح، الكويت.
- الأقسام في القرآن، الشيخ جعفر السبحاني، محمول على قرص مدمج (D. V. D)؛ موسوم (مكتبة أهل البيت - عليهم السلام-)؛ بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول، 1426 هـ، قم - إيران.
- إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، صححه محمد الزهري الغمراوي، 1321هـ، المطبعة الميمنية بمصر.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، 1329هـ، دار الجيل.
- أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد صدر الدين بن معصوم المدني، تح شاکر هادي شكر، ط1، 1388هـ - 1968م، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.
- الإيمان، تقي الدين ابن تيمية، ط2، 1392هـ، المكتب الإسلامي.
- بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تح حفني محمد شرف، ط1، 1957، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة.
- البرهان في إعراب آيات القرآن، أحمد ميقري بن أحمد بن حسين الأهدلي، ط1، 1422هـ - 2001م، المكتبة العصرية، بيروت.
- البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، 1988م، دار الجيل، بيروت - لبنان.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، 1964، دار إحياء التراث العربي.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، عد (164)، 1992م - 1413هـ، الكويت.
- البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، 1984، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- البنى الأسلوبية، دراسة في (أنشودة المطر) للسياب، حسن ناظم، ط1، 2002، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت.

- بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة محمد الولي، ومحمد العمري، ط1، 1986م، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، ط4، 1979م، الكويت.
- التأويل (منهج الأستنباط في الإسلام)، الشيخ أحمد البحراني، ط2 (طبعة منقحة ومزيدة)، 1999، دار التأويل للطباعة والنشر.
- تأويلات وتفكيكات (فصول في الفكر العربي المعاصر)، محمد شوقي الزين، ط1، 2002، الناشر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت.
- تأويل الآيات، شرف الدين الحسيني؛ محمول على قرص مدمج (D. V. D)؛ موسوم (مكتبة أهل البيت - عليهم السلام-)؛ بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول، 1426 هـ، قم - إيران.
- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تح السيد أحمد صقر، ط3، د. ت. دار إحياء الكتب العربية.
- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تح حفني محمد شرف، 1963، القاهرة.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، 1984، تونس.
- التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي الكلبي؛ محمول على قرص مدمج (D. V. D)؛ موسوم (مكتبة أهل البيت - عليهم السلام-)؛ بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول في 1426 هـ، قم - إيران.
- تفسير ابن عربي، للشيخ الأكبر أبي بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي، ضبطه وصححه وقدم له الشيخ عبد الوارث محمد علي، ط1، 1422 هـ - 2001م، دار الكتب العالمية، بيروت - لبنان.
- تفسير البحر المحيط، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، د. ت. الناشر، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.
- التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي)، الجزء الأول، ط4، 1394 هـ - 1974م، الناشر، دار المعارف بمصر.
- التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي)، الجزء الثاني، ط5، د. ت. الناشر، دار المعارف، القاهرة - مصر.
- تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، د. ت. دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي؛ محمول على قرص مدمج (D. V. D)؛ موسوم (مكتبة أهل البيت - عليهم السلام-)؛ بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول في 1426 هـ، قم - إيران.
- تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم؛ محمول على قرص مدمج (D. V. D)؛ موسوم (مكتبة أهل البيت - عليهم السلام-)؛ بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول في 1426 هـ، قم - إيران.

- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، ط1، 1421هـ - 2000م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العالمية، بيروت - لبنان.
- تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، 1974، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- تفسير النهر الماد (بهامش تفسير البحر المحيط)، تاج الدين أبو محمد أحمد عبد القادر القيسي، د. ت. الناشر، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي (أبو الحسن محمد بن الحسين)، تح محمد عبد الغني حسن، ط1، 1374هـ - 1955م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- التلقي والتأويل (مقاربة نسقية)، د. محمد مفتاح، ط1، 1994، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء.
- التمهيد في أحكام التجويد، سعيد علي الشريف، ط1، 1997م، بنغازي - ليبيا.
- تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي، تح عبد الله محمد الدرويش، ط1، 1983م، دون ذكر لمكان الطبع.
- التنوعات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ط1، 1997م - 1417هـ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.
- تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، الفيروز آبادي؛ محمول على قرص مدمج (D.V.D)؛ موسوم (مكتبة أهل البيت - عليهم السلام-)؛ بإشراف الشيخ على الكوراني العاملي، الإصدار الأول في 1426هـ، قم - إيران.
- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، 1409هـ - 1989م، دار المعرفة - بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط1، 1424هـ - 2003م، بيروت - لبنان.
- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (195).
- الجملة العربية (دراسة لغوية نحوية)، د. محمد إبراهيم عباده، 1984، الناشر، منشأة المعارف بالإسكندرية.
- الجَنَى الدَّانِي فِي حُرُوفِ الْمَعَانِي، صنعة الحسن بن قاسم المرادي، تح د. فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، ط1، 1413هـ - 1992م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، د. ت. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة)، نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تح د. محمد زغلول سلام، د. ت. الناشر، منشأة المعارف بالإسكندرية.
- حاشية السيد الشريف علي بن محمد الجرحاني على الكشاف (ضمن الكشاف)، د. ت. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- الحروف المقطعة في القرآن الكريم، د. عبد الجبار حمد شرارة، ط2، 1414هـ؛ مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران.

- حُسن التوصل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي، تح أكرم عثمان يوسف، 1980، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية.
- حل مشكلات القرآن في غريب أسئلة التبيان (مطبوع بهامش ما مَنْ به الرحمن)، محمد بن أبي بكر الرازي، صححه محمد الزهراوي الغمراوي، 1321هـ، مصر.
- الخصائص، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني، تح محمد علي النجار، ط4، د. ت. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- دراسات في القرآن، السيد أحمد خليل، د. ت. دار المعارف بمصر.
- دراسات في القرآن والحديث، د. يوسف خليف، د. ت. دار غريب للطباعة.
- دراسات قرآنية في جز عمّ، د. محمود أحمد نحلة، 1988م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- درّة التنزيل و غرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، ط1، 1393هـ - 1973م، دار الأفاق الجديدة، بيروت.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي؛ ط1، 2004م - 1424هـ، دار الجيل، بيروت - لبنان.
- دلالات التراكيب، د. محمد أبو موسى، ط1، 1979م، القاهرة.
- رسالة في إعجاز سورة الكوثر، جار الله الزمخشري، تح حامد الخفاف، مجلة تراثنا، عد (13)، مؤسسة آل البيت، محمول على قرص مدمج (D. V. D)؛ موسوم (مكتبة أهل البيت - عليهم السلام -)؛ بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول، 1426 هـ، قم - إيران.
- رسائل الجاحظ (5)، رسالته في البلاغة والإيجاز، ط1، 2005، دار نوبليس، بيروت - لبنان.
- الزاهر، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تح صالح الضامن، 1989، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.
- سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي الحلبي، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، 1389هـ - 1969م، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده.
- شرح الأسماء الحسنی، الملا هادي السبزواري، محمول على قرص مدمج (D. V. D)؛ موسوم (مكتبة أهل البيت - عليهم السلام -)؛ بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول، 1426 هـ، قم - إيران.
- الشعرية (قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي)، د. أحمد جاسم الحسين، ط1، 2001م، الناشر، الأوائل للنشر والتوزيع للخدمات الطباعة، دمشق.
- الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي)، محمد الماكري، ط1، 1991، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء.
- شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني؛ محمول على قرص مدمج (D. V. D)؛ موسوم (مكتبة أهل البيت - عليهم السلام -)؛ بإشراف الشيخ علي الكوراني العاملي، الإصدار الأول في 1426 هـ، قم - إيران.
- علم الأسلوب مبادئه وأجراءاته، د. صلاح فضل، ط1، 1419هـ - 1998م، دار الشروق، القاهرة.
- علم الجمال، دني هويسمان، ترجمة ظافر الحسن، ط4، 1983، منشورات عويدات، بيروت/باريس.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط1، 1402هـ - 1982م، مكتبة العروبة للنشر والتوزيع، الكويت.

- الفاصلة القرآنية، د. عبد الفتاح لاشين، 1982 مطبعة نهضة مصر، الناشر، دار المريخ للنشر، الرياض.
- الفتوحات المكية، محي الدين بن عربي، د. ت. دار صادر، بيروت، وهي مصورة عن طبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر، 1329 هـ.
- فلسفة التأويل (دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي) نصر حامد أبو زيد، ط5، 2003، الناشر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت.
- فن القول عند المتنبي، الشاذلي البوغانمي، وتوفيق قريرة، د. ت. مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، سوسة - تونس.
- في البنية والدلالة (رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية)، د. سعد أبو الرضا، 1987م، دار المعارف، الإسكندرية.
- في سيمياء الشعر القديم (دراسة نظرية وتطبيقية)، د. محمد مفتاح، ط1، 1403 هـ - 1982م، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط5، 1967م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- في النقد والنقد الألسني، د. إبراهيم خليل، 2002، منشورات أمانة عمان الكبرى.
- كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه، د. ت. دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع.
- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح مفيد قمحة، ط2، 1984م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- كتاب أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، ط1، 1412 هـ - 1991م، مطبعة المدني، الناشر، دار المدني بجدة.
- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي، 1914م، مطبعة المقتطف بمصر.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، د. ت. الناشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، تح أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، ط3، د. ت. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، ط1، 1998، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت.
- اللغة العليا (النظرية الشعرية)، جون كوين، ترجمة د. أحمد درويش، 1995، المجلس الأعلى للثقافة.
- اللغة والإبداع (مبادئ علم الأسلوب العربي)، شكري محمد عياد، ط1، 1988، دون ذكر لمكان الطبع.
- اللغة والخطاب الأدبي، مجموعة مقالات في اللغة والأدب، ترجمة سعيد الغانمي، ط1، 1993، الناشر، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير، تح محي الدين عبد الحميد، 1939، مصر.

- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الطبرسي، تح هاشم الرسولي المحلاتي، ط3، 1426هـ - 2005م، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، ط4، 1983. دون ذكر لمكان الطبع.
- معايير تحليل الأسلوب، ميكائيل ريفاتير، ترجمة د. حميد لحداني، ط1، 1993، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه وكتبه فهارسه أحمد شمس الدين، ط1، 1408هـ - 1988م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- معجم الدراسات القرآنية، د. ابتسام مرهون الصفار، 1984، مطابع جامعة الموصل.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، د. ت. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، د. ت. ودون ذكر لمكان الطبع.
- مفاتيح الجنان والباقيات الصالحات، عباس بن محمد رضا القمي، ط9، 1427هـ - 2006، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم - إيران.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، راجعه وقدم له وائل أحمد عبد الرحمن، د. ت. المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر.
- مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن)، د. نصر حامد أبو زيد، ط3، 1996، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء.
- من بلاغة القرآن، د. أحمد أحمد بدوي، د. ت. مطبعة نهضة مصر، القاهرة.
- نسق الكلام في شعر زهير، د. هيفاء عثمان عباس فدا، ط1، 2004، الناشر مكتبة القاهرة للكتاب.
- النص القرآني من الجملة إلى العالم، وليد منير، ط1، 1418هـ - 1997م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة.
- النص القرآني وآفاق الكتابة، أدونيس، د. ت. دار الآداب، بيروت.
- نظرات حديثة في تفسير القرآن، محمد عبد الرحمن الجديلي، ط1، 1963، بيروت.
- النظرية الأدبية المعاصرة، رمان سلدن، ترجمة سعيد الغانمي، ط1، 1996، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ودار الفارس للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن.
- نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية، د. صبحي الصالح، ط3، 1983م، دار الكتاب اللبناني.
- النهر الماد من البحر (بهامش تفسير البحر المحيط)، أبو حيان الأندلسي، د. ت. الناشر، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.
- الوحدة الموضوعية في القرآن، د. محمد محمود حجازي، 1970، مطبعة المدني، القاهرة.

الدوريات والجرائد:

مجلة أبحاث اليرموك:

- الإجمال والتفصيل في القرآن، فايز القرعان، مجلد 12، عد1، 1994.
- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية:
- سلامة الحرف من الزيادة والحذف، د. فضل حسن عباس، عد9، 1987.

مجلة منبر الإسلام:

- أ- براءة الاستهلال وروعة الأساليب في فواتح سور القرآن، الشيخ عبد الغني الراجحي، عد7، 1968.
 ب- براءة الاستهلال وروعة الأساليب في فواتح سور القرآن، الشيخ عبد الغني الراجحي، عد8، 1968.

مجلة الموقف الأدبي:

- الطاقات الجمالية للجمل الشرطية، لؤي علي خليل، عد276، 1994.

الجرائد:

جريدة الثورة (العراق):

- بناء الخطاب القرآني: في القدر أنموذجاً، كريم البعاج، عد 9425 – 1998/1/22.
 جريدة الدعوة الإسلامية (ليبيا):
 - قراءة في سورة الهمزة، كريم طاهر، عد787 – 1370/1/30 (من وفاة الرسول).
 جريدة القادسية:

- في جمالية التعبير الاعتراضي، كريم البعاج، عد 5775 – 1999/6/15.

الرسائل الجامعية:

- الأساليب البلاغية في خواتم السور القرآنية، عباس حميد السامرائي، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، 1417هـ-1996م، كلية التربية – جامعة الأنبار.
 - الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، كريم اللامي، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، 1418هـ-1997م، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية.
 - شعر سامي مهدي: دراسة أسلوبية، أرشد على محمد، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، 1417هـ-1996م، كلية التربية- الجامعة المستنصرية.